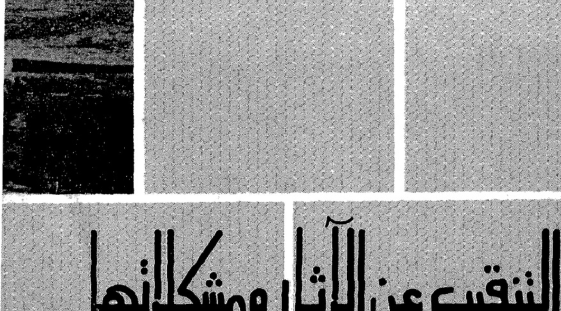


المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

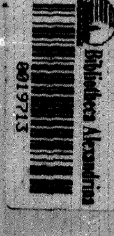


حركة التنقيب عن الآثار ومشكلاتها في الوطن العربي





تونس 1989



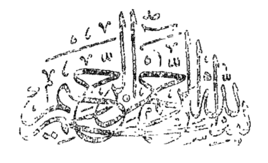


المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

ادارة الثقافة

حركة التنقيب عن الآثار ومشكلاتها في الوطن العربي

تونس 1989



وقائع
المؤتمر الثامن للآثار

مراكش : المملكة المغربية

1 ـ 1977/2/9

حركة التنقيب عن الآثار ومشكلاتها في الوطن العربي : وقائع المؤتمر الثامن للآثار (مراكش : المملكة المغربية 1 ـ 1977/2/9) ـ تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، 1989 ـ 191 ص

ق / 1989 / 06 / 002

الفهرس

القسم الثاني
التقرير النهائي والتوصيات

القسم الثالث
ملاحق

تقديم

بصدور هذا الكتاب الذي يضم وقائع المؤتمر الثامن للآثار، تكون المنظمة قد قطعت شوطا بعيدا في تنفيذ قرارات المؤتمر العام، وقرارات مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي، بنشر وقائع مؤتمرات الآثار التي لم يتسن لها النشر من قبل، وتكون المنظمة قد وفت بالتزامها أمام الرغبة المشروعة من القارىء المتخصص في أن يرى الحصيلة العلمية لهذه المؤتمرات مرجعا محفوظا في المكتبة التراثية للحضارة العربية الاسلامية، وفي متناول الباحثين والدارسين من أبناء هذه الحضارة وأبناء الحضارة الانسانية.

والمنظمة وهي تنشر هذا الكتاب عن المؤتمر الثامن للآثار تحت عنوان (حركة التنقيب عن الآثار ومشكلاتها) سبق لها أن أصدرت وقائع المؤتمر التاسع المنعقد في صنعاء سنة ١٩٨٠ تحت عنوان (الاثار الاسلامية في الوطن العربي) والمؤتمر العاشر المنعقد في تلمسان بالجزائر سنة ١٩٨٢ بعنوان (المسكن والمدفن في الوطن العربي) وصدر المؤتمر الحادي عشر سنة ١٩٨٨ بعنوان (النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي) وهو المؤتمر الذي عقد في تونس.

وهذا المؤتمر الثامن الذي عقد في مراكش بالمملكة المغربية سنة ١٩٧٧ يعتبر علامة بارزة في مسيرة هذه المؤتمرات التي قاربت نصف قرن فهي من هذا المنطلق من أعرق المؤسسات الثقافية على الصعيد القومي، لم تزل منذ الأربعينات ـ عقد تأسيس الجامعة العربية ـ موصولة النفس، كريمة العطاء، صادقة الوفاء للتراث الحضاري لهذه الأمة.

ويتميز المؤتمر الثامن في مراكش، انه كان نقطة تحول أكاديمي في هذه السلسلة من المؤتمرات بالالتفاف حول موضوع علمي دقيق، يلتئم حوله المؤتمر أبحاثا ودراسات، وحوارا ونقاشا، وينفض عنه قرارات وتوصيات، وخططا تنفيذية مستقبلية، وهذا التمحور حول موضوع علمي في كل مؤتمر هو الذي ساعد المنظمة على إخراج هذه الملفات العلمية في كتب مرجعية تتجاوز المؤتمر بملابساته الآنية، إلى المؤتمر بجلساته العلمية الرصينة.

وقد توافر لموضوع (حركة التنقيب عن الآثار ومشكلاتها) في المؤتمر الثامن، هذا الرصيد الثري من الأبحاث والدراسات، الذي يعتبر مدخلا لمؤتمرات الآثار المتخصصة في الدورات اللاحقة. وإذا كان البحث العلمي لا يقف عند حد، فإن تقادم العهد على الأبحاث العلمية، لا يقلل من صبغتها الأكاديمية، ولا من قيمتها التاريخية، فهي في موقعها التاريخي، صلة وصل بين تجربة كانت، ورؤية ستكون، بين المشكلة واقعا، والمشكلة حلولا.

والمملكة المغربية احتضنت، مقدرة ومشكورة، دورتين من دورات مؤتمر الآثار، كانت الأولى سنة ١٩٥٩ وهي الدورة الثالثة، وهذه الدورة الثامنة سنة ١٩٧٧، وبين الدورتين تأسست المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فكان تأسيسها دعما للعمل الثقافي على الصعيد القومي، وبلورة لمنطلقاته ووسائله وغاياته، وكانت مؤتمرات الآثار، نفسا من الأنفاس الكريمة لهذه المؤسسة القومية، تلقتها بأمانة من الادارة الثقافية للجامعة العربية، ورعتها بوفاء وإغناء، ولم تزل.

والله الموفق.

الادارة العامة

القسم الأول

الـدراسـات

مفاهيم جديدة للمسح الآثاري
وعلاقته بحركة التنقيب

الدكتور عبد الله حسن مصري
المملكة العربية السعودية

مقدمـــة

علم الآثار الحديث Archeology هو جزء لا يتجزأ من علم الانسان Anthropology. والتفسير المعروف للأخير أنه هو العلم الذي يدرس الانسان ككائن حي له ثقافة، بالتركيز على كلمة له ثقافة. والثقافة Culture بمفهومها الواسع تتعرض لجميع النواحي التي تلمس حياة الانسان من مادية الى معنوية، وروحية، واخلاقية، وتربوية وفنية الخ ... لذا فعلم الآثار كجزء من علم الانسان يهتم أولا وأخيرا بدراسة ثقافة الانسان القديم من تلك الجوانب من الثقافة التي في الامكان التوصل الى معرفتها عبر الأزمان البعيدة، وبالطبع فنسبة البعد أو القرب في الزمن الذي يدرسه علم الآثار لها تأثير مباشر على نوع واختلاف المادة الثقافية التي يتوصل اليها العلم من خلال البحث.

في نظر علماء الآثار عامة فان وجود الانسان ثقافيا ـ أو بالأحرى تاريخ الانسان الثقافي بدأ من اللحظة الذي استعمل فيها الانسان أو صنع، من مادة خام، أداة تعينه على مواجهة متطلبات الحياة الاساسية من معيشة أو اسكان الخ ... وبقيت هذه المادة بعده لتكون أثرا دالا على تجربته ومؤرخا لعصره.

والملاحظ على نشأة وتطور علم الانسان أنه من بين كافة العلوم الاجتماعية والانسانية يكاد يكون فريدا في شمولية هدفه. بمعنى آخر أن هذا العلم جمع بين أهداف العلوم الاجتماعية وأهداف العلوم السلوكية وكذلك العلوم البيولوجية ليبرز بقالب جديد لدراسة الانسان من جميع تلك الجوانب عبر مرآة الثقافة.

لذا فانه من السهل أن نتصور المنهاج الصحيح الذي يجب أن يكون عليه علم الآثار اذا اتفقنا على الفقرة السالفة والتي تصر على اعتبار الآثار جزءا لا يتجزأ من علم الانسان.

منذ البداية ارتكز علم الانسان في مفهومه الأكاديمي على انتهاج المذهب العلمي Social science في مجال الدراسة والبحث والتحليل بالنسبة لكافة الأمور التي يعالجها. ولا يخفى أن هذا المذهب ينسلخ في أساسه من الطريقة العلمية في البحث والتي يرمز لها بالطريقة الكونية أو الشمولية universalism عكسا لما هو الحال عليه في العلوم التي تعتمد على تفسير الجزئيات كدراسة التاريخ مثلا.

فعلم الانسان يهتم بدراسة الجماعة أو القرية أو المدينة ليس فقط لتكوين المعلومات الأساسية عن هذه الجزئيات ولكن للأهم من ذلك ـ وهو الترقي الى بلورة مفاهيم وقواعد ثابتة شبيهة بالقوانين في العلوم الحرة ـ عن أسس وتكوينات تلك الظواهر عامة وعلائم اختلافاتها في الزمان والمكان.

وكذلك الحال في علم الآثار، فانه يعكس ذلك المنهج من العلم الأم ليطبقه في مجال دراسات المجتمعات والثقافات القديمة على أساس الشمولية في التعبير عند استنتاج حقائق هامة من دراسة موقع معين أو بيئة أثرية ما. وهذا لا يعني في حد ذاته أن كل عملية تنقيب أثري في موقع ما ستنتج عنها مفاهيم عامة عن الثقافة والمجتمع القديم. فهذا الأمر مرتبط تمام الارتباط بطريقة التنقيب ونوع الهدف الذي يرمي الى الوصول اليه، وبالأحرى فانه يرتبط بالأسئلة التي يسألها عالم الآثار حينما يبدأ في بحثه لدراسة القديم سواءا بالتنقيب أو الاستقصاء الحقلي والنظري.

وللزيادة في الايضاح حول هذه النقطة أود أن أضيف أن المعرفة عن الآثار عامة ـ وأقصد بذلك الصورة المتكاملة لحياة الانسان القديمة بما في ذلك البيئة الطبيعية والمجتمع والثقافة والاقتصاد الخ ... أكرر ـ المعرفة عن كل ذلك تعتمد اعتمادا مباشرا على ما يحضرنا نحن الأثريون من أسئلة واستفهامات أثناء اجراء أبحاثنا الأثرية في الحقل أو المختبر. وبالطبيعي فان عالم الآثار كغيره من المحترفين قد أتقن نموذجا أو عدة نماذج من الاستفهامات التقليدية التي يسألها عند التنقيب في موقع سكني، مثلا كنوع المعيشة التي أعتمد عليها سكان الموقع، وأنواع الفخار التي استخدموها، والحالة الدينية للسكان اذا كانت هناك أدلة، ونوع العمارة ومواد البناء الخ ... هذه الاسئلة وما شبهها لا شك في موضوعيتها وأهميتها نحو ابراز الحقيقة الخاصة بالموقع المعين، ولكنه لا يتأتى عنها أي مفهوم أكثر شمولية وتعميما الأمر الذي يستحب أن يكون عليه الحال اذا ما رغب الأثريون من أن يجعلو موضوعهم يتسم بطابع من العلمية والتركيز.

ولعلنى فى هذا الحديث أنطرق الى نقطة تحول هامة في تاريخ تطور علم الآثار والتي لها علاقة وثيقة بما تحدثت عنه أعلاه. تلك الظاهرة هي ما عرفناه خلال العشر أو الخمسة عشر سنة السابقة من انقسام فكري ومنهجي بين زمرة علماء الآثار في أوربا وأمريكا. وكما هو معروف فذلك الانقسام يعبر عن آراء مدرستين احداهما تقليدية أطلق عليها اسم مدرسة علماء

الآثار التقليديين old archeology أما الأخرى تتسم بالتطويرية وسميت بمدرسة علماء الآثار المجددين new archeology وقد تطور هذا الانقسام الى درجة يصعب معها الانسجام الفكري بين الفئة والأخرى.

ويرجع أساس هذا الانقسام الى التطور الكبير الذي حدث في تكنولوجية العلوم الحديثة منذ الحرب العالمية الثانية. فمثلا اكتشاف طريقة التزمين – أو تحديد أعمار الأشياء عن طريق عامل الكربون المشع Carbon 14 أعطى لعلم الآثار أفقا جديدا لم يكن ليصله مستقبلا. فقد أصبح من اليسير معرفة عمر الطبقات السكنية في المواقع ومن ثم تحليل التسلسل الزمني لعمر موقع ما بشكل منتظم. وفي السابق كان هذا العمل يتطلب الكثير من التحليل الضمني الغير مؤكد والذي يعتمد على التصنيف، أو التبويب بين المواد والدلائل الأثرية المختلفة. وباختصار أصبح هناك سلاح قوي في يد عالم الآثار يتمكن من خلاله معالجة مشكلة تحديد زمن الأشياء – والذي يعتبر من أهم أهداف البحث والتنقيب – وفي غير هذا المجال، دخلت عناصر جديدة على العلوم الفيزيائية والطبيعية، مثل علم النبات والحيوان وعلم البيئة، مما جعل من هذه العلوم أداة هامة لتفسير المشاكل الآثارية، كمعرفة تطور الزراعة وبداية تهجين الحيوان، واختلافات المناخ الطبيعي وتطوراته على مدى الأزمان السابقة.

فمن الطبيعي أن يكون هذا التقديم العلمي صدى في أرجاء علم الآثار، وأن يظهر هناك من علماء الآثار من يدعو الى ادخال هذه العناصر الأثرية في صلب البحث الأثري.

وهذا ما حدث بالفعل في الفترة التي عقبت الحرب العالمية الثانية حينما اتجه النشاط الأثري نحو التركيز على منهج علمي متزن يقوم على أساسه الحفريات والاسنطلاعات الحقلية. وكان من رواد هذه الطريقة العالم بريد وود Braidwood من جامعة شيكاغو الأمريكية، الذي قام ابتداءا من عام 1950 م باجراء أول حفرية أثرية علمية متكاملة وذلك باستخدامه لكثير من الخبرات العلمية خارج حقل الآثار مثل علماء المناخ والنبات والحيوان الخ ... وكان غرضه من البحث هو محاولة كشف الستار عن الفترة الأولى في تطور المقومات الحضارية الأساسية في الشرق الأدنى – وهي اكتشاف الزراعة وتهجين الحيوانات – التي أصبحت فيما بعد مصدرا للاقتصاد المعيشي وفي شمال العراق حيث تهطل أمطار كافية لنجاح زراعة مستمرة معتمدة على مياهها كان العالم بريد وود يتوقع اكتشاف أولى الدلائل على تطور الزراعة. وفعلا تم له الوقوف على موقع جارمو – والذي اشتهر فيما بعد الشهرة العالمية الكبيرة كونه أول مستوطن حضري للانسان. وهناك اكتشف العالم المذكور الكثير من الدلائل التي أشارت الى حقيقة الافتراضات.

ولم تقف فترة التجديد في علم الآثار عند هذا الحد بل تعدته الى آفاق بعيدة. ففي الفترة المعاصرة لا يزال الصراع قائم على أشده بين العلماء التقليديين وأولئك المجددين. فالآخرين ذهبوا الى أبعاد كبيرة في ادخال عناصر التكنولوجيا الحديثة كالكومبيوتر في صلب موضوع

البحث والتنقيب الأثري. أما التقليديين فالبضع منهم لا يزال يتشبث بالمنهج الأساسي لعلم الاثار ـ وهو البحث الموضوعي المبني على أساس الدلائل المكتشفة من خلال التنقيب inductive approach على عكس المنهج التجريدي deductive approach والذي يدعو اليه المجددين والذي يعتبر أن الكثير من المعلومات الجوهرية عن موضوع البحث في الآثار لا تظهر من خلال دراسة المواد المكتشفة مباشرة ولكن عن طريق دراسة الهيكل الشامل لكل ما يرتبط بالمادة الأثرية من بيئة طبيعية أو مختلفة systemic approach وتلعب دراسة البيئة من كافة أوجهها دورا هاما في هذا المنهج.

وأخلص من هذه المقدمة الى القول بأن الاتجاه الحالي في علم الآثار يرمي بشكل واضح الى تكوين وتطوير أسس منهجية تدعم الاطار التقليدي للعلم وذلك عن طريق دراسة المادة الأثرية على أساس البحث المتعدد الجوانب أي الذي تشترك فيه العديد من العلوم والطرق المنهجية في الأبحاث وكما أعطينا أمثلة على ذلك أعلاه فيما يختص بالعالم بريد وود.

ولعل المسح الآثاري هو من أنسب الوسائل لتطبيق هذا المنهاج الجديد في البحث نظرا لما حققته استخداماته المعاصرة من نتائج طيبة على مختلف مستويات البحث الآثاري.

المفهوم العام للمسح

كلمة «مسح» أو Survey ترمز كما هو معروف الى مجهود معين يبذل لاستقصاء حقائق ووقائع طبيعية في المادة بغرض جردها ومعرفة آفاقها المختلفة. وليس من شك أن هذا المفهوم هو أبسط وأكمل تحليل للمقصود بالمسح الآثاري. وطبقا لهذا المضمون فقد بدأ استخدام المسح الأثري منذ بداية الاهتمام المنظم بالتنقيب عن الآثار، فلم يكن هناك ثمة تنقيب بدون سابق مسح طبيعي وحتى في حالات الاكتشاف الغير المقصود.

وهناك الكثير من الأوائل من علماء الآثار خلال العقود الأخيرة من القرن الماضي وفي النصف الأول من هذا القرن ممن أسهمو بشكل واسع في ترسيخ منهاج المسح الآثاري على الطريقة التقليدية ـ وهي الحصر والجرد.

ومن مشاهير الآثاريين العرب في هذا المجال هو المغفور له الدكتور أحمد فخري سواءا في أبحاثه بمصر أو في الجزيرة العربية. وأذكر كذلك العالم البريطاني الشهير السير أوريل ستاين الذي أنجز في خلال العقدين الرابع والخامس من هذا القرن ما يعتبر أضخم عملية مسح أثاري تقليدي. ولا يفوتني في هذا الاستعراض السريع أن أنوه أن المسح الآثاري كما رآه العلماء في أواخر القرن الماضي وخلال النصف الأول من هذا القرن لم يكن هدفه مجرد مقدمه للتنقيب وسجل يحفظ اعداد وأنواع المواقع الأثرية المختلفة بل تعداه الى أهداف هامة أخرى تتعلق بمضمون ونوعية البحث الآثاري. فلقد تمكن العلماء من استنباط مفاهيم عميقة عن الحياة الاقتصادية والتجارية والعلاقات الاجتماعية بين سكان أماكن مختلفة وذلك بناءا على

استنتاجات المسح الأثري فقط. وأصبح ذلك ممكنا نتيجة مقارنة وتحليل عينات المواد والظواهر السطحية في المواقع الممسوحة. فمثلا أمكن ربط عدة مواقع متباعدة جغرافيا ضمن حلقة اقتصادية واحدة بفضل ملاحظة وجود أنواع متشابهة من المواد الخام والمصنعة من فخار وأحجار ومعادن وغيرها مما يدل على اتصال وترابط مباشر بين سكان تلك المواقع. وبالتالي أصبح المسح الأثري هدفا ووسيلة في آن واحد. فمن ناحية فهو يبرز حقائق جوهرية وأساسية عن بعض أوجه الحياة القديمة وفي نفس الوقت يعمل على تمهيد وتنظيم مجال البحث بالتنقيب.

ولعله من المؤسف حقا أن استخدامات المسح الأثري سواءا كهدف أو وسيلة لم تكن منتشرة في مختلف مجالات وأماكن الأبحاث الآثارية كما يجب وأن نتوقع. بل أن الحقيقة هي عكس ذلك. بالنسبة العظمى من الأبحاث الآثارية الهامة التي جرت قبل وبعد الحرب العالمية الثانية لم يتم استخدام وسيلة المسح سوى في مناسبات محدودة. ولقد كانت تتم أبحاث مختلفة في منطقة واحدة دون أن يكون هناك ترابط موضوعي أو منهجي فيما بينها وذلك بسبب انعدام الواصل والرابط الذي يتوفر عن المسح. وهذا بالطبع تسبب في تشتيت وتبذير مجهودات البحث، والأسوأ من ذلك أنه خلق في بعض الاحيان اخطاءا علمية لم يتم تصحيحها الا بعد تجارب شاقة وسنوات طويلة. وهناك أمثلة كثيرة على ذلك أشهرها ما يتعلق بتحديد عصور الأدوار المختلفة فيما قبل التاريخ وعصور اكتشاف الكتابة. مثلا مفهومنا الحالي عن فترة ما قبل التاريخ المسماة بفترة العبيد (بين 6000 ـ 4000 سنة ق. م) والتي لها أهمية كبيرة في عصور الحضارات اللاحقة ـ ينحصر في أبحاث التنقيب التي جرت في موقع العبيد نفسه وموقع أبو شهرين فقط غير أن الابحاث اللاحقة والجارية في العراق وخارجها قد أكدت نتيجة للمسح الآثاري حقائق مغايرة لما نسب الى تنقيبات العبيد وأبو شهرين. والذي يجب التنويه عنه هنا هو أنه كان بالامكان اجراء مسح اعتيادي لمناطق المواقع التي تحمل مخلفات العبيد أثناء التنقيبات في مواقع العبيد وأبو شهرين، وكان بالامكان حينذاك تفاد الأخطاء وتراكمها.

والملاحظ حاليا أن كثيرا من الدول الغنية بالآثار قد أجرت تعديلات في نظم التنقيب عن الآثار في بلادها نتيجة لاكتشاف التبذير والاسراف اللذان صاحبا أعمال التنقيب في الماضي. وبعض الدول مثل ايران وتركيا تصران على أن يتعهد الباحث باجراء المسح حول المنطقة التي يأمل التنقيب في موضع فيها وذلك قبل وبعد أعمال التنقيب نفسها. وفي بعض المناطق الأثرية الهامة أوقفت أعمال التنقيب تماما وبصفة مؤقتة ريثما يتم انجاز مسح آثاري شامل.

الآفاق المعاصرة في المسح الآثاري

فيما تقدم انحصر حديثنا حول منهاج المسح الآثاري التقليدي كما فسرناه أعلاه. غير أنه طرأت نظم وأفكار جديدة على ذلك ا لمنهاج نتيجة التجديد الذي ليس دخل الآثار عامة والذي تطرقنا اليه سابقا. فلقد وضع علماء الآثار المجددون ثقل حملتهم التطويرية لمفاهيم العلم على تطوير اسلوب التحليل العلمي من الموضوعية الى التجريدية وكذلك تعميق أبعاد البحث

الآثاري لكي يجذب اليه علوما واختصاصات مختلفة في مجالات الطبيعة والرياضيات والعلوم الاجتماعية أيضا. وانبعثت عن كل هذه الابتكارات توليفة جديدة للبحث على طريقة النظم المستقلة systems approaches ويعني هذا أن عالم الآثار عندما يبدأ ليعالج مادته أو مشكلته الآثارية يجب أن ينظر اليها من خلال الاطار المعيشي الكامل للانسان سواءا من ناحية التضاريس الجغرافية للمنطقة التي سكن فيها الانسان، أو مواردها الطبيعية من ماء ونبات وحيوان ومعادن وغيرها، أو من المناخ وظواهر التعرية الخ ... وهذه النظرة بطبيعة الحال تتطلب تضافر العديد من العلوم والتخصصات عند فحص المشكلة الأثرية.

وهذا المنهج الموسع لدراسة الانسان في الماضي يرتكز في الأساس على النظرية القائلة بأن هناك توازن طبيعي خفي بين جميع معطيات الحياة وظواهرها في البيئة المحيطة، ويشمل ذلك كافة الكائنات الحية بما فيها الانسان. فتواجد الانسان في مكان ما لغرض العيش سواءا بالاستقرار أو الارتحال ـ تترتب عليه العديد من المضاعفات سلبية وايجابية في الطبيعة المحيطة. اذا فدراسة هذه الطبيعية وتحليلها قبل عامل التدخل البشري وبعده كفيل بأن يعطينا فكرة عن التأثير البشري في التوازن الطبيعي وبالتالي يمكن تحديد أوجه وأنماط العلاقة البشرية مع البيئة الطبيعية على مختلف مستوياتهما وهذا بالطبع يحقق للباحث الآثاري مدخلا عميقا لتفهم مشكلة المعيشة الانسانية في الماضي وبالتالي تفسير تاريخ التطور الحضاري بشيء من التحليل العلمي.

ونتيجة تبلور هذه المفاهيم برزت الحاجة الى تطوير وسائل حقلية لممارسة تطبيق هذه المفاهيم على مشاكل الآثار. وخلال العقدين الأخيرين تركز الاهتمام على طرق المسح الآثاري بصفة المسح من أقرب الوسائل لتوفير الانتاج البحثي الذي تتطلبه معالجة دراسة النظم.

وهكذا بدأت تترسخ فكرة المسح الآثاري الشامل الذي يهدف ليس فقط الى حصر الآثار المنظورة بل يتعدى ذلك الى هدف الوصول الى الاطار البيئي الكامل الذي عاصر كل فترة أو زمن محدد من الأزمنة الآثارية المعروفة.

وأهم المجالات البحثية التي تنحصر فى منهاج المسح الآثاري الشامل هي :

1 ـ دراسة وتحليل مصادر الموارد الطبيعية الخام الى جانب الماء والنبات، مثل : الطين، المعادن، والأحجار البلورية وغيرها مما برز في استخدامات الانسان القديم ـ ثم ربط هذه الدراسات والتحليلات بموجودات المواقع الأثرية.

2 ـ دراسة وتحليل التغيرات السطحية الجغرافية Geomerphology وهذه لها مساس في الغالب بأبحاث العصور التاريخية القديمة وما قبل التاريخية. وتتضمن هذه الدراسات مثلا : فحص تغيرات مجاري المياه كالأودية والأنهار وتغيرات منسوب المياه فيها

عبر الأزمان، وكذلك بالنسبة للآبار والعيون، ومنسوب المياه الجوفية حيث من الواضح أن لهذه الطبيعة التضاريسية لمعرفة التحولات السطحية عبر آلاف السنوات الماضية كزحف المناطق الرملية وتقلص الأراضي الزراعية الخصبة بسبب الري وسوء التصريف.

3 ـ دراسة وتحليل تحولات منسوب مياه البحار : وهذه الظاهرة بالطبع لها علاقة بالتغيرات المناخية خصوصا ابان وبعد العصور الجليدية المعروفة. غير أن هناك تغيرات في مناسيب مياه البحار ليست لها علاقة بتلك الظاهرة المشهورة، كأحداث الزلازل والبراكين والانخفاضات التضاريسية وغيرها. ولقد برزت أهمية هذه الدراسات مؤخرا في اكتشاف حضارات المستوطنات البشرية على سواحل الخليج العربي خاصة.

4 ـ دراسة وتحليل ظواهر المناخ في العصور القديمة.

ولعل هذه القاعدة هي أهم قواعد المسح الآثاري الشامل، فمنها تتوفر الدلائل الرئيسية في التعرف على مواقع الاستيطان البشري في الفترات المختلفة. وتتم هذه الدراسات غالبا عن طريق التحليل الطبوغرافيا السطحية للمساحات الشاسعة التي يعتقد وجود مناطق آثار بها، خاصة في الأقاليم التي تعتبر جافة في الوقت الحاضر. ويمكن أيضا اجراء حفريات استطلاعية في مواقع طبيعية لاستنتاج التسلسل الطبقي للترسبات الأرضية القريبة العهد. فقد أظهرت دراسات مثيلة لهذه الكثير من الدلائل التي أشارت الى وجود بحيرات مياه عذبة في المناطق التي تتصف بالصحراوية حاضرا مما ساعد على اكتشاف مواقع أثرية كثيفة حول مناطق البحيرات القديمة. وبالذات أذكر هنا اقليم الربع الخالي بالمملكة العربية السعودية حيث أظهرت دراسات المناخ والتربة وجود بحيرات مياه عذبة قبل حوالي ستة أو سبعة آلاف سنة ماضية، وبناءا على ذلك تم اكتشاف عشرات المستوطنات الأثرية الهامة التي ازدهرت حول شواطئ تلك البحيرات وثمة طريقة أخرى لاستنباط المقاييس المناخية القديمة، تتعلق باجراء حفرية اختبارية في مواقع العيون المائية القديمة حيث تظهر تراكمات سطحية وتحت سطحية تسجل التسلسل المناخي عبر العصور المختلفة داخل الترسبات التي صاحبت فترات الجفاف والأمطار المتعاقبة. وبتحليل المكابر أو المخلفات النباتية المتواجدة في هذه الترسبات يمكن التوصل الى معرفة المناخ السائد في كل فترة زمنية تمثلها الطبقة الترسبية. ولعل أشهر

مثال على هذا النوع من الدراسات ما أجراه العالم فان زايست في منطقة جنوب غربي ايران والتي نتجت عنها سجلات منتظمة ومحددة للظواهر المناخية من حوالي 15,000 سنة سابقة وحتى العصر الميلادي. ويعتبر هذا السجل بمثابة المقياس العام للمناخ القديم في منطقة جنوب غربي ايران وما جاورها من الأقاليم. وتجدر الملاحظة هنا أن الاستنتاجات المناخية القديمة لمنطقة ما قد لا تنطبق على مناطق مجاورة وذلك يعزى الى كون المناخ عادة يتصف بالمحلية المطلقة ـ بمعنى أن التغيرات المناخية التي تحدث في منطقة ما وتنتج عنها تقلبات

في نسبة الأمطار أو الجفاف لا يمكن تطبيقها على منطقة متاخمة واعتبارها انها حدثت على نفس المنوال. وكمثال على هذه الظاهرة أذكر هنا الرأي السائد عن مناخ الألف الثاني لما قبل الميلاد في منطقة شرقي حوض البحر الأبيض المتوسط الذي يعتقد أنه كان مطيرا ومعتدلا وذهب العلماء الى اعتبار أن هذا المناخ كان أيضا يسود معظم منطقة شمال الجزيرة العربية وصحراء الشام غير أن الابحاث القريبة العهد أثبتت خلاف ذلك.

وأخلص من الحديث عن قاعدة دراسة المناخ وأهميتها بالنسبة للمسح الآثاري الشامل الى القول بأنه من الضروري أن تقوم دراسات مناخية منفصلة للأقاليم المحلية وعدم الاتكال على استنتاجات الأبحاث في أقاليم مجاورة.

الاستراتيجية العملية في منهاج المسح الآثاري الشامل

ان تطبيق منهاج المسح الآثاري الشامل خصوصا في الاقاليم التي لم تشهد أبحاثا تنقيبية كثيفة في السابق ليعتبر أهم وأرسخ قاعدة يمكن الأخذ بها لبناء وتطوير هيكل المعرفة الآثارية في تلك الأقاليم. وهذا الرأي لا ينبع عن كون هذا المنهاج يتسم بطابع العلمية والتقنية الحديثة فقط بل أن له مزايا تنظيمية في أبحاث الآثار تكاد تكون الأقاليم التي تطرقها مجالات الأعمال الآثارية حديثا في أمس الحاجة إليها. وسأذكر بعض هذه المزايا في خاتمة حديثي أدناه.

وهناك متطلبات رئيسية من الناحيتين العلمية والعملية يجب توفرها عند الرغبة في التقيد بالمسح الآثاري الشامل، أهمها، كحد أدنى، ما يلي :

أولا : الدراسة التحضيرية :

وتشمل تحديد الرقعة الجغرافية المراد اجراء المسح فيها، واذا كانت منطقة واسعة، تقسيمها طبوغرافيا بحيث تتفق مع الوحدات البيئية المستقلة، بحيث لا تتداخل مثلا مناطق السهول مع المرتفعات أو بطون الأودية مع الهضاب والمناطق الصحراوية. والقاعدة هي أن يتم مسح كل وحدة من هذا التقسيم على حدة. واذا كانت هناك دلائل ومكتشفات أثرية معروفة قبل البدء بمسح الوحدة البيئية المستقلة يجب أن تدرس هذه الدلائل وتصنف من حيث طبيعتها وتؤخذ كمقياس أولي للتعرف من خلاله على نوعيات الآثار التي تكتشف خلال المسح. ويتضمن هذا بالطبع اجراء دراسات المقارنة مع الآثار المختلفة المعروفة داخل وخارج الاقليم بغية التوصل الى تحديد الفترة التي تؤول اليها الآثار قبل الشروع في المسح. وبالطبع فان الظروف المحلية والخاصة لكل حالة تحكم الطرق والوسائل التي تتم الدراسة التحضيرية من خلالها.

وثمة نقطة هامة أخرى يجب أن تشمل عليها الدراسة التحضيرية وهي بحث واستقصاء المعلومات الدقيقة من الكتب والمراجع الجغرافية الوصفية، خصوصا كتب الرحالة

والمكتشفين والجدير بالذكر في هذا المجال أن هناك مراجع جغرافية عربية لم تستغل استغلالا كافيا فيما يتعلق بالبحث عن الآثار في أقاليم الجزيرة العربية وغيرها. وليس من شك من أن الرحالة والمؤرخين العرب القدماء قد أسهمو في وصف وتحليل بعض الظواهر الأثرية وتعتبر مراجعهم في بعض الأحيان مصادرا أولية عن آثار بعض المناطق في أرجاء العالم العربي وخير طريقة لاستخراج هذه المعلومات هي التصنيف المكاني وفهرسة المراجع المتعلقة بالوحدة المختارة للمسح، وهذا في حد ذاته بحث مستقل.

ثانيا : اللوازم العملية للمسح

العوامل المادية الرئيسية المطلوبة لنجاح المسح الآثاري الشامل تشمل التالي :

1 ـ الخرائط الجغرافية ذات المقياس الدقيق مثل 1 : 50,000 أو أقل وهي كبيرة الأهمية من حيث تعيين المواقع والاستدلال عليها وربطها.

2 ـ الخرائط الجيولوجية ـ التضاريسية التفصيلية، وتساعد هذه على استنباط التغييرات الجيولوجية في المنطقة تحت المسح.

3 ـ المصورات الفوتوغرافية الجوية ذات المقياس المناسب، تقريبا بين 1 : 20,000، 1 : 50,000 وليس من شك في أن توفر هذه المصورات يعتبر أداة فعالة في ضمان تكامل وانضباط أعمال المسح فبالاضافة الى كونها يستعان بها في التعرف على المواقع الأثرية فان المصورات الجوية تساعد أيضا على اكتشاف الظواهر الأثرية التي لا يسهل اكتشافها خلال المسح الأرضي، مثل قنوات ومصارف الري القديمة، وطرق التجارة والقوافل وغيرها من المعالم.

4 ـ توفر المرونة الكافية في الأعمال الحقلية أثناء المسح سواءا في وسائط الاقامة أو النقل وهذا مهم جدا في نجاح المسح نظرا لأن الاستراتيجية تعتمد على سرعة التنقل المنتظم لتغطية أكبر مساحة جغرافية في أقصر زمن. ولا شك أن ايجاد المرونة المثالية في أعمال المسح أمر يصعب الوصول اليه، ولكن التجربة والمران كفيلان بأن يحققا درجة مقبولة من ذلك.

والى جانب هذه العوامل الرئيسية الأربعة هناك الكثير مما يستحسن توفره من المعلومات والوسائل المساعدة لنجاح المسح الشامل. على سبيل المثال، الدراسات العصرية المتعلقة بمصادر المياه الجوفية، وعوامل التربة والمناخ، وأيضا دراسات مصادر المعادن والصخور. وباختصار فالقاعدة العامة التي يجب اتباعها أثناء تخطيط وتنفيذ المسح الآثاري الشامل هي أن يستقصي الباحثون الآثاريون كافة الأبحاث والمعلومات الممكن توفرها عن المنطقة المراد مسحها. فكثيرا من الأحيان تتوفر مصادر للمعلومات يحتاج اليها الآثاري في محيط بحثه عند اجراء المسح ولكن لجهله عنها يسبب عدم استقصاءه لها وتبرز النتائج العلمية غير مكتملة من جراء ذلك.

ثالثا : الخبرات العلمية التخصصية

يتطلب المسح الآثاري الشامل خبرات تخصصية مختلفة لتنفيذه بنجاح. ومن البديهي فان الآثاريون يمثلون حلقة الوصل بين التخصصات المطلوبة. ويجب أن يكون لدى الآثاريون القائمين على المسح خلفيات محددة في استراتيجية المسح الشامل أهمها المامهم بالقواعد الأولية في استخدام أدوات التحديد الجغرافي وآليات المساحة. واذا توفر مساحون اختصاصيون ففي ذلك معونة ملحوظة. وقد برزت مؤخرا وسائل لتحديد المكان عن طريق استخدام الأجهزة الملاحية البحرية المثبتة في مناطق معينة على شواطئ البحر. ويتمكن، الباحث الآثاري من تحديد مكان الموقع المكتشف بدقة بواسطة الأجهزة الثابتة. وأهمية هذه الوسيلة تكمن في صلاحيتها لتحديد الأمكنة على بعد مسافة من الشاطئ تبلغ 300 ميلا. وهناك أجهزة ثابتة من هذا النوع على طول شواطئ البحر الأحمر والخليج العربي والبحر المتوسط، ويمكن التوصل الى استخدامها عن طريق المؤسسات الملاحية التجارية.

ومن ناحية أخرى يتوجب أن يكون الآثاريون المشتركون في أعمال المسح الشامل على المام بالفروع المختلفة من علم الآثار كفرع العصر الحجري وما قبل التاريخ والعصور البرونزية والعصر الاسلامي الخ ... ويتعين اشتراك مختصين في الكتابات القديمة عند التأكد من مواجهة أمثلة من تلك الآثار.

أما الاختصاصات الأخرى اللازمة في المسح فتشمل كحد أدنى على البيئات القديمة وعلم الكائنات الحية القديمة وعلم النبات القديمة. والجدير بالذكر أن اشتراك الاختصاصيين من هذه العلوم بالامكان تحديده على ضوء احتياج أعمال المسح لخدماتهم وذلك توفيرا واقتصادا لتكاليف البرنامج.

وبالاضافة الى هذه الاختصاصات فهناك الأعمال المساعدة مثل الرسم والتصوير والتسجيل المتتابع والتي يجب توفر اختصاصيون بها لتكامل فريق المسح.

معالجة نتائج المسح الشامل

باعتبار أن المسح الشامل برنامج تنفيذي ذو مدى زمني طويل ويتطلب مواسم عمل عديدة فان الجوهر في تحقيقه ونجاحه يعتمد على سرعة ومرونة التحليل والنشر العلمي.

استخدام الحاسب الالكتروني في أعمال التنقيب
تجربة معهد أخناتون

دكتور سيد توفيق
استاذ الآثار والحضارة المصرية
المساعد بكلية الآثار ـ جامعة القاهرة

في اكتوبر سنة 1966 قامت بعثة جامعة بنسلفانيا برئاسة رأي سميث Ray Smith بمسح شامل لمنطقة معابد الكرنك والاقصر للبحث عن احجار معبد الآله آتون الذي شيده له الملك اخناتون في بداية حكمه (من 1367 ـ 1350 ق.م) والتي أكدت الحفائر من قبل أن الملك حور محب احد ملوك الأسرة الثامنة عشرة ا لذين أتوا من بعده قد قام بهدم هذا المعبد للقضاء على دين آتون والعودة ثانية ا لى اله طيبة القديم آمون ر ع واستخدم احجار هذا المعبد كحشو للصروح الثلاثة التي شيدها في منطقة معابد الكرنك بعد موت اخناتون. هذه الصروح الثلاثة تعرف اصطلاحا بالثاني (غرب الكرنك) والتاسع والعاشر (جنوب الكرنك) ولقد وجد الكثير من هذه الاحجار في الصرحين الثاني والتاسع كما أن الأمل كبير، بعد أن أكدت الابحاث وجود الكثير من احجار معبد آتون بداخل الصرح العاشر أن يقوم مشروع معبد اخناتون بعد موافقة هيئة الآثار المصرية بفك الصرح العاشر خاصة وانه بحالته الراهنة على وشك الانهيار وفي هذه الحالة سيتم استخراج احجار معبد آتون والاستفادة بها عند اعادة بناء المعبد ثم اعادة تشييد الصرح من جديد.

ولعل من أهم الأسباب التي دفعت جامعة بنسلفانيا للقيام بهذا المشروع كثرة عدد الاحجار الباقية من هذا المعبد والتي وصل عددها حتى الآن الى 35,000 حجر جميعها من الحجر الرملي وذات طابع مميز اذ يصل طول الحجر الى 52 سم أو يزيد قليلا. ظلت كلها متروكة في مدينة طيبة، جزء من هذه الاحجار موجود في مخازن معابد الكرنك وجزء آخر موجود بلا مأوى خارج وداخل معبد الأقصر والبعض منها معروض الآن في المتاحف العالمية سواء في القاهرة أو أوروبا أو أمريكا.

وبدأ رئيس البعثة التفكير في القيام بمشروع جاد يقوم بتسجيل هذه الاحجار تسجيلا علميا دقيقا يساعد العلماء المتخصصين في الاستفادة منها واتصل بهيئة الآثار المصرية

وعرض عليها فكرة المشروع فأيدته بل وأمدته بكل المساعدات الممكنة التي يسرت له العمل بعد ذلك سواء في القاهرة حيث يوجد المركز العلمي للمشروع أو في الأقصر حيث توجد أحجار المعبد.

على أن عملية تسجيل الاعداد الضخمة كانت في بداية الأمر من المعوقات التي بذل المشرّوع جهدا ضخما للتغلب عليها وأخيرا توصل مدير المشروع الى امكانية استخدام الحاسب الالكتروني في تسجيل هذه الاعداد الهائلة من الاحجار.

التصوير :

وكانت الخطوة الأولى هي تصوير الاحجار في أماكنها سواء داخل جمهورية مصر العربية أو خارجها بطريقة علمية دقيقة وبنسب واحدة وذلك لتيسير عملية تجميع المناظر بعد ذلك وقد فضل التصوير بمقياس 6 × 6 سم أبيض وأسود لقلة تكاليف وايفائه بالغرض المطلوب. على ان الاحجار والمناظر الفريدة فضل تصويرها بأفلام ملونة.

ومما يسر تصوير الاعداد الضخمة من الاحجار وعدم الخلط بينها وبين بقايا أحجار معابد أخرى في نفس المنطقة ان جميع أحجار معبد آتون بطيبة لها طابع مميز سواء من الناحية الفنية أو من الناحية المعمارية. فمن الناحية الفنية كلها ترجع الى عصر الفن الآتوني وما اتسم به من تعبير صادق يرمز (للماعت) أي الحقيقة التي عاش عليها صاحب الدعوة اخناتون.

أما من الناحية المعمارية فتعتبر احجار هذا المعبد فريدة هي الأخرى فجميعها من الحجر الرملي ولها حجم معين اذ يصل طول الحجر الى 52 سم أو يزيد قليلا (وهو كما تعلم طول الذراع المصري القديم) وعرضه 26 سم وارتفاعه 22 سم وقد اطلق عمال الحفائر في بداية هذا القرن على هذه الاحجار اسم «التلاتات» وهي تسمية عامية مصرية رُبما لأن طول الحجر لا يزيد عن ثلاثة أشياء.

وقد أعطى لكل حجر تسعة أرقام كتبت على سطحه الغير منقوش تعبر عن هويته وتميز شخصيته. فالرقمان الأول والثاني لمعرفة مكان الحجر هل هو في مخزن أو في متحف أو داخل الجمهورية أو خارجها والرقمان الثالث والرابع تحدد القسم Section الذي به الحجر في هذا المخزن أو المتحف أما الارقام الخامس والسادس فهي توضح مكان الحجر من بداية القسم والرقمان الثامن والتاسع فيوضحان ارتفاع الحجر عن مستوى سطح الارض من القسم المعين.

بجانب هذا اتخذت الافلام ارقاما مسلسلة تبدأ برقم (1) وصور بكل فيلم اثنتا عشرة صورة لاثني عشر حجرا واحيانا قد تزيد وذلك في حالة تصوير حجرين.في صورة واحدة (انظر صورة رقم 1).

ولكي أوضح لسيادتكم هذا أمامنا الآن فيلم رقم 705 وبه اثنتا عشرة صورة لاثنى عشر حجرا. كل صورة تحمل رقم الفيلم وتسعة ارقام هي هويتها الشخصية فاذا اخذنا على سبيل

المثال الصورة رقم (1) من اليسار ترى عليها 9 ارقام الرقمان الأول والثاني وهما 51 يوضحان ان هذا الحجر موجود في مخزن رقم (1) وهو احد المخازن الموجودة بمنطقة معابد الكرنك والرقمان الثالث والرابع وهما 22 يوضحان القسم الموجود به الحجر داخل هذا المخزن وهو هنا قسم رقم (22) اما الارقام الخامس والسادس والسابع وهي 040 فهي توضح مكان الحجر من بداية هذا القسم وهو هنا على بعد 4 امتار من بدايته والرقمان الثامن والتاسع يوضحان ارتفاع الحجر عن مستوى سطح الارض وهو هنا 01 أي على ارتفاع 10 سم من مستوى سطح الأرض.

برنامج التسجيل :

بعد التصوير أتت مرحلة أخرى وهي كيفية تسجيل هذه الاعداد الهائلة من الاحجار بواسطة الحاسب الالكتروني Computer على صفحات الـ IBM أي International Busines Machines والتي سنطلق عليها من الآن اصطلاحا اسم جداول المعلومات اذ ان كل صفحة من صفحات الـ IBM تشمل على جدول ضخم به ثمانون من الاعمدة الراسية وواحد وثلاثون من الصفوف الافقية وقد قام اعضاء المكتب العلمي للمشروع من المصريين بعمل برنامج كامل استغرق اعداده ثلاثة شهور كاملة اشتمل على 52 صفحة من الحجم الكبير وبها كل المعلومات التي يمكن ان تكون على احد هذه الاحجار اذا خصص هذا البرنامج لكل حجر 70 مربعا بداخل كل منها رمز معين يذكر معلومة بعينها خاصة بهذا الحجر تبين رقم الحجر ومكانه وحجمه وما عليه من ألوان، وتبين حجم قرص الشمس وهل هو مزين : الصل الملكي أو بدونه وتبين اشعة الشمس احجامها وألوانها وزواياها وهل هي منقوشة نقشا بارزا ام نقشا غائرا وهل تنتهي باياد انسانية كما هو متبع في عهد اخناتون وما حجمها وهل الايادي بعلامة ♀ ⇕ h c أو علامة ☥ s ? w كذلك يبين هذا البرنامج الخطوط الافقية العمودية الموجودة على الاحجار واماكنها على وجه التحديد لان تتبع الخطوط المستقيمة على الاحجار تسهل عملية تجميع المناظر كما يبين هذا البرنامج أيضا المناظر المختلفة واحجامها وألوانها وطبيعتها هل هي كاملة أم ناقصة وما هو الجزء الناقص فيها بالنسبة للافراد هل هو رأس أم كتف أم ذراع أم ساق أم قدر .. الخ. وان كانت كاملة هل هي مناظر ملكية أم شعبية هل هي دينية أم دنيوية ثم اخيرا يبين هذا البرنامج النقوش الهيروغليفية واحجامها وألوانها وهل هي عمودية أم رأسية وهل هي تتجه من اليمين الى اليسار أو العكس وهل بها اسماء ملكية أم أسماء إلهية أم اسماء غير معروفة كما يوضح النصوص ومعانيها المختلفة.

ولكي أوضح لسيادتكم هذا سنأخذ الصفحة رقم (36) من هذا البرنامج كمثل وهي تظهر البيانات التي يجب ان توضع في العمود رقم (57) من جداول المعلومات حسب الحاجة اليها وكما هو معروف لسيادتكم اننا نستخدم الابجدية الانجليزية مضافا اليها بعض الارقام والرموز طبقا لقواعد تكتيكية معينة.

والى سيادتكم الرموز ومعانيها المختلفة والموجودة في الصفحة المذكورة من برنامج التسجيل والتي يجب أن توضع حسب الحاجة اليها في العمود رقم (57) من جداول المعلومات.

// = فرعون
12 = ملكة
11 = أميرة
A = موظف ملكي
B = رئيس الحريم
C = وصيفة ملكية
D = كاهن
E = جندي
F = عامل
G = فلاح
H = مناظر الرعاة
I = مناظر الراقصات والراقصين
K = اسرى
L = اسيويون
M = نوبيون
N = ليبيون
O = طفل أو أطفال
P = كاتب أو كتبة
Q = نحات
R = فنان
S = حامل المروحة
T = حامل المحفة
U = حامل القرابين
V = حامل الصندل الملكي
W = شيال أو حمال
X = مناظر أخرى
Y = مناظر غير واضحة
Z = رجل واقف
0 = رجل منحن
1 = رجل راكع
2 = رجل جالس
3 = سيدة
4 = رجل
5 = حامل علامة مقدسة
6 = الة أو الهة
7 = رجل يقبل الارض
8 = شكل ملكي

تسجيل الاحجار :

ثم أتت بعد ذلك مرحلة أخرى وهي عملية هذه الاحجار طبقا لما هو متفق عليه في برنامج التسجيل الذي أشرنا إليه من قبل على صفحات الـ IBM وقد خصصت صفحة كاملة من صفحات الـ IBM لكل فيلم يشتمل على اثنتي عشرة صورة لاثني عشر حجرا (انظر الجدول رقم 2) وتزيد احيانا وقد خصص لكل حجر صف كامل من الصفوف الافقية به ثمانون مربعا خصصت للمعلومات التي على الحجر والتي رمز لها ـ كما سبق القول ـ بحروف وارقام معينة متفق عليها يفهمها المتخصص. وقد قام بهذا العمل مجموعة من الشباب المصريين المتخصصين في ميدان الآثار المصرية.

وبعد ان تم ملء جداول المعلومات هذه قامت شركة الـ IBM بتفريغها فيما يطلق عليه اسم Punch Cards أو الكروت المثقبة (انظر الكارت رقم 3) ثم اعطت كل هذه المعلومات الى الحاسب الالكتروني الذي هضمها واحتفظ بها ليخرجها لنا طبقا لما نريد في صورة قوائم مختلفة مليئة بالمعلومات وصل عدد صفحاتها الى 5224 صفحة وهي على الوجه التالي :

1 ـ قائمة عامة بجميع الاحجار طبقا لارقام الافلام من 1 ـ 2050 فيلم.

2 ـ قائمة خاصة بجميع الاحجار طبقا لارقام الاحجار ذاتها والتي شرحتها من قبل.

3 ـ قائمة للاحجار التي بها مناظر تمثل قرص الشمس واشعتها واحجامها وزواياها وألوانها.

4 ـ قائمة للاحجار التي عليها مناظر للافراد المختلفين احجامهم ووظائفهم توضح ما يقوم به الفرد من عمل كما تميز المواقف من الجالس أو الراُكع كما توضح هل هو كاهن ام عامل ام جندي ام كاتب ام اجنبي ام فلاح ... الخ.

5 ـ قائمة بحجم الاحجار وألوانها وهل هي بعرضها Headers أي ان الحجر يوضع بطوله تجاه الحائط.

6 ـ قائمة بأنواع النقوش هل هي غائرة ام بارزة.

7 ـ قائمة بأنواع الاشياء تبين هل هي قرابين ام بخور أم أواني أم صولجانات أم عربات أم مراوح أم أشجار أم تماثيل أم ملابس ملكية ... الخ.

8 ـ قائمة بأنواع المناظر Type of scenes تبين نوعية المناظر هل هي مناظر ملكية أم شعبية هل هي مناظر زراعية أم نبلية أم حربية أو معمارية أو عائلية أم رياضية وما شابه ذلك.

9 ـ قائمة للنقوش الهيروغليفية توضح أسماء الالهة والملوك والملكات والاميرات كما توضح هل النقوش افقية أم عمودية وهل هي تتجه الى اليمين أو اليسار. وذلك طبقا لمقاييس دقيقة تسهل عملية تجميع هذه النصوص وقراءتها.

التصنيف :

وبعدْ الانتهاء من التسجيل والحصول على قوائم المعلومات بدأت مرحلة أخرى اعتمدت كلية على هذه القوائم وهي مرحلة التصنيف اذ وضعت احجار المعبد مصنفة على لوحات زجاجية مرقمة ليسهل بعد ذلك عملية تجميع المناظر والنصوص وقد صنفت على الوجه التالي :

1 ـ لوحات مناظر الاميرات.
2 ـ لوحات بها مناظر الملوك والملكات.
3 ـ لوحات بها مناظر العربات الحربية والاحصنة.
4 ـ لوحات بها مناظر قرص الشمس.
5 ـ لوحات بها مناظر اشعة الشمس.
6 ـ لوحات بها مناظر كرسي العرش.
7 ـ لوحات بها مناظر القرابين وموائدها.
8 ـ لوحات بها مناظر الجنود والاعمال العسكرية.
9 ـ لوحات بها مناظر الرعاة.

10 ـ لوحات بها مناظر مياه واسماك.

11 ـ لوحات بها مناظر طبيعية.

12 ـ لوحات بها مناظر مراكب.

13 ـ لوحات بها مناظر تمثل الكورنيش المصري.

14 ـ لوحات بها مناظر معمارية.

15 ـ لوحات بها مناظر صالة الملكة نفرتيتي.

16 ـ لوحات بها مناظر أخرى.

17 ـ لوحات بها نصوص هيروغليفية.

18 ـ لوحات بها الخراطيش الملكية.

19 ـ لوحات بها الخراطيش الالهية.

20 ـ لوحات بها اسماء اخناتون ونفرتيتي.

التجميع وكيفية تكوين المناظر :

وبعد انتهاء من التسجيل للاحجار على صفحات الـ IBM أتت مرحلة أخرى وهي عملية تجميع المناظر والنصوص وقد اعتمد المتخصصون في هذه المرحلة على قوائم المعلومات الخاصة بالحاسب الالكتروني والمفرغة علىُ لوحات التصنيف الزجاجية. وقد كانت الخطوط المستقيمة ـ على بساطها ـ سواء الافقية أو الرأسية باحجامها المختلفة من العناصر التي ساعدت على تجميع المناظر والنصوص وذلك طبقا للبرنامج المعد لها كذلك أثبتت الابحاث ان بناء هذا المعبد اتخذ نظام المدماك المستطيل أي ان الاحجار توضع بطولها تجاه الحائط ثم يليه مدماك عرضي أي ان الاحجار توضع بعرضها تجاه الحائط يليه المدماك المستطيل وهكذا. وكانت هذه هي القاعدة المتبعة في بناء معبد آتون الا في حالات خاصة معروفة لدينا تشذ عن هذه القاعدة. وعلى هذا أصبح من المعروف ان الاحجار التي تأتى على يمين أو يسار الـ Stretcher وهو الحجر الذي يوضع بطوله تجاه الحائط يجب أن تكون Stretchers اما الاحجار التي توضع فوقه أو تحته فيجب أن تكون Headers وهي الاحجار التي توضع بعرضها تجاه الحائط مثلا هناك حجر بطوله Stretcher عليه منظر يمثل رأس اخناتون (صورة رقم 4) متجها الى اليسار ومتوجا بالتاج الأزرق الذي نرى الجزء الاسفل منه على هذا الحجر ومحاطا باشعة الشمس على هيئة خطوط مستقيمة ذات زوايا معينة وطبقا للقاعدة السابقة فان الاحجار التي تأتي فوقها أو تحتها يجب ان تكون بعرضها Headers وعلى هذا فالبحث في لوحات التصنيف الخاص بالتاج الأزرق نجد ان عددها ثلاثون حجرا باحجام مختلفة منها خمسة فقط محاطة باشعة الشمس بنفس الزوايا الموجودة على الحجر الذي عليه منظر يمثل رأس اخناتون وعلى هذا فينصب البحث فقط على هذه الاحجار الخمسة حتى نجد التاج المطلوب. ثم نتبع نفس الطريقة في الحصول على الجسد المطلوب لاخناتون وهكذا.

ومن هنا نرى أن الحاسب الالكتروني في ميدان الاثار اصبح عاملا أساسيا بالنسبة للاعداد الكثيرة من الاحجار وما يحتوي عليه من نقوش ومناظر اذ انه من غير المعقول ان يبحث المتخصص عن التاج الازرق المطلوب بين 35,000 حجرا أما في حالة استخدام الحاسب الالكتروني فينصب البحث فقط على خمسة احجار قد تزيد أو تقل كما شرحت لسيادتكم.

واحب أن اضيف هنا ان الحاسب الالكتروني اصبح اليوم في امكانه طبقا للبرنامج المعد له ان يكتب اصعب النصوص الهيروغليفية وفي اسرع وقت ممكن لا يتخيله انسان (انظر شكل 5).

المشروع وما حققه من نتائج :

استطاع المشروع في فترة العشر سنوات الماضية تصوير وتسجيل 35,000 (خمسة وثلاثين ألف) حجر وهناك احتمال أن يصل هذا العدد الى 50,000 (خمسين ألف) حجر وذلك بعد الاستفادة من الاحجار الموجودة داخل الصرحين التاسع والعاشر.

وعلى ان الهدف الأساسي من المشروع هو نشر الحقائق العلمية الخاصة بهذا المعبد وقد ظهرت بالفعل عشرات من المقالات والكتب باسم المشروع على انه يجب ان نعلم ان هذا العدد الضخم من الاحجار لا يزيد عن 40 % من أحجار المعبد وهذا هو ما اثبته الحاسب الالكتروني طبقا لما تم بالنسبة للمناظر المجمعة فقلة قليلة جدا تكاد تكون كاملة. أما باقي المناظر فيصعب تكملته بما لدى المشروع من احجار الآن وعلى هذا فهناك اعتقاد بأن الاحجار هذا المعبد قد تصل الى مائة ألف حجر منقوش على أقل تقدير. وقد تمكن المشروع من تجميع ما يزيد على ألفي منظر بين صغير وكبير كلها تلقي الضوء على هذه الفترة الفريدة من تاريخ مصر الفرعوني لما فيها من عقيدة وفن.

وفي ختام هذا المقال قد يكون من المفيد ان نذكر اهم ما توصل اليه المشروع من الناحية الاثرية حتى الآن.

1 ـ ان اخناتون لم يكن شريكا لوالده امنحتب الثالث للحكم بل تولي عرش مصر بعد وفاته على عكس اراء اغلب علماء المصريات ـ اذ لم يذكر اسم والده على احجار هذا المعبد الذي شيده اخناتون في بداية حكمه. فلو كان شريكا معه لوجدنا اسمه على الأقل منقوشا أو مصورا على احجار هذا المعبد وقد اكدت الابحاث ان منحتب الثالث لم يذكر في نص أو يصور في منظر ولو مرة واحدة على هذه الاحجار.

2 ـ اسماء المعابد التي شيدها اخناتون في طيبة واسماء مقاصيرها كما أبرزت تطورات التي حدثت لاسم الالة آتون في طيبة.

3 ـ ان اخناتون قد تزوج احدى بناته فهناك نص يقول (الزوجة الملكية ابنته من صلبه، محبوبته «مريت آتون» المولودة من الزوجة الملكية الكبرى نفرتيتي).

4 ـ ان نفرتيتي لم تكن ملكة فحسب بل وصلت أيضا الى مصاف الالهات وقد ذكرت النصوص التي وردت على الاحجار بأن هناك أكثر من هيكل خصص لها ربما لتتعبد فيه أو ليتقدم لها فيه الشعائر الدينية باعتبارها ملكة مقدسة اذ أكدت المناظر أيضا انها تقدم «الماعت» مثل زوجها الملك اخناتون ـ الى قرص الشمس.

5 ـ استطاع المشروع ـ عن طريق الصور ـ اعادة بناء صالة للاعمدة كاملة خصصت مناظرها لنفرتيتي وعلاقتها الدينية بالالهة آتون هي وابنتها «مريت آتون» و «مكتت آتون» ولم يذكر اسم اخناتون أو صورته على جدران هذه الصالة ولو مرة واحدة وصالة الاعمدة هذه تعتبر الأولى من نوعها في التاريخ الفرعوني كله فلم يحدث من قبل عهد اخناتون أو من بعده ان شيدت صالات أو مباني أو مقاصير للملكات في هذه الصورة المميزة دون الملوك.

وبعد فهذه نبذة موجزة عن استخدام الحاسب الالكتروني في ميدان الآثار المصرية واحب أن أوضح انه لولا استخدام الحاسب الالكتروني بامكانياته التي لا حدود لها لما استطاع المشروع ان يظهر بنتائجه في عشر سنوات فقط ولا ستمر العمل فيه لمدة تزيد عن الثلاثين عاما على اقل تقدير.

الوسائل التنبؤية الحديثة
في التنقيب والكشف عن الآثار

الدكتور زكي اسكندر
الاستاذ بكلية الآثار بجامعة القاهرة
الدكتور شوقي نخلة
مركز البحوث والصيانة بالهيئة العامة
للاثار المصرية
جمهورية مصر العربية

قدم العلم ولا يزال يقدم كل يوم خدماته ووسائله المتعددة لحل كثير من المسائل الاثرية فقد استنتجت معظم معلوماتنا الاثرية عن حياة الانسان في الماضي، نشأته، وتطوره، وحرفه، وصناعاته، وصلاته التجارية والثقافية، بل وامراضه ووسائله الطبية العلاجية، والظروف الجوية التي عاش ابانها، فن الدراسة العلمية للاشياء التي نعثر عليها في مقابره ومراكز اقامته من قرى ومدن، لا من الاشياء نفسها. فاذا فحصنا مثلا قطعة من اثر مصنوع من النحاس بالميكروسكوب المعدني امكننا ان نكشف هل شكل هذا الاثر بطرق النحاس الصلب في درجة الحرارة العادية، أو بطرقه على الساخن، أو بصب النحاس المنصهر في قالب. واذا حللت مادة هذا الفلز القديم تحليلا كيميائيا دقيقا، فقد يمكن عن طريق التعرف على العناصر النادرة وتقدير نسبتها الاستدلال على المصادر الأصلية لخامات هذا الفلز، وبالتالي الاستدلال على الصلات التجارية بين الشعوب، والامثلة على ذلك كثيرة ومتعددة الجوانب.

غير أنه ليس من العدل ان ننظر الى الامر من جانب واحد، فالعلوم الطبيعية تقدم خدماتها لعلم الاثار دون مقابل، اذ ان علم الاثار أيضا يقدم للعلوم خدمات سامية مقابلة، فكل هذه العلوم انما تبحث عن اصولها بمعاونة علم الاثار، كما انه يعاونها في الحصول على كثير من انجازاتنا واستنتاجاتنا العلمية في الوقت الحاضر، فالمواد العضوية القديمة المعروفة التاريخ مثلا هي التي ساعدت الاستاذ ليبي على ابتكار طريقة التأريخ بالكربون المشع بل انها اعطته المفتاح الذي على أساسه امكنه تقدير فترة نصف العمر للكربون المشع، ولولا هذه العينات لما

امكن تقدير هذه القيمة بدقة. ولولا احتفاظ الفخار القديم ببعض الخواص المغناطيسية للارض في وقت حرقه لما أمكن معرفة كنه وقيمة التغيرات التي حدثت في المجال المغناطيسي للارض على مدى العصور. فالتعاون اذن بين علم الاثار والعلوم الطبيعية انما ينطوي على مصلحة متبادلة ونفع عظيم لكل فروع العلم وامر ضروري لتقدم البحوث العلمية في كل المجالات (1).

ومن اطرف استخدامات العلوم الطبيعية في الميدان الاثري استخدام الوسائل التنبؤية الحديثة في التنقيب والكشف عن الاثار، أي الكشف عما في باطن الارض من ثروات وكنوز دون ان يقوم العالم الاثري بالحفر فيها.

وكان الانسان من قبل يظن ان التنبؤ باماكن الكنوز المطمورة في باطن الأرض دون حفر امر غير معقول ولا يصدقه الا بعض ضعاف العقول ممن يعتقدون في اعمال السحر والشعوذة، بيد ان العلم قد لجأ منذ أواخر القرن الماضي الى توجيه بحوثه ودراساته الى الامر الغير محسوسة أو ملموسة مثل الموجات الكهرومغناطيسية والاشعاعات، والاستفادة منها تطبيقيا، بحيث توصل الى كثير جدا من انجازاته واختراعاته عن طريقها، وبذلك رأى الانسان ان الامور التي كانت تبدو له من قبل غير معقولة اصبحت الآن معقولة التصديق والتحقيق. ولعل ابلغ مثل ذلك استخدام الاشعة السينية للكشف عما في داخل الجسم من مواد غريبة أو من عيوب أو كسور دون اجراء عمليات جراحية. وهكذا تهيأ تفكير العلماء لاستخدام الوسائل العلمية المختلفة، سواء كانت فيزيائية أو كيميائية أو جيولوجية للكشف عما في باطن الأرض من مواد، ونشط العلم في هذا الاتجاه، ونجح في تطبيق وسائله في الكشف عن البترول في باطن الارض بالطرق الجيوفيزيائية والكيميائية. ثم استغل العلماء بعض هذه الأساليب العلمية للكشف عن الاثار المطمورة في باطن الأرض أو تحت الماء، وذلك بعد تعديلها التعديل المناسب للكشف عن الطبقات السطحية، بل واضافوا اليها وسائل أخرى خاصة للتطبيق في الحقل الاثري.

وتتضمن الوسائل العلمية التنبؤية التي تستخدم في التنقيب والكشف عن الاثار المطمورة في الأرض، أو الغير معروفة داخل المقابر أو الاهرامات، أو المغمورة في الماء، ستة اقسام هي :

1 ـ التصوير الجوي.
2 ـ التصوير بالاشعة السينية وبالاشعة الكونية.
3 ـ التحليل الكيميائي.
4 ـ فحص حبوب اللقاح.
5 ـ الطرق الجيوفيزيائية.
6 ـ الكشف عن الاثار المغمورة تحت الماء.

وستتناول كلا منها بالشرح فيما يلي :

أولا : التصور الجوي : Air Photography

اذا أزيلت التربة من بعض الأجزاء في موقع ما وأقيم في مكانها مبنى، أو أقيم هذا المبنى فوق التربة نفسها، وحدث بعد ذلك أن انطمرت البقعة التي تحتوي البناء تحت التربة أو الترسيبات الطفلية ثم زرعت، فان النباتات التي تنمو فوقها ستترعرع بطريقة تخالف ترعرعها في الأجزاء الأخرى من التربة التي لم تحدث فيها أي تغييرات انشائية. وقد فطن العلماء العاملون في الحقل الأثري لهذه الحقيقة، وصاروا يبحثون عن أي علامات تدل على حدوث تغييرات في باطن التربة، عالمين انها انما تنبئ عن سابق استقطانها أو استخدامها لأي غرض آخر بوساطة اسلافنا، واخذوا يفحصون هذه الاجزاء، وفي كثير من الأحيان يتحقق ظنهم ويجدون فعلا تحتها بعض بقايا المنشئات الاثرية. غير انهم لم يتمكنوا من الربط بين هذه البقع المتناثرة لمعرفة الشكل العام للمباني الاثرية. وكذلك وجدت في المواقع الأثرية أو في خرائب المدن القديمة اجزاء متناثرة ظاهرة ولكن يصعب الربط بينها لمعرفة التخطيط العام للمنشئات التي كانت قائمة في هذه المواقع أو الخرائب.

ولكن سرعان ما كشف السلاح الجوي أنه يمكن الربط بين البقايا المتناثرة أو اجزاء التربة المغطاة بالمزروعات بواسطة التصوير الجوي، اذ يمكن عن طريق هذه الصور تحديد الرسم الهندسي للمباني بل وأخذ فكرة عن التخطيط العام للموقع وعلاقة الوحدات القائمة به بعضها ببعض، بل والطرق التي تصل بينها أو الخنادق التي تحيط بها ... الخ.

على أن تفسير الصور الجوية لتحديد المعالم الاثرية قد يقود العالم الأثري الى استنتاجات غير صحيحة بسبب بعض التعقيدات الطبيعية في التربة واستخداماتها الحديثة في بعض نواحي العمران، ويجب في مثل هذه الحالات عمال مقارنات بين مظهر مناطق معروفة للاثري والمواقع الأخرى التي ظهرت في الصورة ولم تكن معروفة له من قبل، لامكان الوصول الى استنتاج صحيح أو قريب من الصحة فيما يختص بكنهها أو طبيعتها. ويسترشد العالم الأثري في تفسيره للعلامات الموجودة في الصورة الجوية للموقع بعدة عوامل منها : حجم العلامات، وشكلها، وتوزيعها، ولونها، ومظهرها السطحي، وأوقات ظهورها في الصورة، وأوقات عدم ظهورها، وهكذا ...

وفي هذا التكنيك من التصوير تستعمل أفلام بالأبيض والأسود أو أفلام ملونة مع استخدام مرشحات خاصة لامكان التصوير بالأشعة الزرقاء أو الفوق بنفسجية أو تحت الحمراء، مع تحديد الوقت المناسب طبقا لقوة الاضاءة وحساسية الفيلم، وسرعة الطائرة وارتفاعها عن الأرض، وطبيعة المنطقة (2).

ويستخدم الاثريون طريقتين رئيسيتين للتصوير الجوي للكشف عن المواقع القديمة، أحداهما التصوير الرأسي، والأخرى التصوير المائل، طبقا لطبيعة الموقع الأثري الذي تجري دراسته (2).

فإذا حدث أن وجدت جدران من اللبن في حقل منزوع، فان طبقات الطين تحت المزروعات في مواضع هذه الجدران تكون اسمك ونسبة الرطوبة بها أكبر، مما يؤدي الى سرعة نمو المزروعات ونضجها مبكرة عن أوانها، ولذلك تكون في التصوير الجوي الرأسي ذات لون أغمق من ألوان المزروعات التي تحيط بها، فيمكن بذلك تحديد موقع الأثر، بل ويمكن معرفة معظم تقسيماته الداخلية. اما اذا كانت الجدران من الحجر في وسط تربة طينية فان المزروعات لا تنمو فوقها بنفس قوة نمو المزروعات التي حولها، ومن ثم تكون في التصوير الجوي الرأسي افتح لونا عما حولها، وبذلك يمكن تحديد موقعها أيضا (3، 4).

أما الصور التي تؤخذ مائلة بينما تكون اشعة الشمس في الوضع المناسب فتظهر فيها خطوط تقسيم عن طريق الظل الذي ينكسر عنها. ومن هذه الصور يمكن توقيع المسقط الأفقي للمباني وعمل خرائط حتى للمعروف منها أسرع مما يمكن عمله بواسطة المسح الأرضي (3، 4).

ثانيا : التصوير بالاشعة السينية وبالاشعة الكونية :
Radiography and Probing with Cosmic Rays

من أبرز مظاهر الحضارة الحديثة امكان التصوير الفوتوغرافي لأي جسم لاظهار شكله بامانة تامة بحيث تظهر فيه بوضوع معالم الجسم أو الشخص دون تحسين أو تشويه حتى أنه ليمكن التعرف على أي شخص أو أثر من صورته. وهذا التصوير الفوتوغرافي الذي يجري باستخدام الضوء العادي انما يظهر الشكل الخارجي للجسم المصور ولكنه لا يمكنه أن يظهر ما بداخله.

وفي عام 1895 اكتشفت الأشعة السينية التي لها القدرة على النفاذ في الاجسام، وتتوقف قوة نفاذها في أي جسم على كثافته، فكلما قلت كثافته كلما زادت شفافيته لهذه الأشعة، وعلاوة على استخدامها في الأغراض الطبية، كما سبق اذ ذكرنا، لاظهار ما بداخل الجسم من عظام مكسورة، أو أي تشويهات عظمية طبيعية، أو للكشف عن الحصى في الكليتين أو المرارة، وغير ذلك، فقد استخدمت أيضا في الميدان الأثري للكشف عما يقع تحت الطبقة السطحية لبعض الاثار من طبقات أخرى بها نقوش أو لها طبيعة مغايرة لطبيعة السطح الظاهر، أو تخفي شيئا هاما بداخلها، مثل ذلك مومياء الملكة نجمت من الاسرة الحادية والعشرين (حوالي 1050 ق.م.) التي اظهر تصويرها بالاشعة السينية احتواء فراغها الصدري على جعران قلب وعلى أربعة تماثيل صغيرة لاولاد حورس الأربعة.

ونجاح الأشعة السينية في تصوير مكونات جسم الانسان وبعض الاثار لا يعني امكانية استخدامها لتصوير داخل أجسام أخرى أكثر كثافة أو أضخم حجما، ففي الصناعة مثلا لا يمكن للاشعة السينية أن تبين شرخا داخليا في جسم من الحديد، وانما يلزم استخدام أشعة أخرى ذات طاقة أكبر وموجة أصغر حتى تكون لها قوة نفاذ أكبر، وقد وجد أن أشعة جاما تفي

ببعض هذه الأغراض، وهي اشعة تنبعث من التفتيت التلقائي الطبيعي لنواة ذرات العناصر المشعة كالراديوم، وقد يمكن بواسطتها تصوير التركيب الداخلي للاجسام الصلبة في حدود طاقتها، وايضاح ما بها من عيوب أو عدم تجانس، واصبح التصوير باشعة جاما من أهم وسائل الاختبار والفحص في المجالات الصناعية، أما في حالة أجسام في ضخامة الاهرامات، فان أشعة جاما تقف عاجزة عن اختراق مثل هذه الجدران السميكة لما تتطلبه من أشعة ذات قدرة نفاذ خارقة وطاقة عالية جدا.

ومن الغريب أنه بينما نحن نبحث عن مثل هذه الاشعة، يتضح لنا انها كائنة في الجو الذي نعيش فيه، بل في الكون باجمعه وهذه الاشعة الكونية التي تسقط بصفة منتظمة من الفضاء الخارجي على سطح الكرة الأرضية.

وتتكون هذه الاشعة من جسيمات شحنات كهربائية وتعرف بالميونات، أي ميزونات ميو، وتسقط على كل الاجسام الموجودة في الطبيعة بنفس القوة في كل الاتجاهات سواء كانت رأسية أو مائلة بمعدل حوالي 10000 ميون على المتر المربع الواحد في الثانية. ولهذه الجسيمات قوة خارقة للنفاذ في المواد المختلفة، غير أن قوتها تقل تدريجيا كلما توغلت داخل المواد المختلفة. وتتوقف كمية الميونات النافذة على كثافة المادة، وسمكها وطاقة الميون، اذ ان طاقة هذا الجسم تقل تدريجيا أثناء مساره نتيجة تأيينه لذرات الوسط الذي تمر فيه، ولذلك نرى ان مدى كل من هذه الجسيمات، أي طول المسار الذي يقطعه داخل الحجر حتى يستقر أو يتوقف عن الحركة، يختلف من ميون الى آخر طبقا لطاقته الاصلية وطبقا لسمك الحجر وكثافة المادة التي يخترقها. ويمكن قياس قوة الاشعة الكونية النافذة باستخدام جهاز خاص يسمى غرفة الشرار Spark Chamber وهو جهاز يتولد فيه الشرار بين زوجين من الألواح المعدنية كلما مرت بين لوحية احدى جسيمات الاشعة الكونية النافذة.

وعلى هذا الأساس اعتمدت الطريقة التي استخدمت للكشف عن وجود غرف أو ممرات غير معروفة لنا حتى الان داخل الهرم الثاني بالجيزة (حوالي 2600 ق.م.). وقد اشترك فيإجراء هذا البحث قسم الطبيعة بكلية علوم عين شمس ومعمل لورانس للاشعاعات بجامعة كاليفورنيا في بيركلي بالولايات المتحدة الامريكية، والهيئة العامة للآثار المصرية بالقاهرة فاذا كانت في الهرم ممرات أو حجرات غير معروفة حقا، فان سمك الحجر الذي ستمر فيه الاشعة الكونية في الاتجاهات التي توجد فيها، سيكون اقل من سمك الحجر في الاتجاهات الاخرى الصماء، ومن ثم تكون كمية الاشعة الكونية التي يمكنها النفاذ الى حجرة الدفن في الاتجاهات التي بها هذه الحجرات أو الممرات الخالية أكبر.

ولذلك فقد وضعت في حجرة الدفن بالهرم غرفتا شرار في وضع أفقي ويبعدان عن بعضهما بمسافة تبلغ حوالي 30 سنتيمترا في الاتجاه الرأسي، وسجلت الشرارات التي تولدت فيهما على شريط تسجيل مغناطيسي، وترجمت هذه المعلومات باستخدام العقل الالكتروني الذي أعطى بدوره صورة لداخل الهرم. وقد دلت هذه الصورة على امرين:

1 – ان غرفة الدفن لا تقع تماما في مركز قاعدة الهرم، بل انها تنحرف نحو الشمال الشرقي بعدة أمتار وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة المسح المعماري لداخل الهرم.

2 – انه لا توجد أي فراغات من غرف أو ممرات غير معروفة لنا داخل الثلث العلوي للهرم.

وقد اعلنت هذه النتيجة في 30 ابريل سنة 1969.

ولما كان الجهاز الذي استخدم لا يتمكن الا من تسجيل الاشعة الكونية النافذة من الثلث العلوي للهرم، فقد اعيد اجراء التجربة باستخدام غرفتي شرار متحركتين حتى يمكن تسجيل الاشعة النافذة في كل الاتجاهات حتى قاعدة الهرم. وقد دلت النتائج التي تم تسجيلها على ان الهرم لا يحتوي على أي فراغات أخرى غير التي نعرفها في كل اجزائه وقد اعلنت هذه النتيجة عام 1974.

ثالثا : التحليل الكيميائي لعينات التربة Soil Analysis

تصلح هذه الطريقة وهي محدودة التطبيق، لتحديد الاماكن التي كانت يوما ما آهلة بالسكان، أو تلك التي استخدمت كجبانات ضاعت معالمها ولم تعد ظاهرة للعيان. فاذا سكن الانسان مكانا، فان التركيب الكيميائي للتربة في هذا المكان يتغير عن تركيبها في الأماكن الاخرى المحيطة بمنطقته، أو البعيدة عنها. وذلك لما يتخلف بها من فضلات وما يلقي فيها من نفايات أو عظم. ولما كانت النفايات التي يفرزها الانسان، أو تفرزها الحيوانات المستأنسة غنية بالفوسفات والنيتروجين والكربون، والعظام تتألف اساسيا من فوسفات الكلسيوم، فان نسبة هذه المكونات الاربعة على الاقل وهي الفوسفات والكلسيوم والنيتروجين والكربون، وبصفة خاصة الفوسفات، تزيد بدرجة واضحة في هذه الأماكن دون غيرها.

ومن ثم يمكن تحليل عدة عينات من التربة في الاماكن المختلفة لتحديد البقع الغنية في هذه العناصر الاربعة معا، وبالتالي تعيين المواقع التي كانت آهلة بالسكان. ثم يمكن بصفة تقريبية ايجاد حدود البقعة التي كانت مسكونة عن طريق تحليل عينات مأخوذة من التربة على مسافات منتظمة في اتجاهين متعامدين. ويقتصر اجراء الحفائر في هذه البقع بدلا من اجرائها في كل المنطقة.

وتسمى هذه الطريقة عادة بطريقة الفوسفات Phosphate Analysis للاقتصار غالبا على ايجاد نسبة الفوسفات فقط، لدواعي السرعة، وهي كافية في معظم الاحيان غير انه اذا كانت ثمة بعض التعقيدات الطبيعية في تركيب التربة مما أدى الى زيادة نسبة الفوسفات في هذه المنطقة، أو اضافة مخصبات صناعية من الفوسفات، فانه من الواجب في هذه المجالات، وهي قليلة، تحليل عينات من التربة للمكونات الاربعة السابقة حتى يمكن تحديد الاجزاء التي سبق للانسان ان سكنها بضمان أكبر (5).

رابعا : فحص حبوب اللقاح Pollen Analysis

تحدث عمليات التلقيح في النباتات الزهرية عادة بانتقال حبوب اللقاح بواسطة الطيور أو الحشرات أو الرياح، وفي حالة انتقال حبوب اللقاح بواسطة الرياح فان الزهور المنتجة لهذه الحبوب تنتج كميات كبيرة منها لضمان وصول احد هذه الحبوب الى ميسم زهرة انثى قبل ان يسقط معظمها على الارض دون ان يكون له نصيب في عملية الاخصاب. والجزء الاكبر مما سقط على الارض من حبوب اللقاح يتحلل ولا يبقى منه شيئ، غير انه اذا حدث ان سقط بعضها في وسط تربة صالحة لبقائها مثل الطين الندي أو تربة حمضية أو فحمية فانها تستحجر ويمكن بسهولة التعرف عليها تحت الميكروسكوب. فاذا ثبت من الفحص وجود حبوب لقاح في التربة وانها تنتمي للنباتات التي قام الانسان بزراعتها، فان هذا يدل على ان القرية أو المدينة التي سكنها المزارعون قريبة من هذه المنطقة، وبالتالي قد تكون مقابرهم أيضا بجوارها أو على بعد قليل منها.

ويشترط في الاعتماد على نتائج هذا البحث التأكد من ان التربة الطينية محلية اصلية رأت التغيرات التي حدثت في المنطقة، وانها هي التربة التي زرعت، وليست وافدة من أماكن بعيدة، اذ يحدث في بعض الحالات ـ مثال ذلك التربة التي كانت تؤلف قيعان بعض البحيرات أو الانهار التي أصبحت الان جافة ـ ان تكون المواد الطينية المترسبة قد جلبتها الى الموقع المياه الجارية الساقطة من المناطق الجبلية المرتفعة وهي حاملة معها حبوب اللقاح الكثيرة للنباتات الزهرية التي مرت بها والتي لم تنبت في هذه المنطقة المنخفضة.

ولفحص حبوب اللقاح التي توجد في التربة تطبيقان آخرا هامان في الميدان الأثري أولهما انه يمكن عن طريق معرفة النباتات التي نمت في منطقة التربة في الطبقات المتتابعة استنتاج الظروف الجوية التي سادت في هذه المنطقة على مر العصور، اذ يدل وجود حبوب اللقاح الخاصة ببعض النباتات، مثل الصنوبر والقان، على ان الجو السائد كان باردا، بينما يدل وجود اشجار أو نباتات أخرى، مثل البلوط والسنط والدردار، على ان الجو السائد كان دافئا. والتطبيق الثاني انه قد يمكن بواسطتها تاريخ البقايا الاثرية التي توجد في طبقات التربة اذا أمكن الربط بين طيف حبوب اللقاح The Pollen Spectrum (أي أنواع حبوب اللقاح في الطبقات المتتالية) وبين نتائج تاريخ هذه الطبقات بالكربون المشع أو بطريقة عد الفارفات (أي الطبقات الطينية السنوية المتتابعة) في نفس المكان (6، 7).

خامسا : الطرق الجيوفيزيائية

تعتمد هذه الطرق على استخدام نظريات علم الفيزياء للكشف عن التركيبات الجيولوجية في القشرة الارضية، مهما كان سمكها للتنبؤ عما في باطنها من ثروات معدنية كما تم تطويرها وتعديلها بحيث يمكن تطبيقها للكشف عما في باطن الارض من كنوز اثرية، واهم هذه الطرق التي استخدمت بنجاح في الحقل الأثري طريقتان هما :

1 ـ تقدير مقاومة للتيار الكهربائي.
2 ـ قياس شدة المجال المغناطيسي.

وسنتناول كلا منهما بالشرح فيما يلي :

1 ـ تقدير مقاومة التربة للتيار الكهربائي Electrical Resistivity Surveying

هذه هي أول وسيلة جيوفيزيائية استخدمت للكشف عن الاثار المطمورة، اذ يرجع تاريخ أول تطبيق عملي لاستخدامها الى عام 1946.

وتعتمد هذه الطريقة اساسيا على قياس الاختلافات في مقاومة التربة للتيار الكهربائي فالتربة المتجانسة تكون مقاومتها للتيار الكهربائي متساوية في كل اجزائها، اما اذا وجدت بها اثار مطمورة ذات طبيعة مغايرة لمادة التربة فان المقاومة الكهربائية في أماكن وجود الاثار المطمورة تكون مختلفة، ومن ثم يمكن تحديد مكانها.

وتتوقف درجة توصيل المواد المختلفة على كميات الماء الموجودة في مسامها وعلى طبيعتها. فالاحجار الصلدة القليلة المسامية، مثل البازلت والديوريت والجرانيت، موصلة رديئة للتيار الكهربائي، بينما الصخور الطرية الأكثر مسامية، مثل الحجر الجيري، توصل التيار بدرجة أعلى ولو انها تقل كثيرا عن درجة توصيل التربة الطينية أو الرملية.

أجهزة القياس :

ابسط أنواع الاجهزة التي استخدمت لقياس مقاومة التربة للتيار الكهربائي يتألف من عمودين معدنيين صغيرين يوضع كل منهما في ثقب داخل التربة يبعد احدهما عن الآخر بمسافة قصيرة، ويوصلان بمصدر تيار مستمر، فيسري تيار كهربائي ضعيف داخل التربة (شدته حوالي 10,01 امبير في حالة استعمال بطارية 12 فولت)، ثم يقاس فرق الجهد بين عمودين وبقسمة فرق الجهد على شدة التيار نحصل على قيمة مقاومة التربة للتيار الكهربائي.

غير أنه ثبت عمليا ان الامر ليس بهذه البساطة اذ يستحيل القيام بقياس المقاومة الكهربائية بطريقة مباشرة بين نقطتين في التربة وذلك للاسباب الآتية :

أ) وجود فرق جهد من اصل كيميائي بين مادة العمودين والتربة.

ب) وجود مقاومة بين كل من القضيبين والتربة.

ج) وجود تيارات كهربائية طبيعية داخل التربة.

ونظرا لهذه التأثيرات وغيرها فان قراءات الاجهزة تكون غير دقيقة ولا يجب الاعتماد عليها. وللتغلب على هذه الصعوبات فقد ابتكرت طريقة أخرى لتجنب هذه التأثيرات، وتتلخص فيما يلي :

تحفر أربعة ثقوب (أ، ب، ج، د) في الارض على خط مستقيم وعلى ابعاد متساوية ويوضع في كل منها عمود معدني من الصلب سمكه يتراوح بين 0,9 سم و 1,5 سم، وبحيث لا يزيد طول الجزء الداخل في التربة من العمود عن 20/1 من طول المسافة الفاصلة بين كل عمودين متتاليين. ويوصل العمودان الطرفيان (أ، د) بمصدر لتيار كهربائي متردد وبذلك يمر تيار كهربائي بين الثقبين الداخليين (ب، ج)، ويقدر الفرق في الجهد بين هاتين النقطتين وهو يتناسب طرديا مع مقاومة التربة، فيما بينهما، ويعطي الجهاز المستخدم هذه المقاومة بوحدات «آلاوم» مباشرة وتعبر المقاومة هنا عن مقاومة التربة الى عمق يعادل 1,5 مرة من المسافة بين الثقبين، أي انه اذا كان الثقبان الداخليان يبعدان بعضهما عن بعض بمسافة متر، فان درجة مقاومة التربة في هذا المكان الى عمق 1,5 مترا من سطح الارض، ومن ذلك يمكن تحديد أماكن المنشئات الاثرية القديمة وكذلك تحديد اعماقها بوجه التقريب. ويتغير المسافة بين الثقوب يمكن تقدير المقاومة الى اعماق مختلفة. وفي جميع الحالات يتم القياس بأخذ القراءات في خطوط مستقيمة (من 20 ـ 30 مترا) حيث تحرك الاربعة اعمدة بعد كل قراءة على أمتداد هذه الخطوط المحددة، مع الحفاظ على نفس الترتيب بالنسبة للاعمدة الاربعة، ثم تضم النتائج التي يحصل عليها للخطوط الطولية والخطوط العرضية بحيث تعطي صورة واضحة عن مقاومة التربة وتغيراتها داخل مربع بأكمله.

وحيث ان محتوى الرطوبة له أهمية بالغة في قياسات المقاومة الكهربائية، فانه لا بدّ وان يؤخذ في الاعتبار ان محتوى الرطوبة في التربة والصخور المختلفة يختلف على مدار السنة تبعا لفترات المطر الشديد والجفاف، ومن ثم فانه يجب ان تجري هذه القياسات في الاوقات المناسبة التي يمكن ان نتجنب فيها فترات الرطوبة العالية والجفاف الشديد (1).

وبفحص الخرائط التي تربط بين نتائج تقدير مقاومة التربة للتيار الكهربائي يركز الباحث كل عنايته بالمناطق التي تعطي نتائج مغايرة لما حولها من المساحات الاخرى، ومن ثم يمكن بسهولة تحديد أماكن الجدران الحجرية في التربة الطينية، كما يمكن تحديد مواقع الجدران الطينية أو الخنادق في الاراضي الصخرية، بل ويمكن الحصول على تخطيط كامل للمبنى من هذه القراءات اذا روعي تغيير المسافة بين كل ثقب والاخر بما لا يزيد عن المسافة بين جدار وجدار.

وقد واجهت هذه الطريقة عدة صعاب في التطبيق العملي في الحقول الاثرية للاسباب الآتية :

1 ـ قد تكون قياسات المقاومة مضللة احيانا بسبب وجود جيوب طبيعية من المواد الطفيلية في المناطق الصخرية، وفي هذه الحالات قد تفسر الاختلافات في المقاومة على انها دليل على وجود اثار من اللبن أو الخنادق مملوءة بالرديم الطفلي، بينما هذا غير صحيح.

2 ـ قد تحتوي التربة السطحية على كثير من الكتل الصخرية أو الحصى مما قد يعطي نتائج خاطئة بالنسبة للمقاومة وبالتالي بالنسبة للنتائج المستقاة منها.

3 ـ من الصعب استخدام هذه الطريقة في المناطق الصخرية حيث عادة ادخال الاعمدة في الصخر الصلد.

4 ـ لا يمكن استخدام اجهزة قياس المقاومة على مدار السنة حيث يصعب استخدامها في فترات المطر الشديد أو الجفاف الشديد (9، 10).

وبالرغم من ان هذه الطريقة فقدت أهميتها الى حد كبير بسبب هذه الصعوبات وتركت المجال لطريقة القياس المغناطيسية، الا انه تجري الآن بحوث لتطوير اجهزتها لتجنب تداخل العوامل الخارجية، اذ انه يتعذر في بعض الحالات استخدام طريقة قياس شدة المجال المغناطيسي نظرا لطبيعة التربة أو بسبب شيوع استخدام حديد التسليح ومد أنابيب الحديد من مكان الى آخر مما يتداخل مع التقديرات المغناطيسية، ومن ثم تكون طريقة المقاومة الكهربائية اضمن في نتائجها على ان يراعي عند ادخال الاعمدة الاربعة ان تكون غير ملامسة لأي من الاسياج الحديدية (9).

2 ـ قياس شدة المجال المغناطيسي Magnetic Surveying

تعتبر هذه الطريقة من افضل الطرق المستخدمة للكشف عن الاثار المطمورة في باطن الارض، وذلك لبساطتها وسرعة تسجيل نتائجها وسرعة تفسيرها. ويعتمد هذا التكنيك على قياس المجال المغناطيسي الارضي في المنطقة التي يجري فيها البحث بجهاز يسمى بالمغناطومتر، فاذا كانت التربة خالية من أي اثار ولها طبيعة واحدة في كل مكان فان القراءات التي يسجلها المغناطومتر تكون واحدة في كل اجزاء المنطقة، اما اذا وجدت في التربة اجسام مطمورة مختلفة في طبيعتها عن طبيعة التربة ولها تأثير مغناطيسي مثل الحديد والفخار، وافران الطين المستخدمة في حرق الحجر الجيري أو التي تستخدم للاغراض المنزلية، أو مباني من الطوب المحروق فان القراءات التي يسجلها المغناطومتر تكون مختلفة، ويجري العمل في حالة استخدام هذه الطريقة بتقسيم الموقع الى مربعات، وقياس المجال المغناطيسي في نقط تقاطع خطوط المربعات وتسجيل القراءات على لوحات تعطي فيها علامات أو ألوان خاصة لمواضع القراءات الغير عادية، فنحصل في النهاية على بعض مناطق أو مساحات كاملة تدل على ان خواصها المغناطيسية مغايرة، ويمكن بذلك في معظم الاحيان، تحديد مكان الاثر وشكله العام.

وترجع الخواص المغناطيسية في الفخار الى احتوائه على حوالي 5 % من اكاسيد الحديد المغناطيسية التي وجهت نفسها اثناء حرق الطين المصنوع منه الفخار في اتجاه المجال المغناطيسي الارضي في مكان حرق الفخار، وعندما يبرد الفخار يبقى هذا الوضع ثابتا ومن ثم يعمل الفخار كما لو كان مغناطيسيا دائما ضعيفا.

والاختلافات في القراءات التي يسجلها المغناطومتر تكون كبيرة واضحة في حالة وجود اثار حديدية في التربة، اما بالنسبة للفخار والافران والطوب وغيرها فان تأثيرها المغناطيسي ضعيف، ومن ثم فان التغيرات التي يسجلها المغناطومتر تكون صغيرة أو قد تكون غير واضحة تماما. مما يستلزم ان يكون جهاز تسجيل القراءات حساسا لدرجة كبيرة والا كانت هذه الطريقة عديمة الجدوى ـ علاوة على انه يجب ايضا ان يراعي ان تكون طريقة العمل سهلة سريعة الاداء. وقد نجح فعلا معمل البحوث الاثرية بجامعة اكسفورد في تصميم جهاز يحقق كل هذه الاغراض الى حد كبير ويسمى مغناطومتر البرتون Proton Magnetometer ويتألف هذا المغناطومتر من جزئين : قنينة الكاشف The Detector Bottle والعداد Counter. ويمكن ان يقوم بالعملية شخصان، احدهما يحمل قنينة الكاشف على حامل خشبي ذي ثلاث شعب ويمر به من نقطة أي نقطة في المنطقة التي يجري تنقيبها، ويشغل الجهاز عند كل نقطة، بينما يجلس الشخص الآخر في مكان قريب امام «العداد» المتصل بالكاشف بسلك، ويسجل كل القراءات التي يبينها العداد على لوحة موقعة عليها كل نقط تقاطع المربعات. وبدراسة هذه النتائج تبدو مباشرة وبسهولة حدود المعالم الاثرية المطمورة (1). وقد صممت بعد ذلك أنواع أخرى من المغناطومترات بها تطويرات وتحسينات أكثر لزيادة كفاءة الجهاز ومنها مغناطومتر السيزيوم، ومغناطومتر الروبيديوم، ومغناطومتر البروتون التفاضلي Differential Proton Magnetometer ومغناطومتر رنين الكترون دوار مفرغ Electron Spin Resonance Pumped Magnetometer (10) ولكل من هذه المغناطومترات مزايا معينة، غير انه يبدو ان انفعها كلها مغناطومتر البروتون التفاضلي اذ انه يصلح لكل الحالات تقريبا.

وتصلح هذه الطريقة للكشف اساسيا عن :

أ) الاثار المصنوعة من الحديد بجميع أنواعها لما لها من مغناطيسية عالية.

ب) الاثار الفخارية المختلفة.

ج) الافران بأنواعها المختلفة، افران منزلية أو افران لحرق الطوب أو الحجر الجيري، أو افران صهر المعادن ... الخ.

د) الجدران اللبن في التربة الرملية لان الجدران الطينية لها مغناطيسية اكبر من مغناطيسية الرمال عادة.

هـ) الجدران الحجرية في تربة طينية، اذ ان المواد الحجرية ليست لها مغناطيسية تذكر.

وعلاوة على ان هذه الطريقة تتميز بسرعتها وسهولة اجرائها فانها ايضا تكشف عن اثار على اعماق كبيرة قد تصل الى حوالي ستة امتار، كما انها تعطي نتائج ادق من كل نتائج الوسائل الاخرى.

سادسا : الكشف عن الاثار المغمورة تحت الماء

Survey Techniques in Under water Archaeology

اثبتت التجارب العملية ان طوبوغرافية الارض اليابسة يمكن ان تساعد الباحث الاثري في تمييز المناطق ذات الأهمية الاثرية، وهذه غالبا ما تكون غير مستوية وذات اشكال خاصة تميزها عن المناطق المجاورة العادية. وهذه الظواهر تساعد بالتالي على تحديد الاماكن التي يجب الحفر فيها. ولكن هذا ليس هو الحال دائما بالنسبة للباحث عن الاثار تحت الماء حيث تقابله العديد من المشاكل، ومن أهمها عملية الغطس نفسها الى اعماق بعيدة مع اجهزة الكشف، هذا بالاضافة الى ان الاثار غالبا ما توجد في مناطق صخرية خطرة، وهي دائما معرضة للتفتيت الذي يفقدها قيمتها الاثرية، بسبب تعرضها لتأثير الماء والاملاح وللعواصف المتتالية لمدد طويلة.

وتوجد ثلاث وسائل رئيسية يمكن الاعتماد عليها في الكشف المبدئي عن الاثار تحت الماء وهي :

1 ـ في المناطق التي يكثر فيها عمل الغطاسين سواء المحترفين منهم أو الهواة وخاصة مناطق صيد الاسفنج فانه يمكنهم نتيجة لرحلاتهم العديدة المتتالية من مسح مناطق كبيرة من قاع البحر بالعين المجردة وهذه الطريقة يمكن ان تعطي فكرة مبدئية عن المناطق ذات الأهمية الاثرية.

2 ـ صائدو الاسماك يحصلون في بعض الاحيان في شباكهم الضخمة من مناطق معينة على أنواع مختلفة من الاثار سواء فخارية أو برونزية.

3 ـ يمكن لأي مجموعة بحث اثرية بالقيام بعمليات بحث في قاع البحر بطريقة عشوائية على أمل وجود اثار ما، ولكن نظرا للاتساع الكبير للبحر فان البحث بهذه الطريقة يعتبر ضربا من الملل ومجهودا ضائعا.

ونتيجة لذلك فقد اتجهت النية في السنوات الاخيرة للبحث عن الاثار في قاع البحر باستخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة حيث تستخدم هذه الوسائل لا للكشف عن وجود الاثار فحسب بل انها تحدد ايضا مدى انغماس الاثر في طين القاع، كذلك فان التمييز بين الاجزاء الحديدية والغير حديدية يمكن ان تعطي فكرة عن كيفية وجود السفينة الغارقة وبالتالي يمكن تحديد الطريقة المثلى للتنقيب عنها ورفعها.

وهناك ثلاثة أنواع من الاجهزة يمكن استخدامها في الكشف عن الاثار في قاع البحر وتتلخص في الآتي :

1 ـ الاجهزة الصوتية.

2 ـ مغناطومترات الانحراف.

3 ـ اجهزة الكشف عن المعادن.

1 ـ الاجهزة الصوتية Side-Scan Sonar

من المعروف ان الموجات الصوتية (من 1 ـ 200 ك هرتزل) تمر خلال الماء بدون عائق يعوق مسارها ولكنها اذا ارتطمت بقاع البحر أو بأي سطح صلب فانها سوف ترتد مرة ثانية ولكن بدرجات متفاوتة. وتعتمد درجة انعكاس هذه الموجات على طبيعة قاع البحر فاذا كان القاع مستويا ناعم الملمس فان درجة الانعكاس سوف تكون ضعيفة عند أي نقطة. اما اذا كان غير مستو بسبب وجود اشياء غريبة، فان السطوح التي تعمل زوايا اكبر مع الموجات الصوتية سوف تعكس كمية أكبر من هذه الموجات الى الجهاز. ويمكن استعمال جهاز الموجات الصوتية كجهاز ارسال وجهاز استقبال في نفس الوقت، وتستخدم قوة الصوت المرتد الى جهاز الاستقبال كدليل على وجود اشياء مغمورة في قاع البحر. وغالبا ما يتم تمييز الصخور عن غيرها من الاشياء التي تكون لها قيمة اثرية بالعين المجردة.

والعيب الرئيسي في استخدام هذه الاجهزة هو انها لا بدّ من ان تكون اقرب ما يمكن من القاع المطلوب دراسته وهذا يتطلب الكثير من البحث لتحديد سرعة السير المناسبة. وطول السلك بين الجهاز وسط الماء، وكذلك الاوزان اللازمة لحفظ الجهاز عند عمقٍ معين.

2 ـ اجهزة القياس المغناطيسي (المغناطومترات)

كما هو الحال في الكشف عن الاثار المطمورة في باطن الارض بواسطة دراسة الاختلافات في شدة المجال المغناطيسي، فاننا نجد ايضا ان شدة المجال المغناطيسي لقاع البحر تتغير بوجود اشياء غريبة ذات طبيعة مختلفة فالحديد والصلب يسببان عادة تغييرات كبيرة في الشدة المغناطيسية، كذلك فان أدوات الحرب مثل المدافع ودانات المدافع يمكن الكشف عنها بسهولة وعلى بعد كبير. وقد استخدم الحديد ولكن بكميات قليلة في صناعة السفن في العصور اليونانية القديمة ولكن هذه الكميات لا يمكنها ان تعطي التأثير المطلوب للكشف عن السفن الا اذا كانت على بعد امتار قليلة من رأس الجهاز.

ومن افضل الاجهزة التي يمكن استخدامها في هذا المجال مغناطومتر البروتون وكذلك مغناطومترات السيزيوم والروبيديوم والتي تصل حساسيتها الى عشرة اضعاف حساسية مغناطومتر البروتون. ولكن العيب الرئيسي في هذه الاجهزة يكمن في تكاليفها الباهظة وكذلك لحساسيتها للاجواء المضطربة.

3 ـ اجهزة الكشف عن المعادن غير الحديدية

تستخدم المغناطومترات عادة للكشف عن المعادن الحديدية لامكان تأثيرها مغناطيسيا ولكنه لا يمكن استخدامها في الكشف عن الاثار الغير حديدية.

ويجب ان نذكر في هذا المجال ان الاجهزة العديدة التي تستخدم في عمليات البحث عن المعادن على سطح الارض تعتمد في تشغيلها على الموجات المستمرة وعلى قياس التغيرات في درجة التوصيل بين ملفين لا تتوافر فيها درجات الحساسية والثبات المطلوبتين لعمليات التنقيب تحت الماء.

وقد تم تطوير هذه الاجهزة بحيث يستخدم فيها ملف واحد فقط للارسال والاستقبال حيث انه في حالة التنقيب تحت الماء لا توجد تأثيرات خارجية بسبب موجات الردايو المحلية اذ ان هذه لا يمكنها اختراق سطح الماء. وتستعمل هذه الطريقة أساسيا لمسح مناطق محددة معروفة بوجود الاثار بها ولكن لا يمكن استخدامها للبحث في مناطق شاسعة. ومن عيوب هذه الاجهزة انه لا يمكن الكشف بها عن الاثار المعدنية حتى الكبيرة منها الا اذا وجدت على بعد امتار قليلة من جهاز الكشف.

ويمكن التمييز بين الاشياء الحديدة والغير حديدية قبل عمليات التنقيب وذلك بالجمع بين قراءات المغناطومتر وجهاز الكشف عن المعادن.

References

1. Aitken, M.J., **Physics and Archaeology**, London, Interscience Publishers Ltd., 1961.
2. Bruce, W. Bevan, **Aerial Photography for the Archaeologist**, Philadelphia PA, The University Museum, May 1975.
3. Simmons, H.C., **Archaeological Photography**, New York, New York University Press, 1969.
4. Deuel, L., **Flights into Yesterday**, NewYork, St. Martin's Press, 1969.
5. Schmid, E., Cave Sediments and Prehistory, p. 132-134, in **Science in Archaeology**, edited by Brothwell, D., and Higgs, E., London, Thomes and Hudson, 1963.
6. Faegri, K,. and Iversen J., **Introduction to Pollen** Analysis, Copenhagen, 1950.
7. Dimbleby, G.W. Pollen Analysis, p. 139-149, in **Science in Archaeology**, edited by Brothwell, D. and Higgs, E., London, Thomes and Hudson, 1963.
8. Atkinson, R.J.C., London, Field Archaeology, 2nd edition, Methuen, 1953.
9. Linington, R.E. Techniques used in Archaeological Field Surveys, **Phil. Trans. Roy. Soc. London**, vol. A. 269, No. 1193, 1970, p. 89-108.
10. Scholiar, I., Magnetic Methods of Archaeological Prospecting advances in instrumentation and evaluation techniques, **Phil. Trans. Roy. Soc. London**, vol. A. 269, No 1193, 1970, p. 109-119.
11. Hall, E.T., Survey Techniques in Underwater Archaeology, **Phil. Trans. Roy. Soc. London**, vol. A. 269, No 1193, 1970, p. 121-124.

حركة التنقيب عن الآثار ومشكلاتها
في البلاد العربية

الدكتور فوزي عبد الرحمن الفخراني

كان لما حققته أعمال التنقيب عن الآثار في مختلف أرجاء الوطن العربي في الماضي من كشوف أثرية أثر كبير في تقييم العالم للحضارات القديمة التي قامت في بلادنا، أحس معها الجميع بأهمية تراثنا القديم مما دفع ادارات الآثار العربية والبعثات الأثرية الأجنبية الى القيام بحفائر متعددة في أماكن مختلفة في انحاء الوطن العربي الكبير.

واذ كانت الآثار تقدر في الماضي بقيمتها المادية أو بضخامتها أو بمستواها الفني الرفيع، فاننا نجد اليوم أن هذا المفهوم القديم قد تغير كثيرا لدرجة كبيرة أصبحت معه «**شقفة**» صغيرة من الفخار القديم تضارع في أهميتها تمثالا جميلا وقد تزيد عنه أهمية، وذلك بفضل ما تلقيه هذه الشقفة من ضوء على حضارة ذلك العصر الذي تنتمي اليه والذي صنعت فيه. فالآثار في العرف الحديث ما هي الانتاج بشري تقيم بدورها صانعيها ومستعمليها، كما أنها مظهر حضاري يسطع من خلالها الضوء الذي ينير لنا ذلك الطريق الذي يهدينا بدوره لمعرفة اسرار انسان الماضي.

وطبقا لهذا المفهوم الجديد لماهية الآثار تطور فن البحث والتنقيب عنها وتغيرت أهدافه وأساليبه، فبعد أن كانت الغاية من التنقيب الكشف عن الآثار والبحث عن الكنوز الدفينة أصبح الهدف من الحفر البحث عن الانسان الذي عاش في هذه البقعة التي تجري فيها الحفائر في كل مرحلة من مراحل الحياة على هذه التربة وفي هذا الموقع.

وبعد أن كان المنقب الاثري يهتم بالبحث عن تراث عصر معين تخصص في دراسته لاثاره، زاد الاهتمام الآن بالبحث عن تراث ومخلفات كل العصور والحضارات المتعاقبة التي قامت في منطقة الحفر. في الماضي اهتم الاجانب بعصور معينة من تراثنا القديم مثل العصر الفرعوني ـ لما تحويه مخلفات هذا العصر من كنوز ثمينة وآثار ضخمة ـ أو آثار الكتاب

المقدس المعروفة باسم «biblical archaeology» ـ لصلتها بتاريخ اليهود ـ ولقد سار على منوالهم بعض الأثريين العرب الذين أخذوا عنهم هذا الاهتمام ودرسوا هذه الآثار وتخصصوا فيها دون سواها من تراث العصور الأخرى. ومن ثم بدت نزعة التعصب لدى الأجانب ومن بعدهم بعض المتخصصين الاثريين العرب ـ تعصبهم لفرع تخصصهم، وأصبح همهم البحث عن تراث العصور التي تخصصوا فيها دون سواها، فلم يهتموا بما اعترض سبيلهم من تراث العصور التي تخصصوا فيها دون سواها، فلم يهتموا بما اعترض سبيلهم من تراث العصور الأخرى اللاحقة اما جهلا منهم بقيمتها أو تعصبا منهم لتخصصهم، فلم تنل آثار العصر اليوناني أو الروماني أو المسيحي مثلا أو حتى الاسلامي خطا متكافئا من اهتمام هؤلاء المنقبين، لأن غاية هؤلاء الباحثين كانت الوصول الى حضارة عصر معين ومخلفات نوع محدد من الآثار، فكان شأنهم شأن الباحثين عن الكنوز أو سارقي القبور أو الباحثين عن الآثار الى مجرد ازالة للأتربة والاحجار من فوق تراث عصر بعينه أو اثر محدد ظهرت بعض أجزائه للعيان. فخرجت عملية التنقيب عن الآثار بسيطة للغاية يمكن لكل شخص أن يمارسها سواء من كانت لهم صلة بالآثار أو كان في تخصصه بعيدا عنها، وتبعا لذلك عانت عملية التنقيب عن الآثار من امثال هؤلاء الباحثين المتعصبين أو الجاهلين بفن التنقيب أو بتاريخ الفن القديم. فكثيرا ما بدا البحث عن الآثار في تلك الفترة قاصرا ومتخلفا ومتحيزا، أو كثيرا ما كان تفسير بعض المنقبين الجاهلين بفنون الآثار لمكتشفاتهم بعيدا كل البعد عن الحقيقة والعلم. والامثلة على ذلك عديدة يمكن أن نتلمسها في بلدان عديدة في العالم العربي. تقلصت عملية التنقيب في مفهوم الكثيرين الى مجرد تنظيف وازالة لكل ما يعلو الأثر من مخلفات وهي ما تعرف باسم «Nettoyage» وكان لهذا النهج خطورته في مجالات عديدة أدى الى عواقب سيئة بالنسبة لعلميات التنقيب ومنها :

1 ـ أن بعض الأثريين المنقبين عهد لبعض مرؤسيه في الحفائر ممن هم أقل خبرة ودراية بأمر الاشراف على عملية التنقيب لأيام عديدة تغيبوا هم فيها عن الموقع ومباشرة الحفائر، ولم يتابعوا فيها توجيه سير العمل في الحفرية أولا بأول، وكان هؤلاء المنقبون يباشرون حفائرهم من منازلهم أو من أماكن أخرى بعيدة عن الموقع. وبطبيعة الحال كان لهذا المظهر السيئ أثره على نفوس العاملين في الموقع فبدلا من أن يحمسهم المنقب بما يبديه أمامهم من اهتمام بحفائره غاب عنهم ففترت همتهم، وكلت عزيمتهم وأدى بهم ذلك الى الفتور والتراخي ومن ثم الاهمال وهذا أخطر ما يمكن أن نراه في الحفائر.

وانى أسوق على ذلك مثلا، فقبل بدء حفائري في جبل القلقة بعمان باسم الجامعة الاردنية سنة 1968 دعوت الطلبة المشتركين في الحفائر للبحث في رديم حفائر سابقة أجريت على هذا الجبل ـ كنت قد سمعت بما مثل فيها من اهمال. فكان أن اكتشف الطلبة في هذا الرديم بعض التماثيل الهامة السليمة أو المكسرة بفعل فئوس الحفارين ومعاولهم وترجع في تاريخها الى القرن الثامن والسابع قبل الميلاد وهي تزين الآن محتويات متحف عمان فوق هذا الجبل.

مثل هذا الاهمال يجسد بطبيعة الحال عدم الرقابة والوعي وعدم الدقة في التسجيل العلمي أثناء سير العمل في الحفرية، وما من شك في أن المسؤول الأول عن ذلك هو المنقب الأثري الذي يدير شؤون الحفائر في هذا الموقع ـ وكان من المتوقع منه ـ على العكس ـ أن يبث في معاونيه وعماله الوعي والحماس بأهمية هذا الموقع وأهمية مخلفاته ويعطهم نموذجا واقعيا في سلوكه على هذا الاهتمام مما يدفعهم على الدقة والملاحظة الحادة البالغة في مراقبة حركاتهم أثناء العمل سواء عند الحفر أو عند ازالة الرديم أو عند تسجيل تطور الحفرية يوميا. كان عليه أن يحدد لهم احتمالات الموقع في اكتشافات وأهمية ما يمكن توقعه من آثار في المنطقة ليزيد في حماسهم وحيطتهم ويصبح مع ذلك كل شخص منهم رقيبا على نفسه وحريصا كل الحرص على الحصول على أدق المخلفات الموجودة في المنطقة فلا تصبح بذلك عملية الحفر بالنسبة للأفراد العاملين بالموقع عملية آلية تلقائية «أوتوماتيكية» يمارسونها لما يحصلون عليه من أجر أو مكافأة دون وعي أو ادراك، بل بتوجيه المنقب لهم وبث الوعي فيهم بأهمية منطقتهم يستطيع المنقب أن يخلق منهم أناسا لا يقلون عنه اهتماما فيما يتوقع من نتائج من هذه الحفائر.

2 ـ مع هذه البساطة التي صدرت بها عمليات التنقيب عن الآثار وجدنا الكثيرين من العلماء الاجانب والعرب ممن درسوا بعض فروع الحضارات القديمة مثل التاريخ القديم أو اللغات والآداب القديمة يمارسون عمليات التنقيب عن الآثار ما دام الامر قاصرا على ازالة الاتربة والأحجار من الموقع ومن فوق ما ظهر من بعض أجزاء المباني في المنطقة. ثم خرجت تقاريرهم عن الحفائر التي قاموا بها وفيها نلمس عدم تعمقهم أو حتى درايتهم بتطور الفن القديم وبمعالم وخصائص المخلفات السابقة ـ وعذرهم بطبيعة الحال معهم في ذلك اذ لم تتح لهم دراسة الآثار دارسة منظمة وعميقة.

ولا يقتصر ذلك على من هم بعيدين كل البعد عن تخصص الآثار بل كذلك الحال بين الأثريين ذوي التخصص الدقيق المحدود، اذ كشف بعض الأثريين اللامعين في تخصصهم آثارا ذات أهمية بالغة بل وفريدة في نوعها الا انها تنتمي لعصر بعيد عن تخصصهم فكان تفسيرهم لها خاطئا كل الخطأ، واني أسوق على ذلك مثلا في مصانع النبيذ الرومانية بكوم ثروجا والتي لا تضارعها معاصر أو مصانع النبيذ في أي بقعة أخرى في العالم اليوناني أو الروماني ـ والتي حسبها مكتشفها بأنها حمامات رومانية قديمة. وعذره معه فتخصصه كان محدودا بالتخصص في التراث الفرعوني.

من هذا كله أصبح العالم يدرك أن تفسير الآثار يحتاج الى اعداد معين وتوجيه خاص في علوم وفنون الآثار والحضارات القديمة. كذلك تطور التنقيب وأصبح فنا معقدا ليس فقط بطرق الحفر أو البحث عن الآثار بل وفي الطرق العديدة لتسجيلها وتصنيف المكتشفات واعدادها للحفظ والعرض والنشر عنها:

ومن الملاحظ أن ادارة الآثار كثيرا ما تصرح لعلماء في الآثار بالحفر لسمعتهم العلمية الكبيرة وأبحاثهم الذائعة الصيت وكأن هذه الادارة لا تدرك أن هناك نوعين من الأثريين على حد قول Ed. Pyddoke في كتابه Stratification for the Archaeologist, London 61 أحدهما أثري بحاثه أو ما عرفه بيدروك باسم «Book Archaeologist» درس الآثار وتاريخ الفن القديم والفنون والعلوم واللغات المرتبطة بها وكل ما له صلة بمثل هذه الحضارات القديمة التي تمكنه من تفسير وتبويب الآثار المختلفة، والنوع الآخر هو «المنقب الأثري» Dirt archaeologist الذي مارس الحفر والتنقيب ودرس العمليات المختلفة المرتبطة بفن التنقيب والعلوم المساعدة مثل عمليات المساحة بالأجهزة المختلفة ودراسة الخرائط والصور المساحية سواء المأخوذة من الجو أو الفوتوجراميترية ومارس رسم الخرائط الكنتورية ورسم المقاطع والرسم المعماري ورسم اللقي الأثرية ومقاطع الفخار ـ ثم قام بعمليات الحفر المختلفة شأنه في ذلك شأن العمال وأدرك مشاكلها وطرق الحفر السليمة واستخدام الأدوات المختلفة وعرف أفضلها، كما مارس تسجيل الآثار بالوسائل العديدة كاستخدامات الأجهزة المساحية والأجهزة الفوتوغرافية والتصوير والتحميض والطبع والتكبير طبقا لمتطلبات التصوير الأثري، كما عرف كيف يضف المكتشفات ويفسرها، وحتى ترميمها الى أن ينتهي بقدرته على النشر عنها وعن نتائج الحفائر بالطرق العلمية السليمة مدعمة بالوثائق المؤكدة لآرائه ونظرياته الى غير ذلك مما يتصل بفن التنقيب وعرف كيف يسجل الطبقات ومارس مشاكل التموين والمخيم والاسعافات الضرورية كل هذه العمليات ضرورية لاعداد المنقب وتحتاج هذه العمليات وغيرها لتدريب عملي كبير بالاضافة للدراسة النظرية تؤهل المنقب الأثري بعد ذلك في أن ينفرد بحفائره. فكيف يعهد لعلماء آثار بالحفر والتنقيب لمجرد أنهم علماء آثار أو حاصلين على أرفع الاجازات العلمية في مجال الآثار بينما لم يدرسوا كلمة واحدة في فن التنقيب.

وهذا المبدأ يمكن تطبيقه على كثيرين من مفتشي الآثار الذين تعهد اليهم ادارة الآثار احيانا بالاشراف على حفائر تجري في مناطقهم نظرا لظهور آثار فيها بطريق الصدفة علما بأن الكثيرين منهم لم يدرسوا فن التنقيب في أي مرحلة من مراحل دراستهم وتخصصهم في الآثار في الجامعة أو المعهد الذي درسوا فيه.

ولما كانت غايتنا من التنقيب عن الآثار في المفهوم الحديث هي الانسان في عصوره المختلفة وحضاراته المتباينة، ولما كان الاستيطان البشري يظهر في التربة على شكل طبقات «strata» تضم مواضع عديدة «loci» لذلك وجب أن يمارس المنقب التدريب الكافي على تفهم الطبقات المختلفة بألوانها المتباينة وبمكوناتها المتميزة وبمخالفاتها العديدة وهي أمور لا يسهل شرحها وانما تحتاج لمراس ومران كبير في الحفائر المختلفة قبل استطاعتنا تفسيرها.

ان تسجيل الطبقات له أهمية بالغة للمنقب ليس فقط من حيث تفسير المخلفات القائمة أو التي اندثرت مع مرور الزمن بل حتى في تاريخ المكتشف من الآثار سواء بمقارنتها بمحتويات الطبقة ذاتها من المخلفات أخرى أو بمستوى وموقع الطبقة بالنسبة للطبقات الأخرى بما في كل منها من مخلفات.

من هذا كله يتضح أن التدريب والدراسة من العوامل الضرورية التي يجب الاهتمام بها في اعداد المنقب الأثري. عندئذ تبدو هناك حاجة الى التوصية بتنفيذ التالي :

1 ـ الاهتمام **بتدريس مادة «الحفائر وفن التنقيب عن الآثار»** في كل دراسات خاصة باعداد الاثريين سواء في اقسام الآثار بالجامعات العربية أو شعبها أو في معاهد الآثار المختلفة سواء كان اعداد الأثري خاص بتخصص معين من التخصصات العديدة في الآثار مثل آثار خاصة بالشرق الأدنى القديم أو الآثار الفرعونية أو اليونانية والرومانية أو الفينيقية أو العربية والاسلامية وغير ذلك.

على أن تكون هذه المادة نظرية ليعي فيها الطالب سجل الحفائر المختلفة ومشكلات الحفائر في المناطق المختلفة وكيف عولجت هذه المشاكل في الظروف الخاصة بكل موقع. هذا لكي يستطيع الطالب ان يعي كل الطرق المختلفة والاجهزة اللازمة لأي عملية من عمليات التنقيب عن الآثار سواء المتوفر منها في بلده أو الغير متوفر مثل الطرق المختلفة في تحديد الموقع الأثري أو الخاصة بالحفر أو بتسجيل الآثار أو بتاريخها أو حتى بترميمها وتنظيفها. ان فهم الطالب لكل هذه الطرق والمشاكل المختلفة بفتح ذهنه لحل مشاكل منطقته اما بطرق مماثلة أو بايجاد أحسن السبل لها نتيجة لاعمال فكرة فيها مع ما لديه من خلفة عميقة لمثل هذه المشاكل. وللأسف فان هذه المادة ليس لها وجود في معظم اقسام الآثار بالجامعات العربية ويجب ادراك ذلك وادخالها ضمن مناهجها الدراسية.

من هذا المنطق يجب ان تضم المكتبة أكثر من كتاب بالعربية في فن التنقيب، وان كانت ظروف لبنان قد أخرت حتى اليوم ظهور المحاولة التي قدمتها في هذا المجال باسم «الرائد في فن التنقيب عن الآثار» الذي تكفلت بنشره الجامعة الليبية.

2 ـ ان الدراسة النظرية لا تغني عن **التدريب العملي** كما انها ليست كافية لاعداد المنقب الأثري بل ان التدريب العملي حيوي وجوهري في تدريب الطالب في فن التنقيب ولا يتأتى هذا التدريب الا بالمشاركة في اعمال التنقيب المختلفة وفي العديد من الحفائر بشرط أن يخضع الطالب أيضا أثناء فترة التدريب للاشراف والتوجيه ويجب ان يمارس المنقب على وجه الخصوص استعمال السجلات المختلفة سواء في تسجيل اليوميات أو سجل الحفرات أو سجل الصور والسلبات أو سجل اللقطات أو سجل اللقي الأثرية وما إلى ذلك ويحسن ان تيسر الجامعات وادارات الآثار على الطلبة الاشتراك في الحفائر المختلفة التي تمنح مثل هذا المقرر العملي في فن التنقيب كما هو متبع في بعض الجامعات بانجلترا وفرنسا وغيرها ويحسن لو منح الطالب شهادة باشتراكه بشكل مرضي في مثل هذه الحفائر وفي التدريب العلمي.

ولقد قدمت هذه الفرص لطلبتي بالجامعة الاردنية في عامي سنة 1968 و 1969 وكذلك لطلبتي بالجامعة الاردنية في مواسم الحفر سنة 1972 وسنة 1973 وها انذا أشرك

معي طلبة وطلبات شعبة الآثار والمعيدين بقسم الحضارة باسكندرية في الحفائر التي أقوم بها في مدينة ماريا القديمة المجاورة للاسكندرية غربا وآمل أن امنحهم شهادة تدل على اشتراكهم في هذا التدريب العملي بمنطقة الحفر.

ومع ذلك أرجو أن تتاح لمثل هؤلاء الطلبة كذلك الفرصة بالاشتراك في حفائر أخرى لبعثات أثرية عربية أو أجنبية ليتمكن الطالب من مقارنة الطرق المختلفة والمدارس المتعددة المتصلة بفن التنقيب لما في ذلك من ميزة اذ أن مشاكل الحفر كما نعلم في منطقة رملية تختلف عن الحفر في تربة طينية وكذلك الحفر عن التراث الاسلامي يختلف عن الحفر عن تراث الانسان في العصر الحجري أو انسان ما قبل التاريخ.

ان تدريب الطلبة على متابعة الطبقات تدفعنا لأن نوجهه الى دراسة الحضارات المتعاقبة ولو في معالمها المختلفة الرئيسية حتى لا يكون أفق الطالب ضيقا وقاصرا على فرع تخصصه مثلا سواء كان ذلك تخصصا فرعونيا أو اسلاميا بل يجب أن يلم بالمعالم الاساسية الهامة لكل العصور وأن تدرس مواد في الجامعات لمعالم الحضارات المختلفة بجانب تخصصه لنبعده في نظريته العلمية عن تخصصه الضيق وعن نظرة التعصب أو التحيز لفرعه حيث أن الحضارات المختلفة هي ضالته عند التنقيب.

ان لم يتيسر ذلك في اعداد الطالب نظريا فأقل ما يجب :

أ) ان يلحق بالحفائر أناس لهم اهتمام بتراث العصور المختلفة المتوقع وجودها بالموقع الذي تجري فيه الحفائر حتى يستطيع أن ينبه الشخص الملحق بالحفائر المنقب لأهمية المكتشفات التي ترجع لعصر تخصصه.

ب) وان لم يتيسر مثل ذلك فواجب المنقب الدقة والامانة المتناهية في التسجيل الوافي لكل بقعة وطبقة من طبقات التربة أثناء سير العمل بالحفرية تسجيلا أفقيا ورأسيا للمنطقة.

ان التدريب نظريا كان أم عملياً يجب أن يشمل كل الطرق العلمية والأجهزة العلمية المختلفة ويجب أن يكون الطالب بها حتى وان لم يتوفر وجودها واستخدامها في بلد ما نظرا للظروف المختلفة الخارجية عن ارادة الممولين للحفرية أو المشرفين عليها مثل أجهزة التصوير الفوتوجرامتري أو التصوير الجوي على أهميتها في تجديد مواقع الآثار، وكذلك أجهزة جس التربة المختلفة سوى أجهزة الرنين bosing أو probing وأجهزة تحليل التربة وأجهزة المسح العلمية للتربية واختبارات التربة بواسطة المغناطيسية مثل الماجنيتومتر أو المجر Megger وما إلى ذلك من اجهزة وكذلك أجهزة التاريخ المختلفة سواء عن طريق الكربون المشع أو التألق الحراري أو اختيارات الفلورين وتحليل التربة والدندروكرونولوجي وأجهزة التسجيل بما في ذلك استخدام العقول الحاسبة.

وبعد هذا كله فهناك مشاكل عديدة أخرى مرتبطة بالتنقيب عن الآثار تختلف من دولة عربية لأخرى فهي في مصر أكثر ما تكون مالية بسبب الظروف الاقتصادية التي مرت بها مصر وقلة العملة الصعبة وفقر مصر لاستيراد الأجهزة العلمية الحديثة بينما نجدها في بعض الدول العربية مسألة اعداد المنقبين والشعب وتوجيههم لأهمية الآثار في بلدهم وفي ذلك أيضا تفتقر مصر حيث أن الكثير من ابنائها أميين ويجب توعيتهم بأهمية الآثار كمظهر حضاري وكجزء من تاريخ الوطن بل ومظهر هام للازدهار الاقتصادي أسوة بما تراه في دول أخرى مثل اليونان واسبانيا والتي كانت تمر لوقت قريب بظروف مماثلة بالنسبة لقدرتها ووعيها بقيمة تراثها الأثري. لهذا أرى أن تنظم سلسلة من المحاضرات والزيارات والنشرات للتوعية بتراث أمتنا الهام ويحسن لو خصص يوميا جزء من عمود بالصحف اليومية لهذا الغرض والاعلان عن تنظيم زيارات للمناطق الأثرية بالمجان وليكن الاعلان عنها في الصحف والاذاعة أسوة بما تفعله بعض الدول المتحضرة ـ هذا بالاضافة الى الافادة من ندوات تعليمية في التلفزيون على صورة مناقشات بين العلماء هدفها تفهم وابراز أهمية بعض القطع الأثرية التي يمكن أن تتناقلها أيدي أعضاء الندوة في التلفزيون أمام الكاميرا كما تفعل بعض الدول الاجنبية لتوجيه اهتمام الناس لأهمية الآثار وكيف يمكنهم أن يشعروا بأن الآثار يمكن أن تتكلم وتحكي قصتها على الجمهور وكيف يمكن الافادة من بعض معالمها الواضحة لتفسير مميزاتها وأهميتها للتعرف على فحوى ومضمون هذا التباين في معالم الآثار.

طرق التكنولوجيا الحديثة في التنقيب

الدكتور بهنام أبو الصوف
المديرية العامة للآثار ـ العراق

ان عملية التنقيب عن الآثار هي المرحلة الرئيسة في مضمار البحث الاثاري 4 ومما لا ريب فيه بان في القول المأثور (مُعول الحفار هو عماد علم الآثار) شيء كثير من الحقيقة فالتنقيبات الأثرية تلعب دورا كبيرا في الكشف عن الدلائل المادية لمخلفات الماضي.

لقد كان الغرض من التنقيب في القرن الماضي جمع ما أمكن جمعه من ا لقطع الفنية واللقى الأثرية بأقل ما يمكن من الوقت والجهد والمال دون الالتفات الى التدقيق في معاثر تلك اللقى والعناية برسم وتصوير الأماكن التي تتوجد فيها وكذلك عدم المعرفة بتسلسل تواجدها الطبقي والزمني، أي بكلمة أخرى كان التنقيب ليس أكثر من جمع اللقى والكنوز المطمورة في باطن الأرض لحضارات الماضي دون الالتات الى الدلائل الأثرية وما تنطوي عليه من تفسيرات علمية. ولنا في لايرد في العراق وبيلزوني في مصر وسليمان في تركيا واليونان وكريت خير أمثلة على حالات النبش والنهب الأثاري قبل حلول القرن العشرين.

بقي الحال هكذا حتى بدأ بعض المشتغلين بالدراسات القديمة في أوربا، في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، يهتمون بالدلائل وتفسيراتها وبالطبقات الأثرية وتعاقبها أكثر من اهتمامهم باللقى ذاتها. فعرف حينئذ مفهوم التعاقب الطبقي (stratigraphy) وأهميته في تاريخ اللقى المكتشفة والمكان الذي تكتشف فيه. وكان من أبرز هؤلاء الذين اهتموا بهذا الاسلوب العلمي في التنقيب ودراسة نتائجه اثنان هما : الجنرال «بت ريفرز» في انكلترا والسير «فلندر بيتري» في مصر والشرق الأدنى.

ان البقايا والترميمات الأثرية التي يتألف منها أي موقع أثري ستختفي بالتدريج طبقة بعد أخرى باستمرار اعمال التنقيب وتقدمها في ذلك الموقع. وربما ان الموقع الأثري هذا سيزول بأكمله في نهاية اعمال التنقيب فيه، لذا على المنقب ان ينجز عمله بعناية فائقة ودقة متناهية بحيث لا يهمل أي دليل مهما صغر شأنه. كما عليه ان يحتفظ بسجل واف ودقيق لعمله اليومي في الحقل يدون فيه أكثر ما يمكن من المعلومات والاشارات والملاحظات التي تطرأ أو تعن له اثناء سير اعمال التنقيب، حتى ولو بدت هذه الملاحظات والاشارات بسيطة وساذجة في حينه. ثم على المنقب في نهاية العمل ان يعد وباسرع ما يمكن تقريرا صالحا للنشر يضمنه تنقيباته في ذلك الموقع مع رسوماته ومخططاته وصوره وكل ما له علاقة باللقى والابنية والطبقات المكتشفة. ان المهم ان ينشر المنقب هذا التقرير الأولي بسرعة ليكون سجلا ثابتا عن المستوطن الذي ازيل توا من الوجود يتداوله المختصون والاثاريون والمؤرخون. واذ كان باستطاعة المنقب نفسه اجراء دراسات ومقارنات مع مواد ولقى مشابهة لما اكتشفه في موقعه آنف الذكر فهذا افضل والا فلا أن يؤجل تلك الدراسات التفصيلية لوقت لاحق بعد اجراء بحوثه وتتبعاته المستفيضة ان المنقب المتمرس بعمله الحقلي والمتفهم لطبيعة اللقى والبقايا المكتشفة قدير على ان يعكس لنا في مقاله عن ذلك الموقع صورة واضحة لفعاليات سكنته وعلاقاتهم الحضارية مع من عاصرهم أو سبقهم أو جاء بعدهم. عندئذ يكون ذلك المنقب قد نجح بعمله واضاف صفحة جديدة الى قصة الانسان على سطح هذا الكوكب. نرى من هذا كله انه يجب ان تكون للاثاري خبرة عملية وافية في التنقيب، فالاثاري الذي تعوزه هذه الخبرة يجد صعوبة في تفسير الدلائل الأثرية لتنقيباته أو لتنقيبات غيره. ان الخبرة العملية الحقلية تكسب الأثاري المقدرة على التصور الصحيح لمفاهيم وقيم الدلائل الأثرية ودراستها دراسة تحليلية مقارنة قائمة على الادراك والفهم الواضحين للتعاقب الطبقي في الموقع الأثري الواحد أو في المواقع الأثرية المختلفة.

سيبقى العمل الاثاري الحقلي، أي التنقيب، في معظم جوانبه معتمدا على المهارة اليدوية والعين المتفحصة والاستنتاج الذكي مستعينا في كل هذا بأدوات يدوية بسيطة، الا ان من واجبنا كاثاريين عرب ان نسارع للاستفادة من كل ما استجد ويستجد من مبتكرات ومكتشفات تكنولوجية تعين العمل الحقلي وتسرع في انجازه وتزوده بمعلومات جديدة. وعلى مسؤولي الاثار العرب ان يدفعوا بمنتسبي مؤسساتهم من المتخصصين للتزود بأساليب التكنولوجية الحديثة ذات العلاقة بالعمل الأثاري، حقليا كان أو مختبريا، والتمرس فيها ان كان في داخل اقطارهم أو في الاقطار الخارجية. وكذلك عليهم ان يدخلوا في مؤسساتهم الاجهزة والأدوات والمختبرات المبتكرة لمساعدة العمل الاثاري وان لا يبخلوا بالمال في هذا المضمار.

شهدت السنوات القليلة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية تعاونا كبيرا بين الاثاريين وعلماء الطبيعة وغيرهم من علماء الفيزياء والكيمياء. فبمرور السنين اخذ هؤلاء العلماء يبتكرون طرقا جديدة يضعونها تحت تصرف الاثاري لتساعده في بحثه عن الماضي، حتى اصبح لا غنى للعمل الاثاري عن كثير من العلوم والمبتكرات التكنولوجية الحديثة. هذا

وباستطاعة الاثاري اليوم الاستفادة من احدث المبتكرات التكنولوجية في مراحل ثلاث من عمله : (1) مرحلة المسح والاستكشاف الاثري. (2) مرحلة السير والتنقيب والتحري عن الاثار. (3) مرحلة التحليل والمعالجة والدراسة المختبرية.

من المتفق عليه ان افضل الاستكشافات والمسوحات الاثرية ما يتم منها سعيا على الاقدام، وفي هذا المضمار يجب ان لا ننسى ما تقدمه لنا الخوارط بأنواعها، حديثها وقديمها، وكذلك صور المسح الجوي من مساعدات قيمة. فمعظم الخوارط الحديثة ذات المقياس الكبير تحوي توزيعات واضحة للمناطق المزروعة والأخرى الخالية من الزراعة، كما تظهر عليها بقاع ومرتفعات وطرق ومستوطنات ومجاري انهار وقنوات ومدافن قديمة بالامكان التثبت منها على الارض. كما ان الخوارط القديمة التي رسمت قبل قرن من الزمان، أو ما يزيد، ذات فوائد كبيرة للاثاري : فهي تظهر ما كانت عليه المنطقة المنوي دراستها على طبيعتها والتي تغيرت اليوم بفعل الزراعة والبناء والتطورات الحديثة في مجالات الحياة المختلفة. ان ما تظهره هذه الخوارط القديمة من أوصاف للبقعة المزمع استكشافها لا يمكن لأي من الخوارط الحديثة اظهاره بالطبع. هذا ولقد فاقت صور المسوحات الجوية المأخوذة حديثا بفائدتها الخوارط المذكورة آنفا بنوعيها. فهي تعكس كل ما تلتقطه من الارض من مباني ومواقع ومدافن مطمورة، صغيرة كانت أم كبيرة. كما تظهر مجاري الانهار والقنوات المندرسة وكذلك الاسوار والجدران والخنادق المطمورة. وبوسع التصوير الجوي اظهار أية تفاصيل مهما كانت ارتفاعاتها عن الارضي ضئيلة وذلك باختيار ساعة مناسبة من النهار للتصوير. فالتصوير في منتصف النهار مثلا يعكس ظلالا لأية بروزات بسيطة في الارض والاثاري الذي يتقن استقراء الصور الجوية وفهم مدلولاتها باستطاعته استخلاص معلومات غزيرة عن المنطقة المصورة حتى قبل زيارتها : فغالبية البقايا القديمة نشاهد بوضوح في أوقات معينة من السنة وذلك بسبب التغيرات الحاصلة في المزروعات التي تغطي تلك البقايا. فمثلا ان جدارا مطمورا على عمق قليل تعلوه بالطبع تربة قليلة السمك وهذا يتبع ان تكون الاعشاب أو المزروعات النابتة فوقه قليلة الارتفاع أيضا. بينما الخندق أو المجرى القديم الذي انطمر بمرور العصور بحيث كانت التربة في باطنه سميكة تشاهد الاعشاب والمزروعات التي تنمو على امتداده كثيفة وعالية وغنية الخضرة. لقد نمت وتطورت الاستفادة من الصور الجوية فرسمت الخوارط منها (خوارط المسح الجوي) كما تبع ذلك الاستعانة باجهزة حديثة لتوضيح وتجسيم مواضيع تلك الصور، منها المجسام (ستيريوسكوب Stereosecope) وهو جهاز بصري يظهر الصور للعين مجسمة وجهاز آخر للتصوير المساحي الضوئي (فوتوكراميتريك Photogrammetric).

لقد أكدنا آنفا بان العمل الاثاري الحقلي (التنقيب) سيبقى في معظم جوانبه معتمدا على المهارة اليدوية ومستعينا كذلك بأدوات يدوية بسيطة، وهذا صحيح الا ان هناك اجهزة آلية ابتكرت على مر السنين تعين كثيرا العمل الحقلي وتقلل من النفقات والجهد وتختصر في الوقت. ومع هذا يجب ان يكون واضحا لدينا بان هذه الاجهزة على أية حالة، لا تقوم هي

بالتنقيب بمعناه الواسع، بل انها تجري فقط سبرا (حفرا اختباريا Sounding) سريعا، أو فحصا كهربائيا أو مغناطيسيا لبقع معينة من الارض أو الموقع الأثري تجري فيها دراسات استطلاعية وتحري أثري أولي قبل البدء باعمال التنقيب الواسع وذلك للتأكد من امتدادات بناء أو جدار أو التأكد من وجود مواد ولقى معدنية في مدافن ومباني وافران. وعلى هذا الفحص الأولي يترتب برنامج التنقيب في المكان موضوع الدراسة.

بدلا من ان تقتطع حفرة الجس الاختبارية (deep sounding) بالعمل اليدوي المضني الطويل حيث يستغرق ذلك وقتا طويلا، كما تشغل الحفرة نفسها حيزا كبيرا من سطح الموقع، بالامكان اقتطاعها بجهاز آلي على شكل مثقب (drilling machine) يحمل في مؤخرة سيارة صالحة للعمل في الاراضي الوعرة، ويشغل بمولد كهربائي. وهذا الجهاز هو نموذج مصغر لاجهزة التنقيب عن النفط العملاقة وبامكان ذراعه الاسطوانية النزول الى عمق يتراوح بين 15 ـ 20 م في باطن الارض أو الموقع الأثري. ورأس ذراع هذا الجهاز القريب من الارض على شكل جزرة (carrot) مجوفة تنغرز في الارض (أو الموقع الاثري) لتستخرج في كل مرة حمولتها من اللباب، والتي هي عبارة عن كمية من ركام المستوطن ومواده الأثرية المنوعة. ان عمق المسافة التي تنغرز فيها جزرة للجهاز يتحكم فيها المنقب نفسه فبالامكان ان يكون عمق كل نزلة قدم واحد أو قدمين وهكذا وبتكرار هذه العملية نزولا الى اعماق المستوطن أو التل الأثري أو البقعة من الأراضي المراد سبرها نحصل على صورة واضحة لما تحويه البقعة المفحوصة بالعمق. هذا وباستطاعة المنقب فحص الموقع الواحد بعدد من هذه الثقوب. ان مثقب التنقيب هذا ذو فائدة كبيرة في فحص السهول الغرينية الواسعة كسهل وسط وجنوبي العراق الرسوبي ودلتا النيل وذلك للبحث عن مواقع ومخلفات الحضارات التي قامت في هذه السهول والتي طمرت بقاياها أسفل امتار عديدة من ترسبات الانهار الغرينية.

وهناك جهازان آخران لهما فائدة كبيرة في العمل الحقلي أيضا احدهما يعرف بمقياس المقاومة (resistivity meter) وعمله يستند الى القاعدة المعروفة بان الارض هي عامل مهم في التوصيل الكهربائي. ولما كانت مكونات التربة غير متجانسة وما تحويه من مواد كالصخور والتراكمات الأخرى لها توصيل كهربائي مختلف لذا فإننا اذا ربطنا مجسا بمقياس وغرسنا ذلك المجس في الارض فان المقياس يسجل قراءة مختلفة اذا غرس في كتلة صلبة كجدار من الطابوق أو خندقا مملوءا بالركام مثلا. ان جهازا غير معقد كهذا يفيد كثيرا من معرفة امتدادات ونهايات بعض الجدران والأبنية التي استظهرت في بقعة من التنقيبات بدون الحاجة الى اجراء المزيد من الحفر لمعرفة ذلك. والجهاز الاخر هو مقياس المغناطيسية (magnetometer) وهو جهاز اكثر تعقيدا من سابقه يفيد كثيرا في البحث عن لقى واثار من الحديد والمعادن الأخرى قد تكون مطمورة في المدافن والافران وركام الابنية. ومقياس المغناطيسية هذا جهاز حساس جدا بامكانه تسجيل أي شذوذ أو تباين في الحقل المغناطيسي الاعتيادي لمنطقة ما. وحساسية الجهاز العالية هذه قد تكون مبعث خطأ في القراءات التي

يعكسها فيما اذا كان الشخص الذي يعمل عليه يحمل في جيبه سكينا أو مجموعة من المفاتيح، أو حتى اذا مرت بالقرب سيارة أو قطار أو كانت هناك اسلاك كهربائية في الجوار.

اخذ عالم الاثار في الاونة الاخيرة يعتمد كثيرا على مجموعة من علوم الطبيعة والكيمياء والفيزياء في معالجة وتحليل المواد والدلائل الاثرية المكتشفة. فصارت مختبرات اغلب المتاحف ودوائر الاثار اليوم لا تقتصر على معالجة سطحية للمواد الاثرية المختلفة بل قد ادخلت كاميرا التصوير الشعاعي مثلا في جميع هذه المختبرات أو غالبيتها على الاقل للتعرف على مكونات وحدود الاثر الاصلية بعيدا عما يحمله من صدأ وتراكمات خارجية غريبة. كما عرفت هذه المختبرات طرق مختلفة لتحليل الدلائل العضوية للتعرف على ازمانها وبالتالي ازمان الموقع أو الطبقة أو البناية التي جاءت منها. ونظرا لكون الدراسات المختبرية تؤلف بحد ذاتها موضوعا قائما بنفسه قد يطول شرحه هنا لذا ساقتصر في هذه العجالة على ايراد مثلين من أمثلة استخدام العلم في استنطاق المواد الاثرية : أولهما تحليل كاربون 14 الاشعاعي (C 14) والذي يعتبر أكثر أساليب التاريخ المطلق (absolute-chronology) انتشارا الآن. الا انه ذو كفاءة عالية اذ يتطلب مختبرا خاصا به. وتحليل الكاربون 14 الشعاعي يعتمد على تحليل مواد عضوية اكتشفت اثناء التنقيب لمعرفة مقدار ما تبقى من اشعاع كاربوني فيها بعد موت تلك المادة العضوية قديما. والكاربون هذا ينتج من تفاعل الاشعة الكونية مع النتروجين في طبقات الجو العليا وتأخذه النباتات من غاز ثاني أوكسيد الكاربون حيث يدخل جسم الانسان عن طريق الاستهلاك النباتي ويبقى محافظا على كميته ما دام الكائن العضوي حيا. وعند موته تبدأ ذرات الكاربون بالتناقص بمعدل نصف كميتها بعد مضي 5568 + 30 مغت وهكذا. هذا وعلى المنقب عند جمعه للمواد العضوية والمتفحمة ان يبذل عناية خاصة خشية من تلوثها وتعرضها طويلا للمحيط الخارجي اذ انها بهذا ستعطي عند تحليلها بطريقة كاربون 14 قراءات غير صحية. ان المواد الصالحة للتاريخ بكاربون 14 الاشعاعي هي الخشب القديم أو المتفحم وانحبوب الغذائية والخبز والجلود والقرون والاصداف. والعظام المعرضة لتغييرات كيمياوية اثناء التحجر لا تصلح لهذا الغرض اذ ان الكاربون الذي فيها يتغير أيضا غير ان العظام المحروقة والتي حفظت بمكان جاف يمكن الاستفادة منها لهذا الغرض.

والمثل الثاني يتلخص باجراء تحليلات كيمياوية على العظام لمعرفة مقدار الفلورين فيها اذ ان العظام المطمورة تتعرض عادة لتفاعلات كيمياوية مع معادن التربة ورطوبتها مما يسبب تحجرا فيها اذ تضاف المواد المعدنية اليها أو تحل محلها تدريجيا ويتم التحجر بواسطة مادة الفلورين الموجودة في المياه الجوفية اذ تتفاعل هذه المادة مع بلورات هيدروكسيد الابثايت الموجودة في العظام وتكون مادة الفلورا ابثايت التي لا تتأثر بالتآكل أو الامتصاص أو التفاعل مع معدن آخر. هذا والعظام المدفونة في الارض مدة طويلة من الزمن تحوي على نسبة أعلى من الفلورا ابثايت اذا ما قورنت مع عظام مدفونة منذ زمن أقصر.

وفي الختام لا بدّ ان نشير بان عالم الاثار مستمر في الاستفادة من ما تقدمه التكنولوجيا الحديثة من وسائل فقد بدأت مؤخرا تغذية أجهزة الكومبيتر بالمواد والمعلومات والتواريخ المطلوبة ليستعين بها الاثاري في استخلاصِ نتائج ومقارنات سريعة عن القضايا والمشاكل الاثارية التي يعالجها ومن هذه القضايا دراسة سريعة لبعض مسائل الكتابات القديمة والتوصل بسرعة الى حل الكثير من رموزها. كما ان باستطاعة الاثاري الان استخدام جهاز التلكس (Telex) للاتصال بزملائه في مختلف اقطار المعمورة لتبادل الآراء والمعلومات وتلقي اجوبتها على جناع السرعة.

ومع هذا كله فإننا لعلى يقين بان المستقبل سيأتي بمبتكرات تكنولوجية أخرى ربما ستعين العمل الاثار الحقلي بشكل أوسع، لذا فاننا نرى ان من واجبنا ان لا ننهي حفر أي موقع بأكمله، أي نزيله كله من الوجود، بل نترك جزءا من هذا الموقع بدون تنقيب ليستطيع منقبو المستقبل بما سيكون لديهم من وسائل تقنية، ربما أحدث مما لدينا، انجاز العمل بنتائج أكثر فائدة.

مناهج البحث العلمي وتطبيقاتها
في الكشوف الاثرية

د. نبيل ساروفيم

كل عمل قام به الانسان منذ وجوده على الارض كان نتيجة أوضاع ومفاهيم وإمكانات معينة، وقد نتج عنه تحوير في المادة والطبيعة من حوله، بعضها زالت معالمه كلية وبعضها ظاهريا وبعضها بقي، وقد جاء علم الاثار الحديث يبحث في تطور هذا الانسان من خلال هذه المخلفات مستعينا بكل الوسائل والاساليب والعلوم.

المؤرخون يمكن من هذه الزاوية اعتبارهم اثريون متخصصون في دراسة مخلفات الانسان المكتوبة، وتختلف هذه عن غير المكتوبة في أن الأولى هي ما ارتأى أن يقدمه لنا الوسيط الذي هو المؤرخ بالشكل والحجم والنوع الذي أراد بينما الثانية هي شواهد حية وصادقة ومباشرة.

من هنا كان الشغل الشاغل لعلماء التاريخ هو التدقيق في المعلومات قبل جمعها بينما انشغل علماء الاثار في وسائل استخلاص أكبر قدر من المعلومات من هذه المخلفات وبينما يدقق المحقق التاريخي في احالة الوثيقة التاريخية قبل اعتمادها كمستند، يدقق المحقق الاثري في أساليبه وكفاءته لا في أصالة مكتشفات حقله لان امكانية الخطأ في هذا المجال تكمن في العالم نفسه عن حسن نية أو عن سوئها وهي ناحية لم تعطي حقها من الأهمية بعد لصعوبة التدقيق في هذه الاخطاء وكشفها، فلولا الاستعانة بالعلوم الحديثة كمختبرات الكربون 14 ربما كنا لا نزال إلى اليوم نعتبر فك القرد المركب على جمجمة انسان على انه إلى (Piltdown Man) احدى الحلقات المفقودة في تطور العنصر البشري.

الذي يقرأ تاريخ منهجية الكشف الاثري يرى كم من الاخطاء وقع فيها الاثريون المنتمون وهم الهواة والمتخصصون في العلوم الأخرى الذين استهواهم التنقيب عن الاثار فاتجهوا له لاشباع رغباتهم أو لتغذية مصادرهم، هذا العلم الموجه بما أعطاه من نتائج كان له فضل المساهمة في خلق ما يسمى بعلم الاثار الذي تمكن حديثا من الانطلاق بعد أن تخلص من حضانة التاريخ والهواة له على أيدي رواد كبار كـ(Furtwaengler Flinders Petrie) الذي

صنف الفخار الملون في الثمانينات من القرن التاسع عشر وبتصنيفه للفخار الغير ملون سنة 1890 في دراسة شقت طريقها بثبات في الدوائر العلمية بعد حفرياته في Naucratis وتل الحصن ما لبث أن اتبعها باكتشاف مهم آخر هو التاريخ التتابعي Sequence Dating بعد احدى عشر سنة من خلال عمله في مصر على المدافن التي تعود الى السلالات الأولى والسابقة للسلالات وكان لـ Doerpfeld الفضل في تطوير أسلوب تسجيل وتخطيط البقايا البنائية المتراكمة بعدما تسلم العمل في حفريات طرواده سنة 1892 أثر وفاة Schliemann ولكنه ادخل نفسه في متناقضات لرفضه تبني تصنيف Furtwaengler للفخار.

مع أن الحجر الاساسي لعلم الاثار الحديث أرسى سنة 1738 مع أول عمل منظم للكشف عن آثار مدينة هركولانوم Herculanum التي دمرها بركان الفيزوف إلا أن البناء لم يتخذ شكله النهائي قبل مضي عدة عقود من هذا القرن وذلك لوقوع بعض الآثريين في عقدة التاريخ أو تحفظ بعضهم الآخر تجاه المنهجية الحديثة مفضلين الدراسات المكتبية والمقارنة على الدراسات الحقلية مقتنعين بأن تأريخ تمثال ما على سبيل المثال بتمثال آخر معروف أضمن من اللجوء الى الطبقات الأثرية ومشكلاتها وما تستلزمه من تواجد متواصل للاثري في كل بقعة من الحقل، فالتنقيب هو لجمع المكتشفات ومن ثم يعيد الدارس تكوين الطبقات الاثرية من خلال ما تثبت نسبته الى نفس الفترة أو العصر أو ما يثير منها التعقيدات والتساؤلات فكثيرا ما يهمل وتعطي الأهمية في الموقع للابنية بالدرجة الأولى بحجة أن القطع ليست ثابتة كالبناء وهي سهلة الانتقال والاعتماد عليها يعقد الامور أكثر مما يحلها.

مع أن هذه النظرية لا تخلو من بعض المنطق على الصعيد النظري الا أن الوقائع العملية أثبتت العكس الا في بعض الحالات النادرة، منها بفعل العوامل الطبيعية كمواقع العصر الحجري في المناطق الصحراوية ذات الطبيعة الرملية والتي تجتاحها رياح موسمية حيث تزول الفواصل الرملية بين الطبقات وما نجده عادة هو مجموعة كبيرة مختلطة من الأدوات والشظايا الصوانية تعود الى أكثر عصر ومنها ما هو ناتج عن استعمال معدات تسوية التربة والفلاحة الميكانيكية التي انتشرت على نطاق واسع في البلاد العربية مما يؤدي الى تخريب اجزاء أو بعض المواقع الاثرية التي لا حماية لها وهذه الحالات لا تحتاج الى عناء كبير لتحديدها والحفريات السرية Clandestine Excavations تخريبها محدودا ولا يشمل الموقع كله الا فيما ندر، أما تداخل اجزاء من طبقات التلول الأثرية نتيجة حفر أساس الابنية في الفترات والعصور المختلفة فقد أصبحت ميدانا مهما للدراسة وكذلك خنادق ناهبي الحجارة Robbers Trenches أي اختلط في الطبقات متى عرف سببه ومداه أمكن تفادي الوقوع في مهالكه لذلك فهذه النظرية لم تعد قائمة في مفهومنا الحديث لانه لا يمكن الاستغناء عما تقدمه لنا الدراسات الحقلية التي أود أن أشير اليها كاختصاص قائم بذاته Field Archaeologist فأثرى الحقل هو المسؤول عن ايصال المكتشفات بصورة علمية سليمة الى باقي الاختصاصيين كدارسي تاريخ الفن والعمارة والنقود والخطوط القديمة الخ ... وهو نقطة الارتكاز في جمع روابط هذه الفروع في وحدة متكاملة هي الموقع.

معظم الذين كتبوا في موضوع المنهجية الـ Methodology كـ Mortimer Wheeler Kathleen Kenyon, André Parrot, وغيرهم من كبار علماء الاثار ركزوا اكثر اهتمامهم على ايضاح الاساليب التقنية في الكشف والبحث الأثري وقد تدرج بعضهم حتى الى عدم اغفال مستلزمات التنقيب من معاول ورفوش وقفشات وقداديم وفراش وكيفية استئجار العمال والتعامل معهم الخ ...، كما لم يهملوا ذكر المعاهد والجامعات التي تدرس الاثار واختصاصاتها وشهاداتها والوظائف التي تنتظر الطالب بعد تخرجه، لذلك فهل كل من جرى حشو دماغه بكل المعلومات اللازمة أصبح مؤهلا أن يكون أثري حقل ؟...

الفرق شاسع بين صاحب مهنة الاثار وعالم الاثار فالأول قد يكون أيُ شخص يحمل جواز المرور الى المهنة بينما يتحلى الثاني بصفات يصعب تلقينها كالامانة العلمية والاخلاقية ودقة الملاحظة وسرعة البديهة والقدرة على المثابرة والاستنتاج الصحيح وعدم الانانية.

مع أن خبرة الغير لا يمكن الاستغناء عنها الا أنها غير كافية للاعتماد عليها كلية لان كل شبر من كل موقع أثري هو مشكلة قائمة بذاتها قد تلتقي مع غيرها بخطوطها العامة ولكنها تختلف في التفاصيل ومن هنا فكل أثري هو صاحب مدرسته الفرعية في التنقيب ولو لم يكن الامر كذلك لتوقف كل تقدم علمي في مجال مناهج الكشوفات الاثرية التي لا تزال بأشد الحاجة اليه لحداثة عمر هذا العلم مع انه قد بلغ النضج المبكر أو كاد لانفتاحه على العلوم الاخرى حيث أصبح الاثري يعمل جنبا الى جنب مع المهندس والفيزيائي والكيميائي والجيولوجي وعالم النبات واختصاص العظام وغيرهم.

هذا التطور والتقدم الكبير والسريع الذي شهده علم الاثار في العقود الاخيرة والذي لا نزال نشهده.أدى الى وجود جيلين من الاثريين يعملون معا في حقول التنقيب : الجيل المخضرم يتمسك بأساليب مدرسته ويتحفظ تجاه المداخلات مع العلوم الجديدة التي قد تطغي على دور الاثري المتعارف عليه وتخلق تضاربا يمكن أن يصل الى جذور بعض المفاهيم الدارجة بحجة أن بعضها لم يبلغ الدقة ما بلغه هو بوسائله، وطلاب المدرسة الحديثة بخبرتهم المحدودة لا يزالون في مرحلة الشك بالوسائل القديمة واضعين ثقتهم بتقنية العلوم الحديثة التي ترعرعوا في احضانها للوصول الى اليقين، هذا الوضع الطارئ ستنجلي مواقفه في العقود القادمة لتضع علم الاثار في منعطف جديد.

بعض مفاهيمنا القديمة تغيرت بالفعل بصورة ايجابية فقد تخلى الهواة عن كل حقوقهم المكتسبة في حقول التنقيب وتلاشت ظاهرة الاقطاع العلمي لتشعب الاختصاصات وغني المكتبة الاثرية، فلم يعد هناك معلم أول ولا صاحب امتياز على منطقة أثرية أو حضارة قديمة ينفرد بكشوفاتها وابحاثها ومنشوراتها.

من النتائج الايجابية التي وصلنا اليها على صعيد التنقيب ارساء الاسس الصحيحة لجمع المعلومات من ربط لكل المكتشفات والطبقات ببعضها كالسلسلة وتدوينها بحيث يلقي أي

مكتشف الضوء على ما حوله ويكمل عالم عمل سابقة في الحقل بطريقة متكاملة ودونما فجوات تنتج عن هذا الانتقال كما أن التأخر في نشر الكشوفات الاثرية أصبح لا مبرر له بعد أن توفرت الكفاءات والامكانات.

نواحي أخرى تستدعي التنبه لها منها :

1 ـ الافراط في حفر الاسبارات : فائدة الاسبار انه يعطي فكرة موجزة وجزئية عن الموقع أو التل أو ما قد يوجد بداخله من طبقات ومع النتائج التي يعطيها يبقى بحد ذاته عملا سلبيا فبالاضافة الى اخطار الانهيارات هو عملية توغل في المجهول لعدم امكانية ربط المكتشفات بما حولها، وكثيرا ما تؤدي الشكوك حوله الى ضياع فائدته.

2 ـ تدمير الابنية الاثرية : البناء الاثري ككل المكتشفات قيمته في كونه أحد الشواهد المادية لنتاج الانسان في فترة من الفترات أو عصر من العصور والسماح بتدميره بعد التسجيل للوصول الى الطبقات السفلى لا يجب أن يؤخذ كذريعة لرفع المسؤولية لانه ان كانت الرسوم والصور والاوصاف كافية لنملأ متاحفنا بها عوضا عن الآثار بحجة توفير العناية والصيانة والتخلص من طرق التخزين والتأمين ضد السرقة الخ ... طالما أن لكل قطعة أثرية عمر معين كالبناء.

3 ـ التيارات المنهجية : نظرا لعدم تبلور دور أثري الحقل لا يزال الاختصاصيين في فروع الآثار المختلفة يقومون بالتنقيب بعض الاحيان دونما تحضير كاف في هذا المجال مما يسهل الوقوع في التيارات المنهجية، فبعضهم يحملون نظرياتهم لاثباتها فيبداؤن من حيث يجب أن ينتهوا، وبعضهم الاخر لا يهمه الا أبنية أو مكتشفات معينة. وبعضهم الثالث ركز اهتمامه على التسلسل الفخاري حتى بات يظهر وكأنه غاية التنقيب ولا يظهر أثر هذه المشكلة الا عند تعاقب المنقبين أو عند نشر النتائج الكاملة بحيث يكون الوقت قد فات لمعالجتها.

4 ـ التقصير في النشر : تقتصر بعض التقارير الاثرية على مجموعة من الصور والمقاييس والاوصاف ويأتي بعضها الآخر بعد مواسم تنقيب ناجحة في مواقع شبه مثالية ليردد لنا نفس المعلومات التي نعرفها ولكن بأسلوب جديد وصور جديدة وبعضها الثالث لم ير النور لان صاحبها انشغل بالتنقيب لدرجة لم يتسع وقته معها لينشر شيئا عما نقب عنه خلال عقود طويلة غير منتبه بعض الاحيان بأن ما بقي له من طول العمر قد لا يكفيه لدراسة نصف ما كشف واكتشف.

5 ـ الاسس الواهية لبعض الدراسات والنظريات : علم الاثار من العلوم الجدلية الاستنتاجية وهو أحوج ما يكون الى علم المنطق وأسسه اذ لا يجوز الوصول الى استنتاجات وتعميم نظريات ما لم تكن مبنية على حقائق، وكثير من الدارسين وإن عن غير قصد يعتمدون

على معلومات غير أكيدة ويبنون عليها نظريات يتبناها آخرون كحقائق ليبنوا عليها نظريات جديدة، ومع تعدد الجهات التي أصبحت تهتم بنشر الدراسات الاثرية وازدياد الاصفار المضطرد في عدد المؤلفات ولتعدد الاختصاصات أصبح من الصعب التحقق من مصادر بعض المعلومات والنظريات مما يسهل وقوع الدارس في الاخطاء.

هنا تبرز أيضا ضرورة اعادة تنظيم التعامل مع الهواة الذين قد يستقون معلوماتهم من أي مصدر قديم أو حديث، علمي أو عام لينشروا دراسات أو مقالات بعضها يظهر تناقضه وقدم معلوماته بوضوح ولكن بعضها الاخر قد تكون له نتائج سلبية وان كانت عفوية، والهواة قوة مساعدة لعلماء الآثار لهم دور ايجابي وخصوصا في المجال الثقافي لعامة الناس ان جرى التعامل معهم على أسس صحيحة.

6 ـ مخازن المتاحف : هناك الكثير من الاثار المكدسة في متاحف العالم من مكتشفات قد ترجع حتى لاكثر من قرن مضى قد لا نعرف عنها سوى وجودها :

تقتضي الامانة العلمية الاهتمام بهذه المادة المشلولة واعادة الحيلة اليها بقدر الامكان فاصدار الكاتالوغات على الأقل بكافة محتويات المتاحف أصبح من صميم مسؤوليات اداراتها لانه لم يعد هناك معنى في احتفاظ المتاحف بمادة غير منشورة أو قيد النشر.

كلمة أخيرة :

لم يزل العبء الاكبر من الاعمال الاثرية في البلاد العربية يقع على عاتق ادارات الاثار مع النقص المحسوس في عدد الاختصاصيين العاملين، لذلك وجب أن تولي اهتمامها للمحافظة على المواقع الاثرية واستملاكها أكثر من كشفها ليس فقط خوفا عليها من أيدي العابثين، بل لانه قد يصبح من المتعذر في المدى القريب وضعها في سبيل المصلحة العامة كما هو حاصل الان بالنسبة للمدن الكبيرة ولان ما بقى من الآثار دفينا لالاف السنين لا شيء يمنع من بقائه على هذه الحال بضعة سنوات أخرى، وأسس التعامل مع البعثات التي مضى عليها حوالي النصف قرن أصبح من الضروري اعادة النظر فيها وتطويرها، كما أصبح ضروريا تقييم التعامل مع فروع العلوم الاخرى بما يكفل تطور علم الاثار -لأن يتحول الى ميدان لتجاربها.

التنقيب الأثري وتطبيقاته في الدراسات التاريخية
تجارب الأردن

الدكتور فوزي زيادين
دائرة الآثار الأردنية ـ عمان
المملكة الاردنية الهاشمية

ان علم الاثار هو علم الماضي وهو لذلك مرتبط ارتباطا وثيقا بعلم التاريخ الا أن علم التاريخ مختص بدراسة الاحداث وربطها بعضها البعض واستخلاص النتائج منها بينما يعني علم الاثار بالحقائق المادية الملموسة وربطها بالتاريخ. وقد استعمل الاقدمون علم الاثار بمعنى علم التاريخ كما فعل افلاطون في كتابه (هبياس) كما فعل كذلك المؤرخ اليوناني ثيوكيسيدوس في مقدمته لتاريخ اليونان. ولكن العلماء المعاصرين استخدموا الكلمة بغير معناها الأساسي. واخذت تطبق ليس على النصوص القديمة التي تعنى بالتاريخ ولكن على مكتشفات ملموسة التي يمكن أن تصبح خير معين لعلم التاريخ.

ونحن هنا اذ نأخذ هذه الكلمة بهذا 'المعنى الحديث نريد ان تبين كيف أن علم الاثار كان خير وسيلة لاعادة النظر في تاريخ الاردن وكتابة الصفحات المهمة منه والقاء الضوء على الزوايا الغامضة من هذا التاريخ خاصة وأن النصوص المكتوبة التي وجدت في بلادنا هي ضحلة اذا ما قوبلت بما اكتشف في بلاد مصر وبلاد ما بين النهرين، ولكن كيف استطاع علم الاثار ان يزود علم التاريخ بمعلومات قيمة ؟...

لقد بدأت مرحلة استكشاف الاردن في أوائل القرن التاسع عشر ففي عام 1806 زار الرحالة الالماني ستزن خرائب جرش وتعرف اهميتها كمدينة رومانية وكمركز تجاري هام على طريق فلادلفيا ـ دمشق ـ وفي عام 1812 وصل الرحالة السويسري بيركهارت الى البتراء قادما من دمشق ومن ثم تابع رحلته الى الحجاز فمصر. وكانت البتراء قد غابت بالنسبة للمختصين في التاريخ والاثار منذ القرون الوسطى وكان لاستكشاف البتراء تأثير

عظيم في العالم الغربي حيث اخذت تتوارد على العاصمة بعثات من جميع انحاء العالم كان أهمها بعثة الرحالين البريطانيين اريل ومانجلز سنة (1818) ثم تبعهما الرحالة الفرنسي الدوق دي لين سنة 1864 ـ 1866، ولكن اشهر من اهتم بأثار المدينة النبطية هما الالمانيان : برونون وفون دوماشفسكي اللذان دونا اثار البتراء وحوران وشرق الاردن في أربعة مجلدات وقد طبعت مؤلفاتهما في الأعوام ما بين 1904 ـ 1909.

ومن اهم المكتشفين القدامى الرحالة التشيكي الويس موسيل الذي جاب الصحاري العربية بين الاعوام 1886 ـ 1911 وترك عدة مؤلفات عن مشاهداته في الشرق طبعت في نيويورك واليه يرجع الفضل في اكتشاف القصور الاموية في الصحراء الاردنية وخاصة قصير عمره الذي زاره عام 1898 وعاد اليه عام 1901 لنقل جميع رسوماته برفقة احد الرسامين. وقد دون هذه الرسومات في مجلد طبع في فينا عام 1907، وقصير عمره هو من أشهر المباني التي انشئت في العصر الاموي ربما في عهد الوليد الثاني (743 ـ 744). وقد استدل العلماء على هويته الاموية بسبب الكتابات العربية الكثيرة التي وجدت في داخله وبسبب صورة للملك الاسباني رونزريق الذي قتله العرب عام 711، ولوحات الفريسكو التي تزين القصر هي افضل شاهد على فن الرسم العربي المتأثر بالفن الروماني البيزنطي ولكنه دليل أيضا على استقلال هذا الفن ربما بسبب الفنانين الذين كانوا من أهل البلاد وليسوا من الاجانب وبين الاعوام 1907 ـ 1910 قام العالمان جون وسافتياك بجولة في الاردن ووصلا الى آثار مدائن صالح في السعودية بعد أن زارها النبطية اذ انهم ترجموا العديد من الكتابات النبطية التي تمتد من 1 ق.م. الى 75 بعد الميلاد، وهي الفترة التي تمثل أوج الحضارة النبطية وسيطرتها على الطرق التجارية اذ تتوقف الكتابات في عهد آخر ملوك الانباط رابيل الثاني الذي ضمت روما مملكته الى امبراطوريتها عام 106 ميلادي في أيام الامبراطور تراجانوس وهذا دليل على أن الحضارة النبطية العربية كانت قادرة على ان تواكب الحضارات الشرقية القديمة وتبني بأسلوب معماري مستوحي من الشرق والغرب، الا أن المميزات الشرقية النبطية هي الاكثر وضوحا كما أن حياتهم العربية المتأثرة بديانة العرب في الجاهلية قد ظهرت معالمها في الكتابات والنقوش النبطية.

بعد هذه المرحلة الأولى بدأة حملات التنقيب عن الاثار أولها بدأت في فلسطين بسبب ما لهذه المنطقة من تراث تاريخي وبسبب كونها مهد بعض الديانات السماوية ففي عام 1865 انشأ صندوق استكشاف فلسطين Palestine Exploration لدراسة آثار وجغرافية وتاريخ البلاد المقدسة في لندن ثم جمعية استكشاف فلسطين في نيويورك عام 1870 وكان تل الحسين قرب غزة أول موقع اجريت فيه التنقيبات العلمية باشراف فلندرز بتري عام 1890 ـ وكان المثال الافضل لفن الحفائر العلمي في بداية التقيد بهذا العلم.

وفي فلسطين امتد البحث عن الاثار الى الضفة الشرقية من الاردن. فمنذ عام 1866 اكتشف كلاين (Klein) في قرية ذيبان شمالي وادي الموجب نصب ميشع الشهير وهو من

حجر البازلت وقد نقش عليه 34 سطرا باللغة المؤابية القديمة وبالخط الفنيقي وقد تحطم هذا النقش الا ان كليرمونت غانو كان قد نسخ الكتابة ثم نقل ما تبقى من القطع الى متحف اللوفر في باريس ويعتبر نصب ميشع اهم وثيقة تاريخية وجدت في الاردن.

النقش يروي انتصارات ملك مؤاب ميشع على عدوه الاسرائيلي ملك السامرة عمري في القرن التاسع ق.م.، ويذكر ميشع في مسلته انه ملك على مؤاب بعد ابيه الذي حكم البلاد ثلاثين سنة ويقول انه ثار على اعدائه وطردهم من بلاده. ويذكر ميشع جميع المدن والحصون التي بناها والابار والبرك التي اعدها لجمع المياه وقد وردت قصة ميشع وثورته بالتوراة في سفر الملوك الا أن انتصارات الملك المؤابي لم تذكر بتفاصيلها، كما أن التوراة لم تعط هذه الانتصارات حقها وحاولت التغطية على أهميتها. ونقش ميشع هو الدليل الواضح على قيمة الاكتشافات الاثرية بالنسبة لتدوين علم التاريخ. لقد اصبحت ثورة ميشع المؤابي حقيقة تاريخية لا نقاش فيها كما انها اسدلت الستار عن عدد لا يستهان فيه من المدن المؤابية القديمة التي لا تزال باقية حتى اليوم كما أثبتت ان التنقيب الاثري ضرورة لتفهم علم التاريخ واستقصاء حقائقه.

وفي بلاد مؤاب ايضا اكتشف عام 1933 نصب البالوعة التاريخي وهو عبارة عن حجر بازلتي عليه صورة لالهة مصرية معها ملك مؤابي وفي أعلى النصب بقايا كتابة هيروغلوفية يصعب تحليلها الا أن المختصين بالاثار استطاعوا تحديد تاريخ النصب الى عهد رمسيس الثاني فرعون مصر. ويدل النقش على التأثير المصري على بلاد الاردن في العصر الحديدي الأول وربما كانت هذه البلاد خاضعة للحكم الفرعوني، الا أن الحفريات لم تظهر المدينة القديمة والتي كانت مأهولة في عهد رمسيس الثاني وربما نقل اليها النصب من مكان قريب.

وبدأت التنقيبات في الاردن عام 1924، ففي تلك السنة قام البرايت بحفرية اثرية في موقع باب الذراع على الشاطىء الشرقي للبحر الميت ودلت هذه التنقيبات على أن الموقع كان مأهولا في الالف الثالث ق.م. (العصر البرونزي القديم)، ثم تابع حفريات في نفس الموقع الامريكي بول لاب Paul Lapp من 1965 ـ 1966، وقد اظهر لاب أن هذا الموقع كان يحتوي على مدينة ذات اسوار وعلى اضخم مقبرة أثرية من العهد البرونزي القديم ان المدينة قد دمرت في حوالي 2200 ق.م. وربما دمرتها قبائل العموريين الذين استولوا على المنطقة في ذلك العهد وقضوا على حضارة العصر البرونزي القديم ليقيموا عليها حضارة جديدة كانت المدخل الى العهد البرونزي المتوسط الذي اشتهر بتأثير حضارة الهكسوس المصرية، ويلاحظ ان عدة مدن في الاردن ترجع الى ذلك العصر مما يشير الى ازدهار تلك الحضارة اذا ما قورنت بالعصور التي تلتها وخاصة العصرين البرونزي المتوسط والاخير، وتلت اكتشافات باب الذراع حفرية في قرية ادر الواقعة شمالي الكرك حيث اكتشف البرايت معبدا من العصر البرونزي القديم.

وتتناقض المكتشفات التي ترجع الى العصر البرونزي الأول مع تلك التي تعود الى العصر البرونزي المتوسط والاخير مما جعل نلسون جلوك الذي جاب منطقة الاردن، يتوصل الى الاستنتاج بان المنطقة ربما لم تكن مأهولة في هذين العصرين الا من قبل عناصر غير مستقرة الا أن التنقيبات الاثرية في السنوات الاخيرة قد خففت من قوة هذه النظرية حيث انه عثر في عمان مثلا على معبد في عام 1965 يرجع تاريخه الى العصر البرونزي الاخير وجد في داخله أواني فخارية ومكتشفات من ذلك العصر بينها عدة قطع مستوردة من الجزر اليونانية ولم يكن استيراد هذه القطع ممكنا دون وجود حضارة مستقرة ذات تجارة مزدهرة مع حواضر العالم القديم، وعزز تهافت نظرية جلوك التنقيبات الاثرية في منطقة عمان اذ ظهرت اثار المدينة القديمة من العصر البرونزي الاخير في قلعة عمان وتل صافوط، واربد، وطبقة فعل (بلا) وربما وقع جلوك في الخطأ لان استكشافاته لم تكن الا سطحية ولم تتعداها الى التنقيب عن الاثار وهذا يؤكد ضرورة الاعتماد على الحفريات الاثرية في دعم الكثير من الحقائق التاريخية.

وكانت الفترة التي تلت العصر البرونزي الاخير التي ترجع الى العصرين الحديدي الأول والثاني اكثر حظا بالنسبة للتنقيبات الاثرية والمكتشفات التاريخية فمنذ عام 1929 ذهبت بعثة اثرية لاستطلاع مواقع ام البيارة في البتراء ووجدت فيه قطع فخارية ترجع الى العصر الحديدي الأول (1200 ـ 900 ق.م)، ثم اجريت فيه حفرية اثرية عام 1933 وكان هم الباحثين الأوائل اثبات أن جبل أم البيارة هو نفس صخرة الادوميين التي تحدثت عنها التوراة في القرن التاسع ق.م.، ومع انهم اثبتوا الصلة الوثيقة بين سلع التوراتية وجبل أم البيارة الا أن التنقيبات الاخيرة التي قامت بها المدرسة البريطانية قد دلت على أن الموقع لم يكن مأهولا في القرن التاسع ق.م.، وأن القرية التي اكتشفت ترجع الى القرنين الثامن والسابع ق.م.، وربما تكون مدينة السلع المذكورة في التوراة تقع الى شمالي البتراء على جبل لا يزال يدعى اليوم «سلع» وعليه اثار قديمة الا انه لم يتعرض لتنقيب الاثري.

وكان لتنقيبات أم البيارة التي اجرتها المدرسة البريطانية أهمية تاريخية لا يستهان بها الا انها اظهرت ختما لاحد ملوك الادومين اسمه قوس جابر وهو مذكور في الكتابات الاشورية في عهد اسر حدون (669 ـ 608) وهكذا اثبت التنقيب مرة أخرى صحة الوثائق الاشورية كما وأن الختم هو أول وثيقة تاريخية لاحد ملوك الادومين وعليه يبرز التأثير الاشوري في شكل الاسد المجنح أو أبو الهول، وهذا التأثير هو طبيعي في فترة خضعت فيها البلاد لحكم الاشوريين والبابلين. كما وتم العثور على تمثال امرأة من الالباستر وهو ينم على نفس التأثير الاشوري.

وهكذا فقد كانت تنقيبات أم البيارة حدثا في تأكيد الحقائق التاريخية عن علاقة الاردن بحضارة الاشوريين والبابليين، كما وانها ناقضت استنتاجا تاريخيا كان قد سارع اليه بعض العلماء في اثبات الصلة بين أم البيارة وموقع السلع القديم.

وفي السنوات الاخيرة وجد بالقرب من البتراء جعران فرعوني يرجع الى امنحوتب الثالث وهو أحد الجعارين الكثيرة التي اصدرها الفرعون المصري في القرن الرابع عشر كما وانه دليل اخر على وجود حضارة في العهد البرونزي الاخير، كما اشرنا الى ذلك كما وانه يثبت التأثير المصري الذي ذكرناه في الحديث عن نصب البالوعة.

أما التنقيب في مدينة البتراء نفسها فلم يبدأ الا في عام 1929 عندما كشف هورسفيلد عن جزء من اسوار المدينة وعن عدد من المدافن القديمة. ورغم وجود بعض المعلومات التاريخية عن مملكة الانباط دونها المؤرخون القدماء من مثل ديودوروس وسترابو ويوسيفوس الا أن النقوش التاريخية قليلة اذا ما قوبلت بما ظهر في مدائن صالح. ولذلك فان معظم المباني والمدافن المنحوتة في الصخر لا ترتبط بتاريخ مملكة الانباط الا على سبيل المقارنة.

وان اهم اثر منحوت في البتراء المسمى الخزنة يظل مجهول التاريخ رغم العناصر الهلينية ـ المصرية التي لاحظها الرحالة الأوائل.

الا أن معظم الباحثين قدروا ان اهم اثار البتراء قد انشأت في القرن الأول قبل الميلاد أو بعده وذلك في أوج الحضارة النبطية بينما تدهورت هذه الحضارة بعد احتلال الرومان للمنطقة.

وكان النقاش حادا بين المختصين حول تاريخ المعبد الوحيد المبنى من الحجر الرملي والمسمى «قصر البنت» وكان العلماء البريطانيون يعيدونه الى العنصر الروماني. وظلت المعضلة بلا حل الى أن كشفت حفريات عام 1963 عن لوحة حجرية مثبتة في السور الذي بني حول المعبد. وهذه اللوحة تحمل كتابة نبطية تشير الى تمثال الحارث الرابع ملك الانباط الذي كان قائما على منصة. وهذه الكتابة كانت الدليل المقاطع على أن المعبد نبطي الاصل وانه بني في القرن الأول قبل الميلاد على الاقل ويصبح هكذا من أقدم المعابد اليونانية الشرقية في المنطقة.

ولم يكن التوصل الى حل المعضلة ممكنا دون التنقيب الاثري الذي اثبت أن مملكة الانباط قد وصلت الى حضارة مرموقة في ظل تأثير الاسكندرية. واثناء تنقيبات الدكتور فيليب هموند الامريكي ظهر عام 1975. تمثال مصري يرجع الى القرن السابع ق.م. داخل معبد نبطي وكان قد احتفظ به دون شك ككنز ثمين. وهذا دليل آخر على العلاقة الوثيقة بين مصر وبلاد الاردن في عهد مملكة الانباط.

وعلى بعد 6 كم الى الشمال من البتراء في موقع بيضه جرى التنقيب من عام 1956 الى 1967 باشراف السيدة ديانا كركبرايد، وقد كشفت هذه الحفريات النقاب على قرية ترجع الى العصر النيوليثي وتألف من 6 طبقات اقدمها يرجع الى حوالي ـ سبعة آلاف ق.م.، وتألف المساكن في هذه القرية من البيوت المبنية من الحجارة والطوب وبعضها مستدير الشكل وبعضها مستطيل. وكانت حجراتها يتخللها اعمدة خشبية ترتكز على عمود مركزي مما

يجعلها تشبه كوخا قديما، وربما كانت بعض المنازل المستطيلة ترتفع بدورين وكان الدور الأول فيها يستعمل للخزين أو كحوانيت صغيرة للحرفيين وتثبت اكتشافات بيضه أن منطقة البتراء كانت صالحة للسكن منذ عصور ما قبل التاريخ وهي بذلك تنافس مدينة اريحا القديمة حيث ظهرت قرية زراعية تعود الى العصر النيوليثي وحولها اسوار.

قد استفادت عمان ومنطقتها من التنقيبات الاثرية العديدة التي جرت فيها، والمعروف أن عمان وهي ربة عمون القديمة كانت مأهولة منذ عصور ما قبل التاريخ وفي العصر البرونزي القديم، ولكن اهم فترة في تاريخها كانت فترة مملكة العمونيين وهم من الساميين الذين وصلوا الى المنطقة ربما في القرن الخامس عشر ق.م.، وتظهر مملكة عمون لأول مرة في القرن الحادي عشر ق.م.، ولم يكن لدينا الا المعلومات القليلة على هذه المملكة لولا أن تنقيبات المنطقة قد ضاعفت هذه المعلومات واعطتنا فكرة أوضح عن السلالة العمونية، ففي عام 1972 اثناء حفرية قامت بها الجامعة الاردنية عثر في تل سيران على قارورة برونزية تحمل ثمانية اسطر باللغة العمونية وبالخط الفنيقي ترجع الى القرن السادس قُ.م. وفي هذه الكتابة تقرأ اسماء ثلاثة ملوك من ملوك العمونيين، اثنان بينهما لم يكونا معروفين، من قبل وهما (حصل ـ أل) وعميناداب الثاني، بالاضافة الى ذلك تشير الكتابة الى المنشآت الزراعية التي اقامها الملك عميناداب الثاني مثل حفر الابار والقنوات وزراعة الكرمة والحدائق، ومثل هذه المنشآت كان قد اقامها الملك ميشع ملك مؤاب في القرن التاسع ق.م.

وفي عام 1974 اثبت قراءة كتابة عمونية أخرى كانت منقوشة على تمثال لاحد ملوك العمونيين وجد في قلعة عمان عام 1949، وعلى هذا التمثال تظهر بعض الملامح الارامية التي تميز شمال سوريا، وأوضحت الكتابة اسماء ملكين جديدين من ملوك العمونيين هما زاكير وبراح عزار وهكذا اصبح لدينا أربعة عشر ملكا من السلالة العمونية منذ القرن الحادي عشر ق.م. الى القرن السادس عشر ق.م.

وكان العمونيون في نزاع دائم مع خصومهم في بلاد فلسطين الا انهم استطاعوا توطيد مملكتهم الصغيرة بسبب قوتهم العسكرية واقبالهم على تعمير بلادهم بالزراعة والتجارة الى أن قضت عليهم الفتوحات الاشورية والبابلية.

وضمن مملكة العمونيين يقع في غور الاردن تل دير علا الى الشمال من خربة الشونة وقد اشرفت على التنقيبات فيه بعثة هولندية بادارة الدكتور فرانكين 1959 ـ 1967 وتبين نتيجة الحفريات ان الموقع قد كان محطة تجارية عند مصب وادي الزرقاء وهو طريق طبيعية يصل بين وادي الاردن والهضبة المطلة على ذلك الوادي واتضح ان المدينة كانت مأهولة في العصر البرونزي الاخير 1500 حتى أواخر العصر الحديدي الثاني 500 ق.م.، وأيضا في القرون الوسطى العربية.

ومن أهم ما تم العثور عليه معبد من العصر الحديدي، وقد غطيت جدرانه بالجص وكتبت عليها بالحبر كتابة عمونية ـ آرامية لم تنشر بعد ولكن الدراسات الأولية تشير الى انها كتابة دينية يظهر فيها احد الانبياء واسمه (بلعام) وهذا النبي كان يمارس نبوته في القرن السابع ق.م. بما يشير الى أن العمونيين كان لهم انبياء مثلهم مثل خصومهم من سكان فلسطين والغريب ان النبي بلعام يظهر اسمه في التوراة ولكن في القرن الحادي عشر ق.م. فهل كان هذا النبي قد سرى من العمونيين بسبب شهرته ؟.

ان التنقيبات لم تستكمل بعد في الموقع لكن يظهر من قارورة تل سيران التي اشرنا اليها ان الذين كتبوا التوراة قد استوحوا الكثير من افكارهم من جيرانهم لا بل الكثير من التعابير الادبية والقصص عن خلق العالم والفلسفة اللاهوتية، كما يشير الى ذلك الأدب السومري في العراق والأدب الفنيقي في رأس الشمرة (اوغريت) على شواطئ سوريا، وكون معظم النصوص القديمة قد زالت أو لم تكتشف بعد لا يعني ان شعوبا أخرى في الشرق الاوسط لم يكن لها تعاليمها الدينية وميثولوجيتها وثوراتها وانبياؤها.

ومن اطرف ما عثر عليه في تل دير علا لوحات من الطوب المشوي حفرت عليها كتابة غريبة بخط غير معروف في المنطقة ودلت آخر الدراسات ان هذه الكتابة ربما تنتمي الى الكريتي المشابه للخط الهيروغليفي من حيث اعتماده على المقاطع بدلا من الحروف. وعلى أي حال فان هذا الاكتشاف يدل بوضوح على أن تجارب كتابية كانت مستعملة في المنطقة توازي التجارب التي نعرفها في كريت وقبرص وبلاد مصر وبلاد ما بين النهرين وربما زودتنا التنقيبات المقبلة باكتشافات جديدة عن محاولات كتابية برزت في بلادنا قبل ظهور الخط الفنيقي الذي نستعمله اليوم.

والى جانب دير علا تبين الاكتشافات في السنوات الاخيرة ان هناك مراكز تجارية وحضارية منذ فترة ما قبل التاريخ حتى العصور العربية الاسلامية.

فقد كان وادي الاردن مأهولا في جميع الفترات العربية بسبب أهميته الزراعية وخاصة في العهد الاموي والعباسي ثم العهد الايوبي والمملوكي، فقد تبين من المسح الأثري الاخير ان لزراعة قصب السكر واستخراج السكر كانت الصناعة التي كان يمارسها سكان غور الاردن في العصور العربية.

وفي منطقة عمان كان الباحثون في الاثار قد لاحظوا وجود عدد كبير من الابراج المستديرة المبنية من الحجارة الصوانية الضخمة، فحول عمان وحدها يوجد ما لا يقل عن 18 ثمانية عشر برجا، قد أعادها معظم الباحثين الى العصر الحديدي الثاني أو اقدم من ذلك. الا أن أحد الحفارين من المدرسة الامريكية للابحاث الشرقية ادعى أن برج الملفوف القائم على أحد تلال عمان بني في العصر الروماني بعد التنقيبات السطحية، ولكن حفرية دائرة الاثار العامة في الاردن في عام 1975 قد فندت هذه النظرية وبينت بما لا يقبل الشك أن برج

الملفوف في الأصل هو تحصين عموني بني في القرن الثامن ق.م. ولكن الرومان استعملوه في القرن الثالث الميلادي. وهذا امر طبيعي بالنسبة لمملكة فتية كان همها الدفاع عن أراضيها في وجه الغزاة وتريد الاستقرار للتوجه نحو الزراعة والتجارة والاعمار. وقد اثبت التاريخ أن هذه المملكة الصغيرة نجحت في الوصول الى اهدافها حتى الفتح البابلي.

ان المواقع القديمة المتوفرة في عمان وضواحيها قد اضافت الكثير الى معلوماتنا التاريخية خاصة في العصور الهلينية والرومانية - البيزنطية. ففي عراي الامير على بعد عشرين كيلومترا غربي عمان يقع احد المباني الاثرية الذي جلب الانظار منذ القرن التاسع عشر. ولا يزال النقاش دائرا حول استعمال المبنى وهوية بانيه. ولقد دلت التنقيبات التي اجراها بول لاب من المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية ان البناء أقيم في القرن الثاني ق.م. وهو على طراز القصور اليونانية وهذا ما يؤيد ما كتبه المؤرخ موسيفوس من أن الموقع كان قصرا لاحد الكهنة الذي هرب من القدس كما وأن اسم طوبيا المحفور على الصخور قرب المعبد يشير الى أن الباني ربما كان ذا علاقة بسلالة طوبيا العمونية والتي حكمت المنطقة في القرن الثالث والثاني ق.م. وكان بطليموس الثاني قد عين احد وجهاء عائلة طوبيا مسؤولا عن جمع الضرائب في منطقة عمان. وهذا ما يرجع كون عراي الامير بحجارته الضخمة بناء اقامته عائلة طوبيا في القرن الثاني ق.م. ولا تزال اعمال التنقيب قائمة في الموقع وسوف تأتينا بالمزيد من المعلومات عن بناء القصر والغرض من اقامته.

اما مدينة عمان الرومانية فقد كانت عرضة للتنقيب منذ عام 1936، فتم الكشف عن المدرج الذي بني في أيام انطونيوس بيوس، وعن معبد من عهد مركوس أوريلوس. أما الفوروم فقد دلت كتابة انه انشئ في عام 189 م. وهكذا فان عمان التي كانت تدعى فيلادلفيا هي احدى المدن العشر الكبيرة التي اقامها الرومان لتثبيت الحضارة الغربية القديمة في الشرق.

وكان من اشهر هذه المراكز في الاردن مدينة جرش الواقعة شمالي عمان والتي جرت فيها التنقيبات منذ عام 1928. وكشف النقاب عن عدد كبير من الكتابات التاريخية وعن عدد من المعابد والمدرجات التي كانت تزين المدينة. ودلت النقوش باللغتين اليونانية واللاتينية ان النشاط العمراني بدأ في القرن الأول للميلاد، اذ بني المدرج الجنوبي في 90 م وبلغ العمران أوجه في عهد هدريانوس الذي قطن المدينة عام 129 - 130 م والذي اقام قوس النصر وعددا من المباني الأخرى الكبيرة.

والى جانب جرش امتد التنقيب الى مواقع أخرى من المدن العشر اهمها مدينة بلا (طبقة فحل) وجدرا (أم قيس). ودلت جميعها على تأثير الحضارة الرومانية على بلاد الاردن وعلى ازدهار هذه الحضارة عمرانيا وثقافيا ...

ولم تكن الحضارة البيزنطية اقل نصيبا من الحضارة الرومانية في مجال التنقيب والاكتشافات ففي عمان وضواحيها وجدت عدة نقائش من القرن الخامس والسادس الميلادي

معظمها مزين بالفسيفساء ففي موقع الرجيب شرق عمان دلت الحفريات التي جرت عام 1962 ان المكان كان مقدسا بسبب اهل الكهف. وقد انشئ جامع صغير في العهد الاموي على آثار كنيسة بيزنطية من القرن الخامس م. ويدل هذا الاكتشاف ان قصة اهل الكهف كانت معروفة في البلاد منذ القدم. وقد بقي كهف الرجيب موقع تقديس في القرون الوسطى وهي كذلك حتى هذه الأيام.

ومن اهم المدن البيزنطية مدينة مأدبا الواقعة جنوبي عمان وفيها وجدت في عام 1898 خارطة الفسيفساء لبلاد فلسطين والاردن وترجع الى القرن السادس م. وهي أقدم خارطة للمنطقة تبين بوضوح المدن والجبال والأودية والانهر والاديرة المنتشرة في البلاد المقدسة ففي مأدبا وحدها كان ما لا يقل عن أربعة عشر كنيسة مزينة بالفسيفساء وتحمل معظمها كتابات تاريخية وبالقرب من مأدبا اكتشف الاثار البيزنطية في سياغة (جبل نبو) والمخيط، وكتير ابو سربوط ومكاور ومسبان. وتنص جميع هذه المكتشفات على انتشار حضارة زراعية ريفية في العصر البيزنطي وعلى أن هذه الحضارة عمت المدن والقرى تاركة الكثير من الكتابات خاصة في الفسيفساء الملونة التي كانت تزين المنازل والكنائس.

ومن بعد العهد البيزنطي تركت الحضارة الاموية الكثير من المخلفات الاثرية في بلاد الاردن خاصة وأن المنطقة كانت بالغة الاهمية بسبب موقعها في قلب البلاد العربية. فقد ابتنى الخلفاء الامويون عددا من القصور خاصة في البادية شرقي عمان. اشهرها قصر الطوبة والحرانة وعمرهة والموقر والمشتى. وكانت هذه القصور محطات للقوافل ومكانا للترفيه عن النفس والصيد للامراء بنيت معظمها في القرن السابع والثامن. وأشهر هذه القصور قصير عمرة الذي أشرنا اليه. واضافة الى ذلك دلت التنقيبات على وجود حضارة أموية في عمان حيث يقوم قصر اموي وفي حسبان ومادبا وجرش وفي عدة مواقع في غور الاردن. وتقل المخلفات الاثرية في العصر العباسي لكنها تعود الى الظهور بشكل كثيف في العصر الايوبي والمملوكي. لان منطقة الاردن كانت ذات مكانة عظيمة اثناء الحروب الصليبية للدفاع عن البلاد العربية فقد بنيت فيها قلاع عديدة اشهرها قلعة الربض قرب عجلون وقلعة الكرك والشوبك والبتراء والعقبة. والى جانب القلاع بنيت عدة مدن وقرى تدل على ازدهار البلاد وتطورها الاقتصادي والزراعي.

ان التقنيب الاثري قد اغنى تاريخ الاردن الحضاري منذ عصور ما قبل التاريخ حتى العصور العربية. وان الحصاد الاثري يدل على أهمية التنقيب في حل المعضلات التاريخية التي تواجه الباحثين في حضارة هذه البلاد والمراحل التي مرت ونأمل ان يزيدنا المستقبل معرفة بآثار هذه المنطقة وعلاقتها بالاحداث التي تداولت على بلدان الشرق الأوسط.

بليونش :
طريقة للقيام بالحفريات

جودية حصار بنسليمان
رئيسة مصلحة الآثار
المملكة المغربية

مقدمة

لا تخفى اليوم على أي مختص في علم الآثار ضرورية التسجيل الدقيق لجميع مراحل الحفر والتنقيب والكل يقبل كذلك الفكرة القائلة بأن المكان الذي تجري فيه الحفريات هو بجميع أجزائه من تراب مقلوع وآثار عثر عليها وثيقة تاريخية يقوم المنقب بشكفها والقضاء عليها ولو جزئيا، في آن واحد.

وتطرح طبعا هذه الملاحظة البسيطة عددا من التساؤلات الخاصة بطريقة الحفر والتنقيب. والتساؤل الأول هو الذي يخص المعايير التي تمكن الباحث من اتخاذ قراره بالقيام بالحفريات. والتسائل الثاني يطرق للضمانات التي يجب على العالم في الآثار أن يتوفر عليها حتى يحتفظ للوثيقة التاريخية التي سيعثر عليها بواقعها الموضوعي.

وسنحاول اليوم أن نعطي الجواب عن هذين التساؤلين انطلاقا من مثل دقيق وهو حفريات بليونش.

لقد تكونت البعثة العلمية التي تشرف على حفريات بليونش حديثا ولكن الابحاث التي قامت بها منذ 1972 بدأت تأتي بنتائج ملحوظة.

واقترح أحد أعضائها (وهو الأستاذ ميشال تيراس من سوربون بباريس) طريقة لتسجيل ثمرات التنقيب استوحها من التجربة التي قام بها مع الأستاذ ابراهيم شبوح في صبرة المنصورية بتونس. وساعد البحث القائم الآن في بليونش على تعميقها وضبطها.

وفي تدخلنا هذا سنتقدم لكم بلبينة تفكيرنا في منهجية البحث الآثاري الخاص بالحفريات الاسلامية في المغرب من خلال نتائج التجربة التي مارسناها في بليونش.

المسح الاقليمي التمهيدي وعلاقته بقرار القيام بالحفريات

فمن البديهي أنه لا يجوز الشروع بحفر مكان ما الا بعد القيام بمسح اقليمي تمهيدي يمكن من تحديد المكان الذي ستجري فيه الحفريات والتعرف على قيمته التاريخية.

وهكذا فان اختيارنا لبليونش نتج عن عمل تمهيدي طويل انطلق (عملية) سنة 1966 واحتوى على تفحص كل ما كتبه القدماء وما جاءت به الوثائق والرسوم البيانية والنشرات وتسجيل هذه المعلومات في مجموعة أولى من الجذاذان قبل الشروع في التنقيب في عين المكان الذي أوضح لنا أهمية ثلاث مناطق واقعة شمال المغرب وهي منطقة البوغاز ومنطقة ميناء باديس وناحية مملكة نكور القديمة. وبعد التفرغ من هاتين العمليتين دخلنا مرحلة جديدة باستعمال الصور الجوية ـ واذا كنا نكتفي في المرحلة الأولى بالصور التي تستعمل لرسم الخرائط التوبغرافية، أصبحنا في المرحلة الجديدة ملزمين على التوفر على صور ذات مقياس أفضل لكي نقوم بتأويل فتوغرافي مجدي وهكذا انجز غطاء جوي بالمناطق السالفة الذكر استعمل فيه المقياس 1/5000 الذي ساعدنا على وضع خارطة مقياسها 1/1000 شملت كل الاماكن التي توليناها بالدرس.

(ومكنت هذه المجموعة من العمليات تقديم (سنة 1968) بتوصيات الى الوزارة المعنية بالامر تستهدف حميات خمس مجموعات مهمة وهي طنجة البالية ـ القصر الصغير ـ بليونش ـ باديس وبلانكور).

ولكن بعد هذا كله بقي لنا أن نختار احدى هاته المجموعات للقيام بحفريات (سيما وان في شأن الاثار الاسلامية كثيرا ما تفضل عملية التنقيب التي لا تتطلب وقتا طويلا ولا مالا كثيرا على الحفريات) وفي اختيارنا لبليونش ارتكزنا على متطلبات البحث المغربي الموضوعية، فالبحث الاثري الاسلامي المغربي اذا كثرت فيه الدراسات المعمارية الحضرية فانه لا زال يفتقر الى مجالين هامين وهما دراسة الارياف ودراسة المناطق الساحلية، ومن حسن الحظ فان بليونش يجمع بحكم موقعه بين هاتين الظاهرتين الريفية والساحلية ويضيف اليهما قربه لمدينة سبتة لما يتركنا نأمل في العثور على بعض الوثائق التي تتطرق الى العلاقات بين المدينة ومحصها وكذلك الى ظاهرة المنية التي أنشدها الشعراء أكثر مما عثر عليها علماء الآثار.

تلك هي الدوافع التي أدت بنا الى اختيار بليونش وهذا يوضح لنا ان القيام بحفريات يجب أن يأتي كنتيجة لتنقيبات اقليمية وأن يقتصر على أماكن ذات قيمة تاريخية ملحوظة.

التنقيبات التكميلية وتهيئ عمليات الحفر

وقع اذا اختيار بليونش نظرا لقيمته التاريخية وقيمة الآثار الممكن العثور عليها فيه. وظهر لنا جليا منذ البداية أن المرحلة الأولى من البحث يجب أن تمكننا أولا من الربط بين

النصوص القديمة التي تتوفر عليها والآثار وثانيا من ضبط المواقع والاماكن التي يجب حفرها أو على الاقل صيانتها وحمايتها.

ماذا نعرفه اذن عن تاريخ بليونش ؟.

تقول الوثائق القديمة أن بليونش أقرب نقطة في المغرب للشواطئ الاندلسية. يقع في منطقة متدرجة بين الجبل والبحر. تزخر بعيون الماء مما يفسر وفرة انتاجها الفلاحي.

ويظهر الكلام لأول مرة على موقع بليونش في القرن الثاني ثم يشير ابن حوقل الى أنه وقع في قبضة بني أمية في القرن العاشر مع بعض الاماكن الاخرى على الشواطئ الساحلية للمغرب وهي سبتة وطنجة ومليلية. وتقول الوثائق أن جدولا كان يجاور القرية وكانت مياهه تستعمل لتحريك المطاحن كما كانت هذه القرية مع الدوحة المجاورة لمرسي موسى (محلا كتون) منتزها لسكان سبتة ويردد كل المؤرخين والرحالة نفس العبارات في شأن بليونش : أودية تزخر بالمياه مطاحن عديدة زراعة وغرس كثير. تلك هي العبارات التي نجدها في بليونش في مؤلفات البكري والمقري نقلا عن ابن سعيد، وابي الفداء، غير أن مرسي بليونش لم يصبح له دور ملاحي ملحوظ الا في القرن الثالث عشر حيث ان الاشارة الموجودة من كتاب (فتح الاندلس) وقائلة بذهاب موسى ابن نصير من حبل القرادة القريبة من بليونش لتوليه أمور الاندلس لن تؤكد بعد، أما في القرن الثالث عشر فيبدو حسب ما جاء به ابن خلدون أن محمد الثاني ملك غرناطة أرسى في اكتوبر 1293 ببليونش في طريقه الى طنجة وتقول وثيقة مسيحية وهي أخبار الفونس الحادي عشر أنه وقعت معركة بحرية بالقرب من بليونش سنة 1342 عند استيلاء الفونس على الجزيرة الخضراء.

ومنذ ذلك الحين التحم مصير بليونش بمصير سبتة فيقول العمري في القرن الرابع عشر أن الماء الضروري لسكان سبتة كان ينقل بحرا من بليونش وهذا مما يجعلنا نشك في اتمام بناء القناة التي شرع في تشييدها في عهد الموحدين. وفي سنة 1418 (بعد استيلاء البرتغاليين على سبتة سنة 1415) أعطيت بليونش كهبة لخوان بريرا. ويشير كذلك الحسن الوزان (اليون الافريقي) الى مكان يسميه (بينيويش) (Vignoles) وفي 1541 ـ 1540 وصف نيكولا كلينار (Nicolas Clenards) الذي زار منطقة بليونش (بمكان خال من السكان) وبه اطلالا لمنازل عربية ومنذ ذلك العهد بقيت بليونش فارغة وبعيدة عن أي تطور حتى قرننا العشرين.

الوثائق المكتوبة وما احتفظ به من معلومات حول تاريخ المنطقة

كان همنا الأول هو تحديد مدى التوافق بين الوصف الذي أتى به الانصري وما يوجد الان في عين المكان. لذلك أخذنا على عاتقنا أن نجمع كلما تناقلته شفويا الأجيال حول المنطقة مما مكننا من العثور على نفس الاسماء ونفس الاماكن التي وجدناها في الوثائق ومن وضع خارطة تحتوي على كل المعلومات التي ضبطناها.

التجهيز التبوغرافي : الرد الفتوغراميتري وتجزئ المنطقة الى (قطع)

وفي الوقت الذي كنا نحقق التطابق بين ما كتب في الماضي وما يوجد اليوم في عين المكان قررنا الحصول على تغطية تبوغرافية للمنطقة.

وهكذا مكننا التصوير الجوي للمنطقة بمقياس 1/1000 وثم الرد الفتوغراميتري الذي قمنا به من وضع الأسماء فوق الاماكن التي تشير اليها وكذلك الاشارة الى المكان الذي توجد به بقايا أثرية وبعد هذه العملية قمنا بتقسيم المنطقة الى مربعات لا يتعدى طولها 100 متر موجهة نحو الشمال وأطلقنا عليها اسم (القطع) ولتقسيم المنطقة استعملنا احداثيات الرد التبوغراميتري مما سهل علينا رسم (القطع) على سطح الأرض حيث استفدنا من نقط التثبيت التي وضعت من أجل القيام برد المزدوجات الصورية المجسادية (Restitution des couples stéréo-photographiques) وهكذا توصلنا في نفس الوقت الى دقة متناهية على المستوى التقني والى ربح الوقت والمال.

ويشار الى كل (قطاع) باستعمال الحروف الابجدية حسب محور السنات والارقام حسب محور الصادات وذلك انطلاقا من النقطة الأولى الواقعة في الزاوية الجنوبية الغربية التقطيع فالقطاع الأول مثلا وهو الواقع في الزاوية الجنوبية الغربية يسمى (القطاة 1).

الجرد العماري أو الأثاري

يستعمل الاطار الذي تكلمنا عنه كأساس لرسم مربعات أخرى صغيرة نسبيا كما سنراه، فيما بعد، كما يساعدنا على ضبط الاماكن التي عثر فيها على عناصر أثرية وهذا ما نسميه بالجرد العماري أو الأثاري (inventaire monumentale du site).

وهكذا يمكن لفرق البحاثة الذين يتوفرون على نتائج الابحاث الأولية وعلى جذاذات الجرد ان تقوم بتفحص المنطقة قطاع بعد قطاع ووصف كل العلامات الاثرية التي يعثرون عليها بعد تصويرها.

وتجمع المعلومات التي يحصل عليها البحاثة من خلال هذه العملية وبالنسبة لكل قطاع في ملف خاص كما تساعد هذه المعلومات على تصحيح الأخطاء الناجمة عن الرد الفتوغراميتري.

التنقيب المغناطيسي

هناك أحيانا بعض المناطق لم يستطع الباحث تقدير قيمتها الاثرية باستعمال الاساليب التي وصفناها فيما سبق رغم لتوفر على نصوص توحي بوجود آثارهم فيها ورغم البوارد المشجعة التي تظهر من خلال دراسة الصور الجوية. وهذا شأن المناطق الزراعية التي يستطيع النشاط الفلاحي المتواصل فيها أن يمحو كل آثار من سطح الأرض.

وفي هذه الحالة نلجأ الى التنقيب المغناطيسي نظرا للتباين الجلي الذي يظهر على المستوى المغناطيسي عند تحليلنا لنماذج من التربة أو مواد البناء.

وهكذا فلقد قام المهندس المختص في الجيوفزياء الذي كان يشاركنا أبحاثنا بقياس القيمات المغناطيسية للتربة في كل أنحاء منطقة بليونش التي جزأها الى مربعات لا يتعدى طول كل ضلع من اضلاعها 30 متر وكان يستعمل آلة القياس كل متر والمعلومات التي توصل اليها مكنتنا بعد تحليلها بواسطة عقل الكتروني من وضع خارطة تظهر فيها بشكل واضح الشواذ المغناطيسية التي تدل لا محالة على وجود آثار معمارية أو هياكل آثارية.

وبهذه المرحلة الأخيرة أتممنا العمليات التمهيدية التي تمكننا من القيام بارجاسات وتعرية محلية اعتمادا على مجموعة من المعلومات تكثر من خطوط النجاح.

عمليات الحفر وتسجيل نتائجها

تمزح الحفريات في الاماكن التي أظهرت العمليات التمهيدية فيمتها الاثرية بين المجسات والتعرية المحلية وفي نفس الوقت تخصص بعض الارجاسات لتفسير الشواذ المغناطيسية التي لوحظت من خلال التنقيب المغناطيسي وسنحاول الان اطلاعكم على الطريقة التي ننهجها لتسجيل ما نخرجه الى الضوء من خلال عمليات الحفر.

مبادئ الطريقة التي نستعملها

لازال مع الاسف يقوم عدد مهم من الباحثين بتسجيل اكتشافاتهم في كنانيش لم يستطع أحد سواهم استعمالها. أما نحن فحاولنا أن نسلك غير هذا المسلك لاسباب عديدة أولها اعتقادنا ان عمل الباحث في الاثار هو عبارة على خدمة عمومية تقتضي اتاحة الفرصة-لمن يأتي بعدنا استعمال الوثائق التي نتركها، مع احترام الملكية العلمية لمن عثر على شئ وأراد استثماره على المستوى العلمي. ثم لا ينبغي في نظرنا الخلط بين عمليتين موازيتين وهما : التقرير الموضوعي الخاص بنتائج الحفريات من جهة والتأويل الذاتي لهذه النتائج من جهة أخرى. ذلك التمويل القابل للنقد والذي يجب اذن ضمان جميع حظوظ تصحيحة من بعد. وانطلاقا من هذا المبدأ ونظرا كذلك لكون الحفريات تقضي على المستند في الوقت الذي تخرجه الى النور من جديد كما سبق لنا ان أشرنا اليه. فالغاية الأولى من التسجيل في نظرنا هي اتاحة الفرصة للبحاثة الذين سيخلفوننا في أن يتصوروا المظهر الأصلي للمكان الذي يستأنفون فيه الحفريات.

هيكلة مجال الحفريات : التربيع والتسوية

يجزأ كل قطاع من (قطاعاتنا) الى 400 مربع طول كل واحد منها 5 متر ويعطي لكل واحد منها اسم مركب من حرف لاتيني يدل على موقعه حسب محور السينات ورقم يدل على موقعه حسب محور الصادات.

وهكذا تسهل رؤية كل مربع والتعرف على مكانه داخل المجال المحفور فمثلا المربع 955 يعني المربع 55 الواقع في (القطاع) وعلى سطح الأرض تحد كل مربع أربع علامات تنصب في الزوايا وعلى كل علامة تقع في الزاوية الجنوبية الغربية يكتب (اسم) المربع الذي تحده من جهة الجنوب الغربي كما ان كل واحدة من هذه العلامات يسجل عليها الارتفاع المطلق للمكان الذي توجد فيه وهكذا يتمكن الباحث من التوفر على ثلاثة احداثيات تسهل عليه التعرف على موضع كل نقطة داخل المجال الذي تجري فيه الحفريات وكذلك على عمقها من باطن الارض. ولصيانة هذه العلامات يترك مكانها مرتفعا ولا يقلع منه التراب. وهناك غاية أخرى من بقاء المجازات (Bennes) وهي معرفة تتواتر أطباق التربة في مكان الحفريات.

وبعد انهاء عملية الحفر تقلع هذه المجازات وتعوض بعلامات توضع على سطح المستوى الذي وصل اليه الحفر.

الترتيب الزمني

من الضروري كذلك ضبط وقت وقوع أي عملية من عمليات الحفر. وهكذا فكرنا في وضع اشارتين خاصتين بالترتيب الزمني وهما : التاريخ العادي وما سميناه (بيوم ـ اصطلاح) (Code-jour) أي رقم السنة مصحوب برقم يوم العمل.

جرد أعمال الحفر والارشاد التي عثر عليها

يعطي لكل باحث ارقام مكونة من ثلاثة أرقام ويطلق على هذه السلسلة من الارقام (الرقم البنوي Numéros de structure) وبواسطته يسهل على الباحث جرد كل ركام وكل عنصر معماري يعثر عليه كما تمكننا الارقام (البنيوية) التي نرسمها فوق لوحات توضع على الارض من التميز بين الصور الفتوغرافية التي تؤخذ وتحمينا من كل خلط أو التباس. وفيما يخص المستندات الوثائقية يمكننا اصطلاح خاص من التمييز بين ما هو ركام وما هو مبني) وما كان مبني وفكك استجابة لضرورة الحفر فمثلا رقم 100 يشير الى رفع من التراب، و 100 تحت خط تشير الى شئ مبني و (100) الى شئ أرغم الباحث على تفكيكه لمتابعة الحفر بالاضافة الى هذا هناك اصطلاح آخر مبني على استعمال ألوان مختلفة في الرسم. فاللون الأزرق أو الاسود يشير الى البنايات والاخضر الى رفوع من التراب والرقم الاحمر المكتوب داخل دائرة يشير الى قياس الارتفاع.

التطبيق جذاذات التسجيل

لقد أشرنا الى المبادئ الثلاثة التي يعتمد عليها كشف ما نعثر من خلال الحفريات بقي لنا أن نتكلم عن الطريقة التي نتبعها في الميدان في عين مكان الحفر. ان كل فرقة بحث مكونة

عادة من باحث وباحث متدرب بثلاثة عمليات موازية وهي : تسجيل الاحداث في يومية الحفرية، ورسم، ثم تصوير وللقيام بهذه المهمات يتوفر كل باحث على بطاقات (سيجدها في آخر هذا العرض).

تسجيل ما يعثر عليه

يجب ان تكون الاشياء التي عثر عليها سهلة التداول وسهلة التعريف. والمنهج الذي اخترناه بسيط يوجد بالنسبة لكل رفع من التراب صندوق مرقم ويضاف له بطاقة تعريف عند الشروع في الحفر وفي نهاية العمل من كل يوم يقوم الباحث بتحليل سريع لمحتوى الصندوق ويسجل هذا التحليل في بطاقة خاصة نسميها (انظر اليه في آخر العرض).

عمليات تكميلية

في الوقت الذي ينقل فيه محصول البحث يقوم الباحث بمراجعة يوميته وينمي رسمه لانضاد التربة ووضع المقاطيعة الستراتيغرافية الدالة على تراكبها ويمكنه آنذاك أن يتقدم بتناولاته وتفسيراته الأولى لما عثر عليه خلال اليوم وان يهئ تقاريره النصف شهرية وتقريره العام الذي سيعرض به استنتاجاته وخلاصة بحثه. وتنعقد اجتماعات دورية لجميع البحاثة المشتركين في الحفريات لمناقشة نشاطهم وحل بعض المشكلات التي تعارض سبيلهم. ويقوم المهندسي المعماري والرسام بوضع تصميم عام للورش ونقل الزخرفة التي توجد على الآثار. ويستكمل سجل الصور بشريط متوسط الحجم وشفافات .(Diapositives).

وهكذا يمكننا التوفر على نظرة مطابقة للأصل تساعدنا كثيرا عند تحرير القرار النهائي ونشر أعمالنا.

يونسية الحفرية — JOURNAL DE FOUILLE

MISSION بعثة SECTEUR منطقة CHANTIER بطاقة العمل	CARRE مربع	DATE تاريخ	FOLIO صفحة
	STRUCTURE بنية	JOUR يوم	J.F.
PHASE مرحلة NIVEAU سوية MATERIEL جباز PHOTOS صورة DESSINS رسم			

BORDEREAU MATERIEL

	Secteur	Chantier
Date	N°	N°
Jour	Carré	Fiche

1	2	3

Nature objet :
Photo :
Dessin :

MISSION بعثة	SECTEUR منطقة	N°
CHANTIER مجال العمل	JOUR يوم	CARRE مربع

NIVEAUX	O	HAUT	BAS

DESCRIPTION وصف

STRATIGRAPHIE التراكب الطبيعي

PHOTO	J.F.

يونسية الحفرية

JOURNAL DE FOUILLE

MISSION بعثة SECTEUR منطقة CHANTIER مجال العمل	CARRE مربع	DATE تاريخ	FOLIO صفحة
	STRUCTURE بنية	JOUR يوم	J.F.

Jour	N°	Film		Carré	Structure	Sujet	V	F	JF
			18						
			19						
			20						
			21						
			22						
			23						
			24						
			25						
			26						
			27						
			28						
			29						
			30						
			31						
			32						
			33						
			34						
			35						
			36						
			37						

Mission : Secteur : Chantier :	Stratigraphie :						Carré	Date Jour	Fol.
Matériel	Conservé	Conservé	Situation	Coordonnées 1	2	3	Observations Stratigraphiques		
Céramique									
Verre									
Métal									
Pierre									
Brique									
Conduits									
Zellidj									
Décors									

MISSION بعثة		Répertoire des Structures دليـــل
Secteur منطقة		
Chantier مجال العمل		

Date	Section	N°	à

رقم N°	تاريخ Date	يوم Jour	مربع Carré	سوية Niveau O	سوية Niveaux	وصــــف Description	ي.ج. J.

التعاون مع البعثات الاجنبية
على الصعيد العربي

د. عيسى سلمان
المديرية العامة للآثار ـ العراق

البحث في هذا الموضوع لا بدّ من أن يتناول اركانه الثلاثة وهي البعثات الاجنبية من حيث تاريخها وتقييم اعمالها، والتعاون مع تلك البعثات من حيث صلاحيته وتنظيمه، ومن ثم العمل العربي الموجود حاليا في تعاون السلطات الوطنية مع البعثات الاجنبية وكيف يمكن رفع ذلك التعاون الى المستوى المطلوب لخدمة الوطن العربي الواحد ككل.

والاعمال الاثرية التي تقوم بها البعثات الاجنبية في البلدان العربية هي التنقيب عن الاثار والقيام بالمسح الاكيولوجي للمواقع والمدن الاثرية، وتتبع الانهار والطرق القديمة، ومؤخرا بدأت تفد بعثات للتصوير الوثائقي والسينمائي لموضوع من المواضيع الحضارية.

والبعثات التنقيبية هي أوسع البعثات الاجنبية، التي تفد الى البلدان العربية نشاطا، وأكثرها أهمية اقدمها ماضيا، فقد بدأت تجئ بصورة ملحوظة الى الشرق من بعد الحملة النابوليونية على مصر. وقام بالتنقيبات الأولى في معظم الاحيان رجال لا اختصاص لهم بالتاريخ أو الاثار، اذ لم يكن علم التنقيب قد وجد بعد. وكان هم أولئك المنقبين الأوائل أن يحصلوا على اكثر كمية ممكنة التحف المسترعية للنظر ومن القطع المستهوية للدرس والاستطلاع. وتولى غالبا أعمال التنقيب تلك القناصل والمقيمون السياسيون الاجانب منذ نحو منتصف القرن الماضي، في الزمن الذي كانت فيه معظم البلدان العربية ترزح تحت السيطرة الاجنبية، ولم تكن شعوبها بصورة عامة تعي بعد اهمية الاثار، ومن وعي منهم لم يكن في الغالب في مقدوره أن يتصدى الى العمليات، الواسعة التي قام بها أولئك المنقبون والتي أدت الى سلب العواصم الاثرية القديمة الكثير مما كانت تبطنه أرضها من روائع الفن ونفائس الاثار، تم نقلها الى المتاحف والمتاجر الاوربية. وأصاب العلم من جراء تلك التنقيبات ضياع معلومات قيمة لا يمكن تعويضها ولحق بالابنية الاثرية تخريب لا يمكن معالجته. غير أن علم التنقيب رأى ولادته من خلال تلك الاعمال غير العلمية حيث أخذ المنقبون منذ بداية هذا القرن يعيرون اهتماما متزايدا للنواحي التي اهملها اسلافهم، فسعوا في تنقيباتهم الجديدة الي تخطيط الابنية المكتشفة والعناية بتفاصيلها المعمارية وضبط أماكن الاثار فيها وتتبع الطبقات البنائية والسكنية

طبقة فطبقة. وهكذا أصبح للتنقيب مناهجه وأساليبه الخاصة به. ولم يعد الكشف عن التحف مبررا لاستخدام اساليب عشوائية كالانفاق والحفائر والنبش بدون الالتفات الى حدود الطبقة الاثرية، بل نشأت التزامات علمية تقتضي من الباحث أن يعنى بكل شاردة وواردة يجدها في أثناء التنقيب وان يستخدم في دراسته وبأقصى ما يمكن احدث الوسائل وأدق الاجهزة للوصول الى الحقائق الحضارية وادراك الاحداث التاريخية.

وأخذت معظم البلدان العربية ابتداء من الحرب العالمية الأولى تشرع القوانين لحماية مصالحها الاثرية وتنظيم علاقاتها مع البعثات الاجنبية القائمة بالتنقيب. فحددت تلك القوانين الصفات العلمية والمالية التي يجب توفرها للسماح للبعثة بالتنقيب، وحددت كذلك مسؤولياتها العلمية ونوعية الاثار التي يمكن منحها للبعثة من مكتشفاتها لقاء أتعابها مع ضمان المصلحة الوطنية. ثم عدلت بعض البلدان قوانينها بعد الحرب العالية الثانية لتلافي ما ظهر من نواقص ولضمان حد أعلى من المصلحة الوطنية، ولا سيما في قصر المكافأة للبعثة على قوالب للاثار المكتشفة وعلى صلاحيات النشر، مع عدم السماح لها بأي جزء من الاثار الا بمواد الغرض التحليل والدراسة.

وقوانين البلدان العربية قريب بضعها من بعض بصورة عامة ومتفقة في الاسس التي يمكن اجمالها فيما يأتي :

1 ـ الاثار ملك للدولة للا للافراد. فهذه قاعدة سليمة معترف بها في جميع البلدان العربية الا أن بعض البلدان تجيز منح بعثة التنقيب جزءا من الاثار المكتشفة من قبلها من المكررات التي يكثر وجودها. فالذي نقوله ونؤكد عليه هو بما ان الاثار مخلفات تراثية تعكس تاريخ البلد وحضاراته ومعطيات الانسان الذي صنعها عبر الاجيال فهي حرية بأن تبقى في بلدها اذ انها ملك للامة وليس لفرد أو لاحد، كما لا يجوز لأي فرد أو جهة التصرف بها والتلاعب بمصيرها. ومن هذا المنطلق فان جميع ما يكشف عنه يجب ان يبقى في حوزة البلد صاحب الحضارة. واذا كان المنقب قد جاء من أجل الحصول على اثار منقولة فهو ليس بعالم ولا برجل حضارة، اذ المفروض به انه اجيز قانونا بالتنقيب لكي يكشف عن حضارات الامم السابقة وله قصب السبق في النشر والحصول على أولوية الاعلان وحق النشر العلمي بكافة أنواعه.

2 ـ لا يسمح للبعثة الاجنبية بالتنقيب الا بعد حصولها على ترخيص من الجهة الوطنية المسؤولية عن الاثار. وهذا الترخيص لا يمنح الا بعد التأكد من توفر الصفة العلمية في البعثة وفي اعضائها وان لرئيسها اشتغالات سابقة في حقل التنقيب وان البعثة مرتبطة باحدى الجامعات أو المؤسسات المعنية بالاثار. ويكون الترخيص بشكل اجازة يوقع عليها تكون بمثابة عقد عمل بين صاحب الاجازة وهو رئيس البعثة وبين السلطة الوطنية الاثرية، وفيها يؤيد التزامه الكامل بقانون الاثار وكذلك بجميع التشريعات

والتعليمات الصادرة من دائرة الاثار المعنية وبالقوانين والتشريعات الاخرى ذات العلاقة بالعمل والسارية المفعول في البلد الذي ينقب فيه.

3 - وتجمع القوانين الاثرية للبلدان العربية على الزام البعثة بمعالجة الاثار المنقولة بعد استخراجها من باطن الارض وذلك بالمواد الكيمياوية المناسبة وبالاساليب العلمية الحديثة لضمان عدم تعرضها الى التلف، وتتعهد البعثة أيضا بالمحافظة على الابنية المستظهرة اذا كانت في ذلك جدور، اذ بعض الابنية لا تعرف طريقة لصيانتها.

4 - تقع مسؤولية نشر النتائج العلمية من التنقيب على عاتق البعثة وحددت بعض القوانين وقتا معينا للنشر مدته سنتان.

هذا هو مجمل النقاط التي تتفق عليها قوانين الاثار للبلدان العربية في علاقاتها مع البعثات الاجنبية وهي نقاط التقاء كثيرة. أما ما تختلف فيه هذه القوانين فهو في موضوع اعطاء حصمة للمنقب من الاثار التي يكشف عنها، اذ لا تزال بعض القوانين تجيز ذلك. كما أن بعض القوانين الحديثة فسحت المجال امام السلطة الوطنية بامداد البعثة الاجنبية بالمال. والمهم بالنسبة لموضوع التعاون مع البعثات على الصعيد العربي هو وجود نقاط تشابه كثيرة في هذه القوانين، يعتبر نوعا من العمل الموحد على الصعيد العربي. غير انه من ناحية أخرى انصرف كل قانون من هذه القوانين الى معالجة تنظيم شؤون الاثار في بلده واختص بذلك وحسب. ولذا ليس بين هذه القوانين ما يشير صراحة الى تعاون بين البلدان العربية كوطن واحد.

هذا ما أردت أن اذكره عن البعثات الاجنبية من حيث تاريخها ومن حيث تنظيم أعمالها ومسؤولياتها وفق التشريعات الاثرية الموضوعة في البلدان العربية. أما التعاون معها فقد كان ولا يزال مثار تساؤل من الجهات الرسمية ومن المواطنين في مختلف البلدان العربية. فكثيرا ما نسأل هل بالامكان الاستغناء عن البعثات الاجنبية وذلك بمضاعفة جهود البعثات الوطنية لتقوم مقامها ؟ وقد طرح هذا التساؤل مرار في مؤتمرات الاثار السابقة للبلدان العربية ونوقش هذا الموضوع مناقشة موضوعية في المؤتمر السادس المنعقد في طرابلس بليبيا عام 1971 حيث قرأت في ذلك المؤتمر دراسة مفصلة في هذا الموضوع عنوانها (البعثات التنقيبية وتنظيم العلاقة معها) اعدها الاستاذ طه باقر وتناول فيها جميع جوانب الموضوع وخلص الى أن مع الاعتراف بالتطور المحسوس الذي احرزته المؤسسات الاثرية في البلدان العربية واطراد في ارتفاع مستوى كفاءتها وتزايد الاختصاصيين الاثاريين فيها فاننا لازلنا بحاجة الى جهود تلك البعثات الاجنبية لمواصلة تنقيباتها وتحرياتها العلمية عن اثارنا حيث لازالت تجني مكاسب من هذه الاعمال.

وفي الواقع فان عدد البعثات الاجنبية الوافدة الى البلدان العربية يتزايد بصورة مطردة وهذا مؤشر الى أن الرأي العام في العالم العربي يميل الى ضرورة التعاون مع هذه البعثات، وان

لدينا القناعة بوجود مكاسب تجنى من ذلك التعاون في مضمار الكشف عن حضارات هذه البلدان الغنية بالاثار وذات التاريخ الحافل بالاحداث والمنجزات والتجارب الانسانية. وان هذا التعاون تعبير عن الشعور بأن الدراسات الاثرية تقرب بين الشعوب وتوجد التفاهم بينها، لانها لا تظهر ان الحضارة الحديثة ما هي الا آخر حلقة وصلت اليها البشرية في تطورها ضمن سلسلة من حضارات ساهمت في بناءها شعوب كثيرة وخاصة تلك الشعوب التي سكنت اقطار الشرق القديم والتي تكون البلدان العربية الجزء الاكبر منها.

ولعل من جملة الاسباب للحاجة الى التعاون مع البعثات الاجنبية هي اعمال الانماء الواسعة التي تشهدها بلدان وطننا العربي في كل مكان منه، والتي كثيرا ما تؤدي الى طمس معالم اثرية وزوال مواطن للاثار، باقامة سدود على الانهار أو التوسع في المشاريع الصناعية أو الزراعية أو السكنية مما يلزم بعض البلدان الى الاستنجاد بالبعثات الاجنبية لانقاذ ما يمكن انقاذه من الاثار ومن المعلومات الحضارية المعرضة للضياع بنتيجة الاعمال الانمائية. وأحيانا يكون اللجوء الى البعثات الاجنبية لغرض المسح الاركيولوجي العام الشامل، وهو العمل السديد الذي يجب أن يقوم به كل بلد من بلداننا وبأسرع وقت للكشف عن المواقع الاثرية وتثبيت أماكنها على الخرائط وتسجيل أوصافها، اذ أن المسح الاركيولوجي يساعد على تدارك الاخطار الناجمة من التوسع الانمائي فضلا عن كونه يكون المرجع الذي يعتمد عليه البلد في جميع دراساته الاثرية.

وليست البلدان العربية هي الوحيدة في قبولها التعاون مع البعثات الاجنبية، فان بلدانا شرقية أخرى كايران وتركيا والباكستان وكذلك بلدانا أوربية ازدهرت فيها حضارات قديمة كاليونان وايطاليا، تسمح للبعثات الاجنبية بالتنقيب في بلادها. والتعاون اذن مع البعثات الاجنبية موجود حاليا في كثير من بلدان العالم التي كانت مواطن للحضارات، وهذا التعاون لازلنا نجني مكاسب منه اذا ما أحسنا توجيهه لمصالحنا الوطنية والقومية.

والسؤال الان كيف يمكن ان يتم هذا التعاون على الصعيد العربي ؟.

لا شك أن المكاسب التي يجنيها كل بلد بمفرده من التعاون مع البعثات الاجنبية هي مكاسب تخدم في الوقت ذاته الوطن العربي ككل بصورة ما. ولكن هذا التعاون من الممكن أن نرفع به الى مستوى أعلى وأسمى اذا ما حققنا المقترحات الاتية التي أرجو ان ينظهر اليها كمشروع توصيات معرضة للمناقشة عند الحاجة. وتهدف هذه الاقتراحات أو التوصيات أولا الى خدمة التقارب في ميادين العلم بين البلدان العربية في سبيل تحقيق أماني الشعوب العربية للبلوغ الى الوحدة المنشودة أو ثانيا الى انماء التعاون بين البلدان العربية لضمان تطوير العلاقة مع البعثات الاجنبية لتقديم قسط أكبر من الخدمة للبلد الذي تعمل فيه.

وهذه التوصيات منها ما يمكن اعتباره اسسا للتعاون على الصعيد العربي ومنها ما يمكن عده اهدافا، الا انني اذكرها فيما يأتي بدون تمييز.

1 ـ قانون الاثار الموحد للبلدان العربية :

قد يدهش البعض من اثارة هذا الموضوع مرة أخرى بعد أن اثير مرارا في مؤتمرات الاثار للبلدان العربية السابقة والتي رسم فيها الى تقديم توصية في المؤتمر السادس للاثار في عام 1971 بوضع قانون متطور للاثار تكون خطوطه العامة مناسبة للتطبيق في جميع البلدان العربية. وقد وضع بالفعل مشروع متطور للاثار تكون خطوطه العامة مناسبة للتطبيق في جميع البلدان العربية. وقد وضع بالفعل مشروع هذا القانون المتطور من قبل لجنة فنية عقدتها مشكورة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالقاهرة في مارس 1974 واتخذت فيه توصية في المؤتمر السابع المنعقد في مدينة العين بدولة الامارات العربية المتحدة في كانون الأول عام 1974، بالموافقة على خطوطه العامة وان تعتبر هذه الخطوط ذات صفة مرحلية لوضع قانون موحد للاثار، واننا نرجو ان يرى هذا القانون الموحد النور بأقرب وقت، وان يشرع على قاعدة أوسع تتضمن اشاعة التعاون بين البلدان العربية في ميادين الاثار. ولا شك انه سيكون وسيلة الى تنسيق التعاون مع البعثات الاجنبية بشكل افضل وعلى الصعيد العربي.

2 ـ تخطيط الابنية المكتشفة بأشكالها الاصلية الكاملة :

كثيرا ما يهمل المنقب تخطيط البناء المستظهر بالتصميم الكامل الذي كان عليه ووفق ما يتمكن من تصوره له بالاستناد على الاجزاء والعناصر البنائية الباقية منه، وذلك لان تخطيط الابنية المكتشفة بسالف اشكالها الكاملة عمل مضن يحتاج الى دراسة واسعة. فيكتفي المنقب بترسيم المخطط الارضي والمقاطع فتضيع علينا الصيغة الاصلية للبناء بقدر ما تمكن المنقب من ادراكه لها. والتصاميم الكاملة هي ليست ثبت للاجزاء الباقية من البناء وحسب، بل هي أيضا دراسة لتلك الاجزاء والربط فيما بينها للحصول على الصيغة الكاملة الاصلية.

وتساعد هذه التصاميم الكاملة المتصورة عند الحاجة على اعادة تشييد البناء في مشاريع احياء المواقع الاثرية. وعليه نوصي بحث البعثات الاجنبية على تخطيط المهم من الابنية المتسظهرة بأشكالها الاصلية الكاملة بقدر الامكان.

3 ـ حث البعثات الاجنبية على القيام بالتنقيب في المواضع العربية والاسلامية :

ينصب اهتمام البعثات الاجنبية بالدرجة الأولى في تنقيباتها على مواطن الحضارات التي سبقت العصور الاسلامية حيث تكثر اللقى الاثرية كالمنحوتات والكتابات المدونة على الحجر والطين والفخار. ونجم عن ذلك ان اهملت الاركيولوجيا جوانب حضارية مهمة لم تمط اللثام عنها بالمستوى المطلوب مثل تخطيط المدن الاسلامية وتصاميم الابنية التي تبطنها والزخارف المتنوعة التي تزين تلك الابنية. وعلينا ان نتعاون في البلدان العربية على توسيع التنقيبات الاجنبية في المواقع الاثرية الاسلامية لتلافي هذا النقص في معلوماتنا مما لا يمكن ان نجده في التأليف والتصانيف العربية القديمة فضلا عن أن ما يكشف عنه من هذا العمل سيكون الصق بحاضرنا.

4 ـ تشجيع البعثات الاجنبية على التنقيب للكشف عن جسور بين الحضارات المكتشفة ولسد الثغرات المجهولة بينها :

يلاحظ في التنقيبات الواسعة التي حصلت في البلدان العربية خلال القرن ونصف القرن الماضية منذ بداية التنقيب، بأن الاكتشافات العظيمة والكثيرة في مختلف الاقطار هي في الحقيقة من جانب آخر مجزأة لان الصلات فيما بين تلك الحضارات مازال الغموض يكتنفها حيث ان تلك الصلات لم يبحث عنها بدرجة كافية. واننا نتكلم عن حضارة هذا الوادي من بلد عربي معين وأخرى على ساحل ذلك الخليج من بلد آخر أو على سفوح هذا الجبل من بلد ثالث بالرغم من أن الاثار تشير أو توحي باحيانا بوجود صلات منذ أقدم الازمنة أوجدتها جغرافية الوطن العربي التي تتبدل والحدود المفتوحة بين قطر وآخر. وعلينا ان نسعى الى أن يصيب هذا الموضوع جزء ملحوظ من اهتمام المنقبين عن طريق تشجيعهم للتنقيب في الاماكن التي تكشف عن جسور بين الحضارات التي ازدهرت في البلدان العربية.

5 ـ توجيه عمل البعثات الاجنبية الى المسح الاركيولوجي :

نظرا لان البلدان العربية تتعرض مواطن الاثار فيها الى الزوال نتيجة للمشاريع الانمائية الواسعة الجارية فيها. فمن المفيد جدا ان يوجه التعاون مع البعثات الاجنبية الى المسح الاركيولوجي والى انقاذ ما يمكن انقاذه من الاثار بالتنقيب في الاماكن المعرضة للخطر.

6 ـ اشراك المواطنين العرب في اعمال البعثات الاجنبية :

لغرض التعلم والتدرب للوصول الى مستوى أعلى في التخصص بالتنقيب ينبغي اشراك اكبر عدد ممكن في عمليات التنقيب ليس فقط من ابناء البلد الذي تعمل فيه البعثات بل من ابناء البلدان العربية الاخرى ويمكن تحقيق ذلك بتوفير المال اللازم للسفر والاقامة في موقع التنقيب، اذ ان هذه فرصة سانحة لتوسيع خبراتنا ومضاعفة الكفاءات المتيسرة لدينا.

7 ـ استرداد الاثار المقلوعة من اماكنها :

ينبغي في تعاوننا مع البعثات الاجنبية ان نبرز أهمية استرداد القطع الاثرية المنهوبة من بلداننا وخاصة تلك المقلوعة من الابنية الاثرية. ولا شك ان وجود بعض الاثار في العواصم الاوربية والاميريكية له خدمة اعلامية واسعة للتعريف بحضاراتنا وهذه الخدمة هي في مصلحتنا الا ان البعض من هذه الاثار مهمولة في المخازن تفيض عن حاجة العرض في متاحف العواصم. والبعض الاخر مهما كانت لها من فوائد اعلامية لا يمكن التخلص عن السعي لاستردادها لحاجتنا اليها لاعادتها الى اماكنها الاصلية في الابنية القديمة التي نقوم بصيانتها واعادتها الى سالف شكلها.

ويبدو لأول وهلة ان المطالبة باسترداد هذه التحف ضرب من الخيال. ولكن الجو أخذ يتهيأ لقبول مثل هذه المطالبة حيث ان رجال الفكر والادب المعاصرين، مهما كانت جنسياتهم، يرون في وجود اثار غريبة في متاحفهم تذكيرا بالسلب والاغفال والاجحاف بالحقوق ومسيئة للاثر الذي حرم من بيئته الاصلية.

8 ـ تفضيل البعثات العربية :

في التعاون مع البعثات الاجنبية توصي بأن تؤخذ بنظر الاعتبار امكان اناطة بعض الاعمال الى بعثات عربية عوضا عن الاجنبية، واعطاء الافضلية لها.

9 ـ عدم السماح للمنقبين الذي لهم دراسات أو زيارات للارض المحتلة :

وذلك لابراز حقيقة ان البلدان العربية ترفض الوجود الاسرائيلي وتحارب مساعيه لطمس معالم الحضارة العربية الاسلامية.

هذا ما أردت ان ابينه في دراستي للتعاون مع البعثات الاجنبية على الصعيد العربي وان هناك أمورا أخرى لم اتطرق اليها لانها تطبق وتنفذ وفق احكام القوانين الاثرية المرعية.

الفن المعماري لمنازل سلا
في القرن السابع عشر والثامن عشر

جودية حصار بن سليمان
رئيسة مصلحة الاثار بالرباط

تعد سلا من أقدم المدن المغربية العريقة في المجد مما جعلها تحظى باهتمام مؤرخين وشعراء كثيرين واشهرهم كان الوزير والكاتب والسياسي الكبير لسان الدين بن الخطيب الذي قضى فترة من حياته في مدينة سلا.

لك مع الاسف لم نعثر عند أي واحد ممن كتب عن سلا على وصف حقيقي لمنازلها.

ولقد حاول بعض الكتاب الفرنسيين ان يدرسوها ولكن بدون جدوى لعلهم لم يتمكنوا من الدخول اليها.

كانت سلا ولا تزال مدينة غيورة على اسرار دورها المكتنفة بجدران عالية بيضاء.

واذا التجأنا الى المراجع القديمة نجد مؤرخا واحدا فقط تحدث عن منازل سلا وهو المؤرخ المشهور أبو الحسن محمد الوزان المعروف في أوروبا بلقب «جان ليون لافريكان» الذي زار سلا في القرن السادس عشر فقال «ان منازلها مبنية على شكل قديم مزينة بالفسيفسات والاعمدة الرخامية».

ان قلة المستندات والدراسات الدقيقة هي التي دفعتني الى دراسة هذا الجانب والبحث عن الروابط التقليدية التي تجمع بين الفن المعماري الاندلسي المغربي والفن المعماري السلاوي.

ورغم ان البحث الذي أقوم به لازال في طور الانطلاقة الأولى، فيسعدني بمناسبة انعقاد هذا المؤتمر العربي للاثار ان اتقدم لكم بما وصلت اليه من نتائج وما استنتجته من احتمالات وحدسيات.

وقبل الشروع في سرد هذا العرض أرى من المفيد تقديم لمحة قصيرة عن الدور الذي لعبته سلا في تاريخ المغرب.

تاريخ سلا

يبدو ان مدينة سلا أسست في القرن الحادي عشر على يد أسرة بني القاسم الاندلسية المعروفة ببني العشرة ويقول بعض المؤرخين ان اصل هذه العائلة من العراق كما يفترض آخرون انها من سلالة بني أمية.

شيد بنو العشرة أول قصر لهم وأول مسجد على قمة كتيب متصلب يرجع أصله الى الحقب الرابع ويقع على الضفة اليمنى لنهر أبي رقراق مشرفا على مصب هذا النهر في البحر المحيط وكونت هذه البنايات النواة الأولى لمدينة سلا ومع توسع سمعة بني العشرة وجاههم توافدت على جوارهم عشائر كثيرة من قبائل البراغواتة وقبائل زناتة البربرية كما التحق بهم عدد من المهاجرين الاندلسيين.

وفي عهد المرابطين وصلت شهرة بني ا لعشرة دورتها فتوارد من الاندلس على قصرهم عديد من العلماء والادباء الذين اختاروا الهجرة من بلادهم عوض البقاء فيها حتى لا يتعرضون الى عواقب الفتنة التي كانت تشملها أوطانهم ايام ملوك الطوائف وفضلوا الهدوء والطمأنينة التي كانت تتسم بهما مدينة سلا في ذلك العهد. ولقد ساهم اهل الاندلس بقدر كبير في ظهور حياة ثقافية مرموقة بالمدينة كما عرفت المدينة في نفس الفترة ازدهارا اقتصاديا بفضل التجارة والمبادلات التي اقيمت بينها وبين الاقاليم المجاورة لها.

وقد كانت مدينة سلا آنذاك تتركب من ثلاثة أحياء : حي بني العشرة على المرتفعات وحومة زناتة وحي البليدة في السافل عند سفح الكتيب ويبدو أن أسرة بني العشرة انقرضت في أواخر عهد المرابطين وفي سنة 1121 م مكث المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية أياما بقصرهم كما أقام به عبد المؤمن أول عاهل موحدي بعد هدمه أسوار المدينة والاستلاء عليها.

ورجع عبد المؤمن في أواخر عهده الى سلا حيث توفي بها سنة 1163 م.

وبعد وفاته عندما أصبح مصب نهر أبي رقراق رباطا تتجمع فيه افواج المجاهدين الذاهبين الى الاندلس ساهم خلف عبد المؤمن في ازدهار هذه المدينة.

وفي عهد يعقوب المنصور وهو اشهر الخلفاء الموحدين شيد مسجد كبير حل محل قصر بني العشرة وهو المسجد الاعظم الحالي كما شيد بجواره حي جديد على سفح التل اطلق عليه اسم الطالعة الذي لازال يطلق على هذا الحي الى يومنا هذا، كما أحيطت المدينة من جديد بأسوار عدة من جهة البحر.

وبقيت سلا في ذلك العهد تكون قطب اجتذاب يتوافد عليها الناس من جميع (انحاء الايالة) من الجزائر وتونس والاندلس مما زاد في عدد سكانها وتنوع انشطتهم.

وفي القرن الثالث عشر، مع انهيار الدولة الموحدية أصبحت سلا حلبة صراع عنيف بين انصار الموحدين وخصومهم من انصار بني مرين مما سهل على جيوش «الفونس» العاشر ملك قسطيلية الغارة والاستلاء على المدينة في شهر شتنبر 1260. انتهى بتخريبها، ولما وصل خبر احتلال سلا الى السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق الذي كان منهمكا آنذاك في ارساء قواعد ملكه حيث كان يحاصر بعض انصار الموحدين بمدينة تازة، فسارع بالرجوع الى غرب البلاد وطوق جيوش قسطيلية داخل سلا وارغمهم على الجلاء بعد معركة دامت أربعة عشر يوما.

وبعد هذه الحادثة الخطيرة اهتم المرنيون بتحصينات سلا فأمر يعقوب بن عبد الحق ببناء سور من جهة البحر وتشييد ميناء حربي محصن ومدخل هذا الميناء هو الباب الضخم التي يطلق عليه اليوم اسم باب المريسة (يعني الميناء الصغير).

وفي القرن الرابع عشر شيد خلفاء يعقوب بن عبد الحق بهذه المدينة عددا من المباني الدينية مما جعلها في مصف المدن الدينية والعلمية المغربية المرموقة كما شيدوا مدرسة بالقرب من المسجد الاعظم تعتبر من ابدع نماذج الفن المريني وجلبوا الماء من عين البركة التي تبعد عن سلا بعشرات الكيلومترات وذلك بواسطة قنطرة ماء لا زالت موجودة الى اليوم أتت بالماء الضروري الى المسجد والمدرسة والى المؤسسات العمومية الأخرى كالمرستان الذي يعرف بفندق أسكور. كما شيد بنو مرين خارج المدينة ديرا أو زاوية اطلق عليه اسم دار النساك.

ورغم ذلك كله يمكن القول ان سلا دخلت فترة انحطاط نسبي تخلصت منها في القرن السابع عشر مع توافد المهاجرين «المرسكوس» المطرودين من اسبانيا بعد قرار الملك فليب الثالث عام 1609 ـ 1618. فاستقر عدد من هؤلاء المهاجرين بسلا القديمة وفضل آخرون الاستطان على الضفة اليسرى للنهر بسلا الجديدة يعني الرباط الحالية بجوار ما يسمى الان بقصبة الاوداية.

وتميزت هذه الفترة من تاريخ سلا بالاضطراب نظرا للنزاع المستمر الذي نشأ بين سكان العدوتين رغم مشاركتهم الجماعية في عمليات القرصنة ضد الاسبان خاصة والمسيحيين الاوربيين عامة.

ونظرا للارباح الطائلة التي كانت تسفر عنها عمليات القرصنة ونظرا لانهيار الحكم المركزي في أواخر عهد السعديين في القرن 17 ارغمت سلا على انشاء نوع من التسيير الذاتي الشيء الذي مكن عددا من المؤرخين الاوربيين من الكلام عن «جمهورية سلا»

أو «جمهورية العدوتين» غير انه في نهاية القرن 17، مع انبعاث الحكم المركزي على يد المولى الرشيد وخاصة على يد المولى اسماعيل وضع حد لميول السلاويين الى نوع من الحكم الذاتي فبنى مولاي اسماعيل قصبة بجوار سلا تسمى بقصبة «كناوة» لمراقبة المدينة وحمايتها في آن واحد كما رمم خلفاؤه الأسوار الموجودة وبنو دار البارود بالقرب من باب سيدي ابي حاجة وحصنا يشرف على مصب النهر اطلق عليها اسم «السقالة» قرب سيدي بنعاشر حاليا واجتهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله في القرن الثامن عشر في انعاش دور سلا كمركز للجهاد البحري ورمم دار الصنعة لكن لم ينجح ابدا في هذه العملية ليعيد لسلا ما كان لها من أهمية خصوصا بعد أن قرر في نفس الوقت انشاء ميناء جديد بالصويرة اراد ان يجعل منه الميناء الرئيسي على الشاطئ الاطلسي سنة 1755. وبعد توقيع اتفاقية سنة 1818 بين المولى سليمان والدول الأوربية لجعل حد نهائي لعمليات القرصنة لرغم سكان سلا على تغيير نوعية نشاطهم واصبحوا يهتمون بالفلاحة فدخلت سلا بهذا حقبة جديدة من حياتها وتوافدت عليها أسر من الارياف ساهمت في انعاشها.

المظهر الاجتماعي

لادراك معنى واهداف الفن المعماري الخاص ببناء المنازل من الضروري ان نتعرف على التركيب العائلي والاجتماعي.

كيف كان اذا يا ترى النظام الاجتماعي للاسر ؟.

هنا يجب علينا ان لا ننسى المدلول الأبوي العشائري الذي كان يطبع الاسرة في الماضي. ففي قمة الهرم العائلي نجد الاب رب العائلة الذي كان في استطاعته التزوج بعدد من الزوجات بالاضافة الى ما ملكت ايمانه من الجواري. فكانت الدور في غالب الاحيان تزخر بالبنين والبنات يسكنون دار أبيهم حتى زواجهم وكان يضاف الى هذه المجموعة جيش عرمرم من الخدم والعبيد وبالتالي كان من اللازم ترتيب بناء المنزل ترتيبا يسمح بتعايش جميع اعضاء هذه المجموعة في ظروف مريحة.

ومن هنا كان المنزل يتكون من ثلاثة أجزاء لكل منها دور معين.

- الجزء الأول : وهو أهم هذه الاجزاء ويسمى «الدار» وهي التي يسكن بها رب المنزل ويستقبل فيها زواره وضيوفه. فهي أكبرها حجما واجملها شكلا وزخرفة.
- الجزء الثاني : «الدويرة» التي تتكون من المطابخ والمخازن وبعض الغرف وفيها يقضي النساء والانجال معظم أوقاتهم.
- الجزء الثالث : «المداوز» وهي ممرات ذات تخطيط ملتوي تحمي حرمة العائلة وتمكن من الربط بين أطراف المنزل. وكثيرا ما نجد بالاضافة الى

هذه الاجزاء الرئيسية الثلاثة حماما ورياضا تستريح فيه العيال من اعباء عمل المنزل وكذلك «مصرية» وهي عبارة على شقة توجد عند مدخل المنزل «بالاسطوان» وتخصص للضيوف.

ان المنزل السلاوي يبدو وكأنه يغض البصر للحياة الخارجية ومن الزنقة أو درب لا نرى منه سوى جدرانه العالية المطلية بالجير الابيض ولا يمكن لأي واحد ان يرى ما يجري داخل البيت حتى ولو كانت الباب مفتوحة نظرا لوجود «اسطوان» ملتوي.

واذا كان رب المنزل يملك أراضي فلاحية بجوار المدينة أو يتعاطى لنشاط يفرض عليه التنقل بعيدا نجد بجوار المنزل مربضا للخيل والبغال يطلق عليه اسم «الخربة» بالمغربي الدارج.

وغالبا ما يقع المنزل في داخل درب يسكنه عدد من الاقارب والجيران ويكون الدرب وحدة اجتماعية تتوفر على جميع ضروريات الحياة اليومية من فرن للخبز وحمام عمومي (حبوس) وهو يكون عادة هبة من رب البيت ودكان لبقال يبيع كل ما يحتاج اليه سكان الدرب من مواد غذائية.

وكانت تقفل الدروب ليلا بواسطة باب من الخشب ذو مصرعين.

بناء المنزل السلاوي

مواد وأساليب البناء

- المواد :

تقع سلا في منطقة جيولوجية تمكنها من التوفر على مواد جيدة للبناء وهي :

1 ـ .حجر البناء ويستخرج من مقالع واقعة بالقرب من المدينة في الكتبان الحثية أي المكونة من الحجر الرملي.

2 ـ الصلصل فهو يستنتج من الطبقات الصلصلية التي تكون جوانب الأودية المجاورة لسلا. وهو المادة الضرورية لصناعة الاجور.

3 ـ الرمل هو بدوره يؤخذ من ضفاف النهر أو من الشاطئ.

4 ـ الحصى ويستخرج من التراكمات التي تركتها الانهار والجريان في أواخر الحقب الثالث الجيولوجي.

5 ـ الطين الاحمر الذي يطلق عليه اسم الحمري والذي يستعمل لصنع اللياط والطلاء يوجد بدوره بوفرة في ضواحي المدينة.

6 ـ خشب البلوط ومنه تصنع الابواب وخشب العرعر ومنه تصنع قناطر السقوف ورافداتها وأجوزتها. وتوجد الخشب في غابة معمورة وثاني في غابة زعير.

والمادة الوحيدة التي تستورد من الخارج هي الرخام الذي يؤتى به من ايطاليا من كرار يطلق عليه اسم الرخام الجنوي في سلا.

أساليب البناء المستعملة

ـ المخطط :

يسهر على بناء المنزل من نسميه بالدارجة «المعلم البناي» الذي يقوم مقام المقاول والمهندس المعماري في آن واحد ويشرف على مجموعة من البنائين والصناع المختصين في صناعة الخشب والزخرفة.

ويقوم البناؤون بحفر سيسان يتراوح عمقها ما بين متر ونصف ومترين وعرضها ما بين 50 الى 70 سنتمترا وذلك حسب ارادة رب المنزل في تشيد طابق أو عدم تشييده.

ويبنى الساس بحجارة كبيرة الحجم ترص بلياط من جير وطين وحصى ثم يدك الساس بدكاك من خشب البلوط يطلق عليه اسم «المركز» وبعد ذلك توضع مارب الماء العذب. أما بالنسبة للماء الحار فيبنى عند مجمع المجرى وبعد المرور بالمرحاض نفق من الاجور قعره من صخور كبيرة منحوتة مسقولة منحدرة يطلق عليها اسم «الرقاد» تساعد على جرف الماء نحو الخارج وغالبا ما تكون المراحيض في جميع المنازل بالقرب من الحائط الخارجي للدار بعيدة عن غرف النوم والغرف الاخرى.

ويرجع هذا الاسلوب الى القرون الوسطى حيث نلاحظ ان المراحيض في المنازل العربية بالاندلس قريبة من باب الدار.

ـ الجدران :

يتراوح سمك الجدران عادة ما بين 0,45 و 0,50 باستثناء الجدران الخارجية المحيطة بالمنزل التي تتميز بسمك يبلغ احيانا 0,75 م.

وتبنى الجدران بحجارة ملساء مدموكة تتخللها طبقات من الاجور أو أحيانا من الحجيرات. أما تشبيك زوايا الجدران وعضادات الابواب فهي من الحجر المنحوت على شكل مرضوم صغير ومتوسط. واللياط التي يلصق الحجر بالاجور فخين غليظ شيئا ما ويصنع من التراب والجير أما اللياط الذي يستعمل لتشبيك الزوايا فهو من نوع أجود حيث ان الجير الممزوج فيه مغربل ومصفي ولا يضاف الى طين اللياط الا بعد قضاء 5 أو 6 أشهر في الماء.

وعندما يشيد الحائط يطلى بالحمري المختلط بالجير وهذه العملية تسمى «التحراش» وهي التي تجعل الحائط سقيلا لا ينفذه ولا تخترقه الماء.

الاغمئـة

أ) السقوف

تسقف جميع غرف المنزل السلاوي بسقوف من لوحات واجوزة تسمى بالدارج «سفوق بالورقة والكايزة» ويتجزأ السقف الى عدة وحدات مستطيلة تحدها قناطر من خشب مزينة في بعض الاحيان بخطوط وموضوعة على أوصال منحوتة بشكل مقعر بسيط أو بشكل اكثر تعقيدا.

وتوضع الكائزة وضعا عموديا بالنسبة للقناطر، أما الاجوزة فهي عمودية بالنسبة للقناطر وتحمل الواحا من الخشب ملتصقة بعضها بالبعض يوضع فوقها حصى ولياط وطلاء أي جميع المواد الضرورية لبناء السقف.

ونلاحظ في بعض الاحيان داخل المنزل السلاوي ان غرف الاستقبال لها سقف زورقي الشكل مزين برسوم هندسية ملونة.

ب) القباب

تستعمل القباب لتسقيف الحمامات وتكون في غالب الاحيان من الشكل المتصالب الروافد.

التقنيات المستعملة في بناء الحمامات

توجد الحمامات المنزلية عموما بالقرب من المطبخ وذلك حتى يسهل تزويد افرانها بالنار ويقع فرن الحمام أو نسميه فرنتشي تحت قاعة الغسيل ويهتم البناء كل الاهتمام ببناء الفرنتشي وأرضية الحمام حتى لا تتضرر هذه الأخيرة من تغيرات درجات الحرارة وهكذا فاننا نجد فوق اقواس الفرنتشي طبقة أولى من الحمري وهو طين احمر ثم طبقة ثانية من اللياط تليها طبقة ثالثة سميكة من الملح البحري تحتفظ بالحرارة وتوزعها على مساحة أرض الحمام المفروشة ببلاط من الرخام.

ويوجد في زاوية من زوايا الحمام خزان للماء السخن. اما مدخنة الحمام فهي مكونة من أنابيب طينية.

وبجوار قاعة الغسل نجد داخل الحمام مكانا مخصصا للاستراحة يطلق عليه اسم «الكلسة».

الدروج

تتوفر المنازل السلاوية على نوعين من السلالم : السلم المستقيم، والسلم الملتوي، وينجز النوع الأول بعد وضع فرشة من تراب ولياط تدعمها من تحت قناطر من خشب تبنى عليها الدروج. ونجد في النوع الملتوي دروجا عادية وأخرى مثلثة الشكل في زوايا الانعطاف وتكون بمثابة عتبات للغرف الواقعة ما بين الطابق السفلي والطابق العلوي.

وتكون الدروج مبلطة بالاجور أو بمربعات من الخزف. وان هذه العجالة الخاصة بأساليب البناء لتساعدنا على ادراك العلاقات القائمة بين التقنيات المتبعة والمواد المستعملة في بناء الدور السلاوية ولنتعرف اكثر على هذه المنازل علينا ان ندرس من جهة أخرى نماذج الزخرفة وأساليب تجميل البيوت السلاوية العتيقة كذلك المواد المستعملة للزخرفة والتجميل.

الزخرفة

يتوفر الصناع السلاويون المختصون في الزخرفة على مجموعة من المواد الممكن نحتها وتشكيلها. ويستطيع هولاء الصناع بفضل ما ورثوه من آبائهم من أساليب وبفضل ما لهم من مهارة تحويل المنزل البسيط الى قصر جميل. سنحاول القاء نظرة على استعمال المواد الخام كالحجارة والجبص والطين والخشب.

الحجر

رأينا فيما سبق أن المنطقة التي تقع فيها سلا غنية بالصخور الحثية التي تعطي حجرا سهل النحت والتشكيل ونجد هذا النوع من الحجر مستعملا في كل انحاء المنزل ابتداء من الباب الكبير وابسط أنواع الابواب هي التي لها عضادات مرضومة بحجارة صغيرة وأخرى كبيرة يعلوها ساكف من الخشب.

ويرى المتجول في أزقة سلا عددا كبيرا من الابواب القديمة المستطيلة الشكل تحيط بها أطر من حجر. وتكون حجارة اطار الباب منحوتة وفي كل جانبي الاطارات نجد عمودين اثنين واقعين على قاع صغير ومكللين بشبه تاج غير مزخرف وهناك نوع آخر من الابواب وهي الابواب ذات الطاق المكون من اجزاء ملتصقة بعضها ببعض بواسطة لياط دقيق وجيد. ويرتكز الطاق على معدادتين (tailloirs) وتاجين (chapiteaux) مزينين بزخاريف نباتية وجريد وورود وزهرات ذات أربع فصوص ويعلو القوس اطار مستطيل تحده من جانبيه اعمدة مدموجة وينقسم هذا الاطار الى جزئين يفصل بينهما فاصل (velute) يصل حتى غلق القوس. ويصف الاوربيون هذا النوع من الابواب بالباب (morisque) لانه ظهر مع مجئ مهاجري اسبانيا في القرن 17 الذين أتو به الى سلا وادخلوا عليه بعض التغييرات وكيفوه مع الأساليب المحلية والرسوم الهندسية التي نجدها منقوشة على هذه الابواب والتي تتكون من

اشرطة متشابكة أو من اشكال محنشة يعلوها (consoles) طنفان وان هذا النوع من الزخرفة ليبقى مطابقا لتقاليد القرون الوسطى ويذكرنا بالزخرفة التي نجدها على الواجهة الداخلية للباب الثاني لسلا.

واذا كانت الحجارة تستعمل بكثرة عند مدخل المنزل فنجدها كذلك في «الاسطوان» أي الممر الذي يربط المدخل بوسط الدار حيث تكون المادة الاولية لاعمدة الطبقان المعمياء التي توجد بالاسطوان.

ونجد كذلك الحجارة مستعملة بكثرة داخل الدار فالاروقة وجميع الاقواس المقرنسة والمسننة وغيرها من الحجر. وتبنى الاعمدة بتراكيب فقيرات مستديرة الواحدة فوق الأخرى يجمع بينها لياط. وتكون تيجان اعمدة المنازل السلاوية القديمة على شكل جدع مخروط (tronc de cône) ويزينها نوعان من الزخرفة : يمثل النوع الأول اكليلا من اشرطة ملتصقة في الاسفل ومتفرقة في الأعلى ويكاد يصل الفاصل الذي يفصل بينها الى طوق العمود ويبدو ان هذا النوع من الزخرفة ناتج عن تطوير رسم التواءات الاقنثا من القرنين 11 و 12 وتذكرنا هذه الزخرفة بالتي نجدها على اعمدة قصبة «مهدية» التي يرجع بناؤها الى عهد المولى اسماعيل في القرن السابع عشر.

ويتمثل الشكل الثاني من الزخرفة التي نعثر عليها على أعمدة الدور السلاوية العتيقة في رسم نباتي مكون من زهيرة وسطى يتخللها نخيل ملتوي وتصحبها ورقات دقيقة في مقعر تاج العمود ويبدو ان هذا الشكل الثاني من الزخرفة اكثر حداثة من الأول بسلا ويرجع أصله الى القرنين 13 و 19 وقد تنقصنا العناصر لدراسة تطوره.

اما اطارات الابواب في «الديورة» فهي كذلك من حجر وتنحصر الزخرفة في عضادات الابواب والمقعرات الصغيرة التي توجد تحت القنطرة الخشبية التي تعلو الباب حيث نجدها مزينة بقوالب مبرومة (tores cordelés) وكثيرا ما يستعمل هذا الشكل من الزخرفة في سلا لتزيين اطارات الابواب المستطيلة.

للعثور على أصل هذا النموذج من الزخرفة والتعرف عليه علينا ان نرجع الى عهد الخلفاء الامويين بالاندلس حيث نجد في مسجد قرطبة نفس الشكل كما نعثر عليه في بعض منازل حي (Albaicin) بغرناطة غير ان الشكل المداول بسلا يقل رونقا.

الجبــص

يصنع الجبص بسلا باضافة الماء الى الجير الجيد وبعد شهور يتحول هذا الجير المبلل الى عجين لين يوضع على الاماكن التي يجب تزينها وبعد وضع الجبص على الحائط يرسم النقاش الاشكال التي يريد نحتها على الجبص بواسطة ازميلة أو منقاشة الذي يطلق عليه اسم «المربوع» بسلا.

وتوجد الزخرفة على الجبص بأماكن معينة داخل المنزل فتحتل زاويا الاقواس حيث يتكون الرسم من زهيرة وسطى تحوط بها اوان الاقنثا (feuilles d'écaille) وعلى جانبيها نجد (palmes) جريدا ملتويا حول أغصان وتعوض احيانا الزهيرة الوسطى بشريط مكون من عقدتين (deux boucles) وبالهوامش (cimaises) رسوم على شكل معينات اما الشماسات فهي نوافذ تقع فوق الابواب مزينة بنقرات مصحوبة بجريد. ويستعمل كذلك الجبص في تزيين «الشواف» وهو الحائط الذي يقابل مباشرة باب المنزل. أما نوافذ الغرف والقاعات فتعلوها في داخل القاعة قوقعة كبيرة داخلها مخطط (trompes d'angles) وتزين في بعض المنازل الشمامات والاقواس التي تحد الابهاء بزخرفة الجبص ونقشه بألوان ساطعة حمراء وخضراء وزرقاء ويظهر ان هذا الاسلوب يرجع هو كذلك الى القرون الوسطى حيث نجده كما شاهده جورج مارسي بضريح سيدي أبي الحسن بتلمسان وبقصر الحمراء بغرناطة كما يعثر عليه في بقايا بعض الحفريات التي اجريت في بعض الاماكن بالمغرب.

الخزف (والزليج)

يحتل الخزف مكانة مرموقة داخل المنازل السلاوية القديمة ويستعمل على ثلاثة اشكال.

1 ـ الشكل الأول وهو عبارة على مربعات صغيرة الحجم (من 0,03 الى 0,04 م) ملونة بالاخضر أو أزرق ومطلية بميناء يطلق عليها اسم «الزليج» ويستعمل هذا الزليج لتبليط أرض الاروقة أو بعض القاعات بوضعها وسط مربعات كبيرة من الطين الاحمر المشوي.

2 ـ الشكل الثاني : يتمثل الشكل الثاني في فسيفسات من ألوان وأشكال هندسية مختلفة توضع على الجدران لتزيينها.

ويستورد هذا النوع من «الزليج» من مدينة فاس ويقوم بنحته الصناع حسب الرسم الذي يريد وضعه على الجدار وتنحت جوانب كل الفسيفسات حتى يسهل ارصاؤها باللياط على الحائط. والرسوم التي نجدها في المنازل السلاوية تستوحى شكلها من النماذج القديمة كالنجم المتعدد الاطراف مثلا. اما الشريط الذي يخذ المكان المكسو بالزليج عن باقي الحائط فهو من فسيفسات يذكر شكلها ببيادق الشطرنج ولم نعثر في المنازل التي درسناها على زخرفة خزفية نباتية أو كتابية.

3 ـ الشكل الثالث : ظهر هذا الشكل من الزخرفة الخزفية في القرن 19 ويقتصر على استعمال مربعات من الخزف الاسباني المسمى (cuerda seca) وهي مربعات كبيرة الحجم 0,20 م ينجم عن وضعها على الحائط رسوما نباتية تذكر بالتي نجدها في أروقة منازل تونس العاصمة.

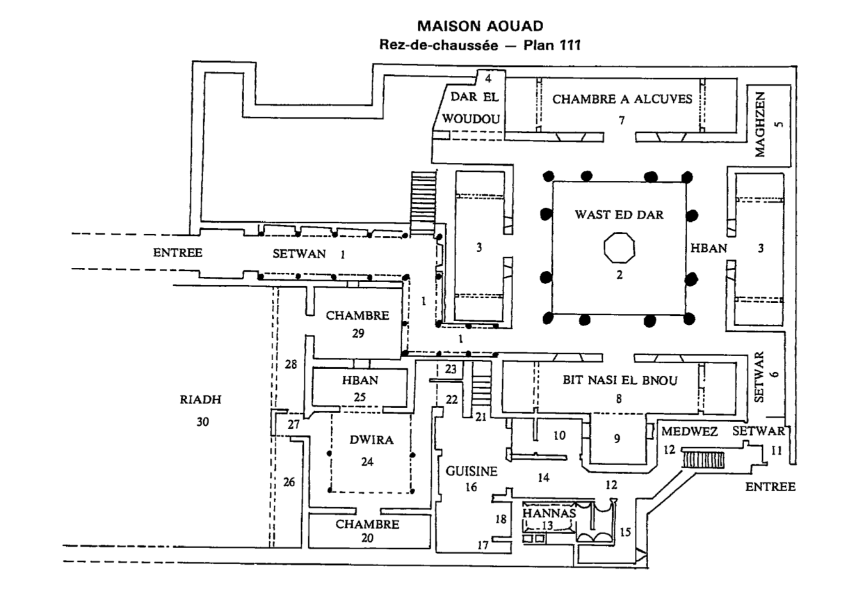
الخشب

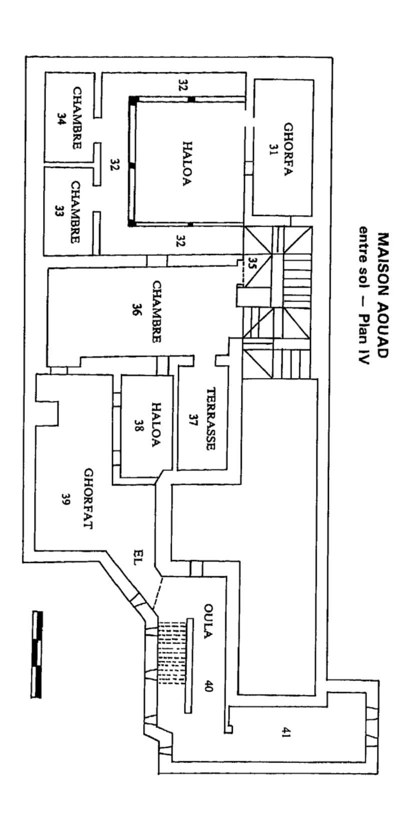
يستعمل الخشب المزخرف للابواب والسقوف فالابواب مزخرفة بشكل بسيط وجميل في نفس الوقت حيث تقتصر رسومه على مربعات ومستطيلات تتخللها احيانا وردة ذات أربعة فصوص.

أما الخشب المستعمل لتسقيف القاعات والغرف فهو منحوت ومنقور ومنقوش سواء كانت السقوف على شكل بسيط أم على شكل زورقي. وفي شأن السقف البسيط نجد ان الكائزة والقناطر المخططة موضوعة على روافد منقورة كما نجد على هامش السقف خطوطا متشابكة تزين الافريز الفاصل بين السقف والجدران.

أما السقوف الزورقية الشكل فهي منقوشة بنجوم وزهيرات ملونة بالاحمر والاخضر والاصفر والذهبي.

وفي ختام هذه اللمحة عن تزيين دور السكنى بقي لنا ان نشير الى ان جمال الزخرفة يختلف طبعا من منزل الى آخر، وان الأساليب المتبعة في تجميل البيوت لا تبتعد عن الأساليب الموروثة من الاجداد فهي أساليب تقليدية لا ابتكار فيها ولا تأتي بجديد ولكن رغم ذلك فان دراستها من خلال دراسات عامة أو مدققة لمنازل سلا العتيقة لتعطينا نظرة على الفن المعماري المغربي وتساعدنا على معرفة التقاليد الفنية المغربية.


MAISON AOUAD
Rez-de-chaussée — Plan 111
4
DAR EL
WOUDOU
CHAMBRE A ALCUVES
7
MAGHZEN
5
WAST ED DAR
2
HBAN
3
3
ENTREE
SETWAN 1
1
1
CHAMBRE
29
28
HBAN
25
23
22
21
BIT NASI EL BNOU
8
SETWAR
6
RIADH
30
27
DWIRA
24
10
9
MEDWEZ
SETWAR
12
11
ENTREE
26
GUISINE
16
14
12
HANNAS
13
18
17
15
CHAMBRE
20



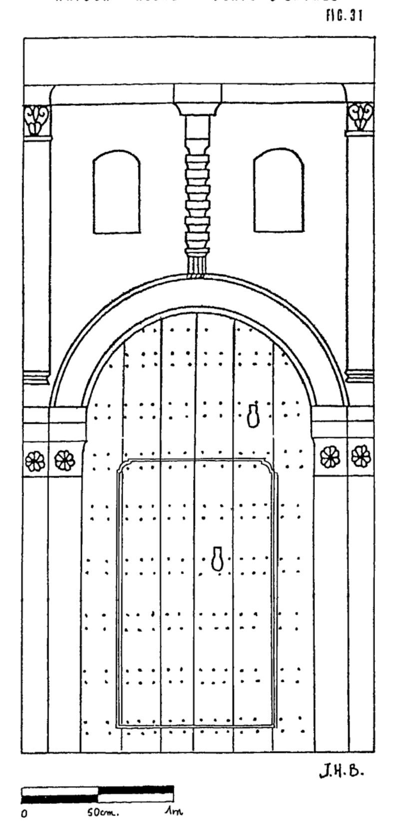
MAISON AOUAD
entre sol – Plan IV

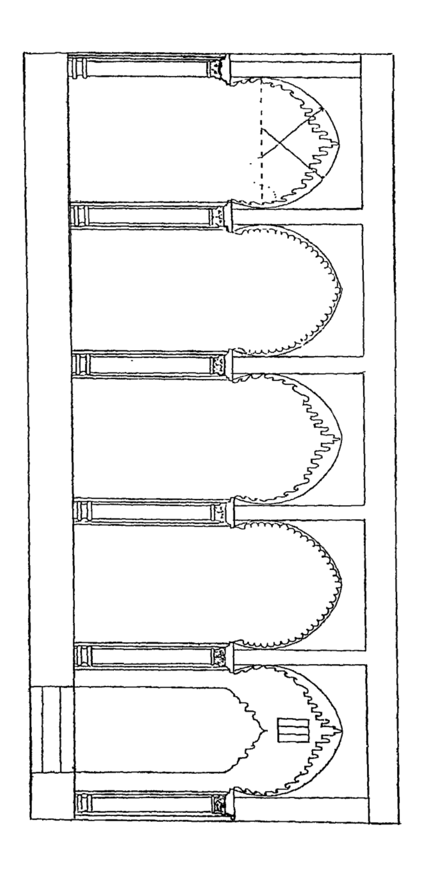
MAISON AOUAD
étage — Plan V

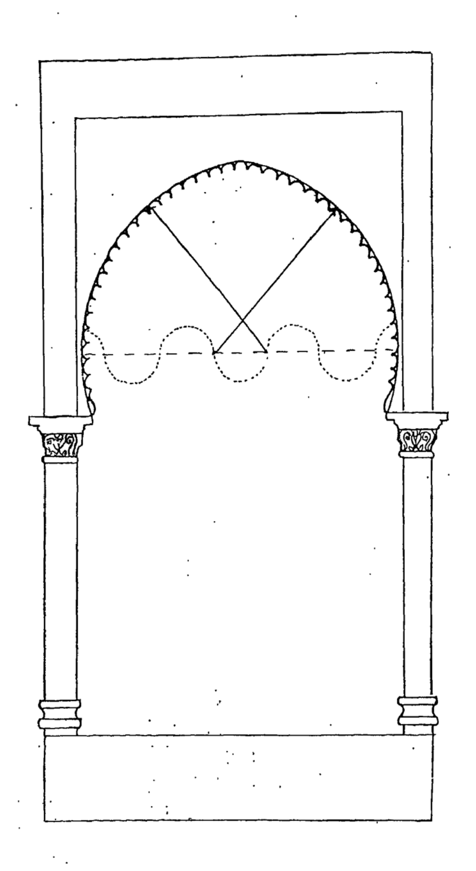
53
52
57
56
MIDNA
SALA EL KEBIRA
51
54
CHAMBRE
55
CHAMBRE
48
SETWAN
47
46
SALA BEL BNOU
49
45
ACCE TERRASSES
42
SEDA 43
50

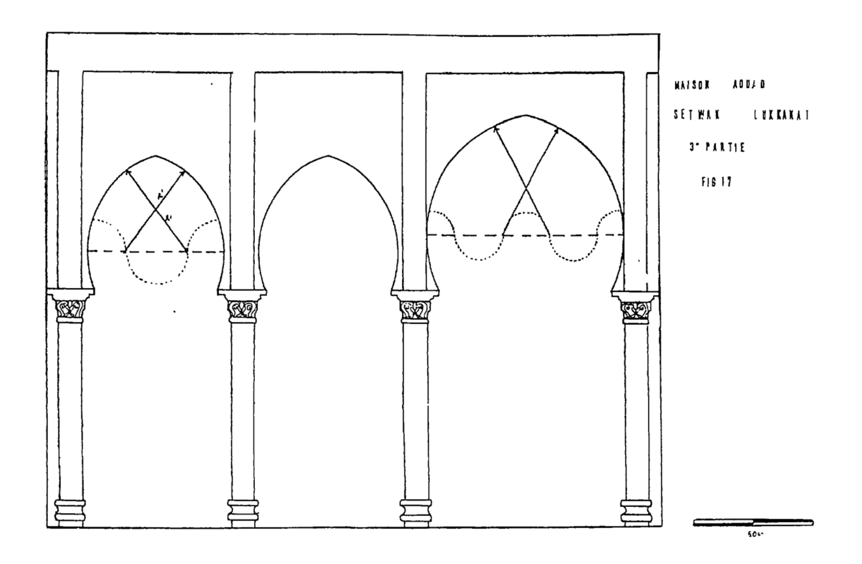
MAISON AOUAD PORTE D'ENTREE

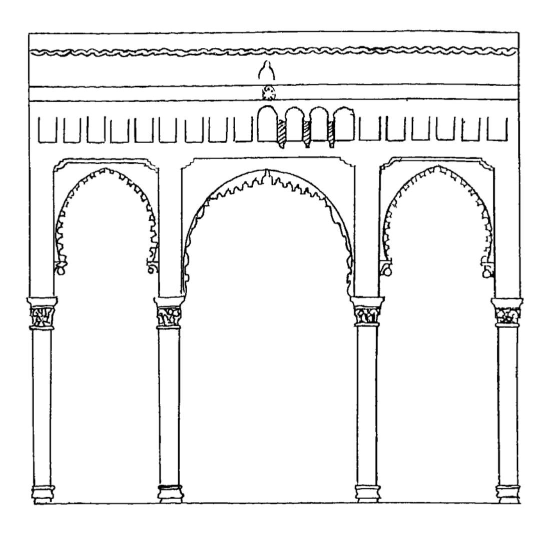
FIG. 31





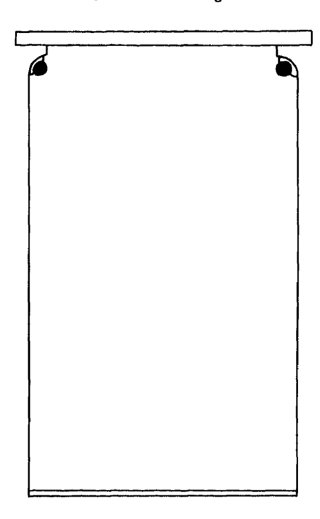



MAISON AOUAD
SETWAN LUKKAKAT
3e PARTIE
FIG 17



MAISON AOUAD

entrée cuisine — Fig. 22



بعض معالم مدينة طرابلس الاسلامية

محمود الصديق أبو حامد

عضو الوفد العربي الليبي

موقع مدينة طرابلس :

تقع مدينة طرابلس على ساحل البحر الأبيض المتوسط شمال خط الاستواء عند خط العرض 56، 32 وعلى خط طول 10، 13 شرقي خط غرينيتس وهي بذلك تقع في صميم مناخ البحر الأبيض المتوسط على رأس قمة سهل الجفاوة، وتتمتع بموقع جغرافي هام تكثر فيها المراكز الاقتصادية والتجارية وتتصل ببلدان العالم عن طريق المواصلات المختلفة منها البحرية والجوية والبرية[1].

هذا وقد تطور اتساع مدينة طرابلس وامتد العمران بها الّى مسافات واسعة حتى شمل خارج السور، ويظهر من دراستنا لمدينة طرابلس والى ما تبينه الخرائط القديمة التي تعود الى القرن الخامس عشر الميلادي والسادس عشر بان المدينة تطل على البحر وهي على شكل خماسي غير منتظم يزيد محيطها على الميل على أرضية منبسطة، وهي محاطة بأسوار ذات أربعة أبواب اثنان في جهة القبلة وهما باب الخندق وباب المنشية وواحد في الجهة الغربية وهو باب الجديد والرابع في الجهة الشمالية وهو باب البحر، وكانت توجد بالأسوار ستة أبراج وبعض الحصون، والمدينة داخل السور العتيق بها ست محلات وهي حومة غريان، والبلدية وكوشة الصفار وباب البحر، والحارة الكبيرة والحارة الصغيرة.

وقد أشار الرحالة التيجاني القرن الثامن الهجري الى وجود جبانة بشمال المدينة وهناك دفن أبو عبد الرحمن يعقوب بن أبي يعقوب يوسف بن محمد الحارثي الذي ثار في طرابلس على حكم الحفصيين 969 هـ / 142 م، ويحتمل أن المنطقة المخصصة للحانات في الشمال

---

(1) انظر كتاب بلدية طرابلس في مائة عام، ص 108.

(2) مجلة الأفكار، السنة الأولى، العدد 4 ـ 5، ترجمة الحاج محمد الاسطر.

الغربي أو في الجنوب الغربي أمام باب زناتة (الباب الجديد) قريبا من سور مدينة طرابلس، كما توجد جبانة أخرى هدمت في العهد الايطالي هي الجبانة التي كانت ملحقة بمسجد سيدي حمودة أمام السراس الحمراء.

وتوجد جبانة قديمة أخرى مازالت تستعمل في الدفن حتى الآن تقع في جنوب المدينة على بعد مسافات قليلة، ويدل قدمها علاقتها باسم صحابي مشهور يدعى باسم سيدي منيدر والذي قيل أنه جاء الى طرابلس أيام موسى بن نصير وقد ذكره النائب في كتابه المنهل العذب صفحة 53 «بأن سيدي منيدر هذا جاء من الأندلس الى طرابلس الغرب وتوفي بها وقبره لدى أهلها مشهور.» وقيل أنه توفي سنة 96 هـ.

مقدمة تاريخية عن مدينة طرابلس :

كانت مدينة في بداية نشأتها عبارة عن مركز من المراكز التجارية التي كان التجار الفينيقيون منذ سنة 1200 ق.م. تقريبا يستخدمونها كمحطة تجاربه لمواصلة رحلتهم من موانئهم على سواحد سوريا الى مراكز أخرى أقيمت على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

وفي حوالي القرن السادس أصبحت مدينة طرابلس تابعة لقرطاجنة التي تأسست قرب مدينة تونس الحالية سنة 814 ق.م. وبعد سنة 146 ق.م. أصبحت مدينة طرابلس تابعة للأمبراطورية الرومانية بعد سقوط مدينة قرطاجنة اثر معارك طاحنة مع الرومان وفي سنة 439 م غزتها قبائل الوندال الجرمانية الآتية اليها من شمال أوروبا، وتمكن البزنطيون فيما بعد أي في سنة 524 من انهاء حكم الوندال، وفي سنة 22 هـ / سنة 623 م استطاع عمرو بن العاص فتح مدينة طرابلس بعد فتحه لمصر وبرقه وبقيت مدينة طرابلس منذ ذلك التاريخ محتفظة بطابعها العربي الاسلامي كما ظل السكان محافظين على تراثهم الحضاري والاسلامي الى يومنا هذا.

وقد عثر المنقبون عن الآثار في سنة 1922 م على بعض الاكتشافات المهمة التي تدل على قدم نشأة هذه المدينة وعراقة تقدمها تعود الى العهد الفنيقي ثم الروماني وهي عبارة عن محتويات لعدد من المقابر القديمة ترجع الى القرن الأول ق.م. عثر عليها قرب سيدي الهدار القريب من ميناء طرابلس وهي معروضة الآن بمتحف طرابلس وقد نشر عنها (سلفا توري أو ريجينا) سنة 1958 م كما عثر على بقايا قوس الامبراطور الروماني «مركوس أو ريليوس» الذي يرجع تاريخه الى سنة 163 م ولم يتمكن الباحثون حتى الآن من الوصول الى أثر لمدينة طرابلس في العهد الفنيقي ويعتقد أنها في الجزء الشرقي من المساحة التي تقدم عليها الآن المدينة القديمة في الوقت الحالي بالقرب من ميناء طرابلس ويمكننا ملاحظة بعض أجزاء من شوارع المدينة في عهدها الروماني حيث تلتقي بقوس مركوس أو ريليوس السالف الذكر.

طرابلس في العهد الاسلامي :

لم يبق من معالم مدينة طرابلس خلال الحكم الاسلامي الأول والوسيط الا النذر اليسير وذلك بسبب ما طرأ على مبانيها القديمة من تعديلات وتغييرات استمرت حتى دخول الأتراك الى البلاد سنة 1551 م، كما أن بعضا من معالمها القديمة قد اندثرت وبنيت على أنقاضها مبان أخرى استهدفت في العهد العثماني.

ونستدل من أقوال المؤرخين والرحالة العرب الذين كانوا قد كتبوا عن تاريخ هذه المدينة بأن المسلمين عندما فتحوا المدينة وطردوا البيزنطيين منها سنة 22 هـ / سنة 643 م قد استقروا بها وعاشوا داخل جدرانها، كما أن بعض الولاة من المسلمين قاموا بترميم سور المدينة وبنوا بعض المباني والمنشآت العمرانية الا أنه بمرور الزمان قد تغيرت معالمها كما يحكى عن قصة بناء جامع أحمد باشا القره مانلي وجامع الناقة حيث يقال أن هذين الجامعين بنيا على أنقاض مسجدين قديمين بنيا بعد دخول المسلمين الى طرابلس وقد نجد حتى يومنا هذا أن أغلب المباني التي بنيت في فترات لاحقة قد تأثرت تأثرا واضحا بعناصر الفن المعماري الاسلامي كما نشاهد ذلك في بعض المباني العمرانية التي بنيت داخل المدينة وخارجها، وقد ذكر كثير من الرحالة والمؤرخين العرب في كتبهم مدينة طرابلس ووصفوا لنا حالة البلاد من الناحية العمرانية والاقتصادية والزراعية والاجتماعية، وبالاطلاع على ما كتبه هؤلاء يمكننا التعرف على بعض معالم مدينة طرابلس الاسلامية كالجغرافي اليعقوبي المتوفي 282 هـ صاحب كتاب البلدان الذي وصف لنا في كتابه صورة عن السكان القدماء وعن العرب الداخلين الى ليبيا، ووصف لنا في كذلك مدينة طرابلس حيث ذكر أن مدينة طرابلس مدينة قديمة جليلة على ساحل البحر عامرة آهلة وأهلها أخلاط من الناس افتتحها عمر بن الخطاب، ووصف لنا البكري سنة 1068 م سور مدينة طرابلس المبني بالحجارة القوية، وأشار البكري الى جامع طرابلس الكبير ولعل هذا الجامع الذي يعنيه هو جامع الناقة حيث يعتبر هذا الجامع من المساجد الكبيرة حيث يقال أنه بني أيام المعز لدين الله الفاطمي عندما مر بطرابلس في طريقه الى القاهرة، وأشار الى مسجد سيدي الشعاب وهو معروف مكانه حتى الآن كما ذكر البكري بأنه يوجد بطرابلس أسواق وحمامات كثيرة، ووصف الادريسي في كتابه (نزهة المشتاق) مدينة طرابلس حيث ذكر بأن مدينة طرابلس كانت حصينة عليها سور من الحجارة وهي في نحر البحر بيضاء وحسنة الشوارع متقنة الأشواق وبها صناع وأمتعة يتجهز بها الى كثير من الجهات.

ومن خلال ما كتبه الرحالة التجاني عن مدينة طرابلس التي زارها سنة 701 هـ أي في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي نعلم أن مدينة طرابلس كانت تسمى بالبيضاء ومن أهم معالمها القصبة أي القلعة التي ما تزال معالمها ظاهرة، وأشار الى وجود حمام البلدة الذي كان يقع بجوار القصبة، كما أشار الى وجود حمامان آخران لا نعلم الآن موقعهما، ويصف التجاني شوارع المدينة فيقول بأنه لم ير أكثر منها نظافة ولا أحسن اتساعا واستقامة وان أكثرها تخترق

المدينة طولا وعرضا من أولها الى آخرها ويشير التجاني الى وجود بعض المساجد والمدارس القديمة بعض منها اندثر كلية والبعض الآخر قد تغيرت معالمه ولا نعرف مكانه آن بالتحديد.

بعد هذه اللمحة البسيطة عن تاريخ مدينة طرابلس والاشارة الى قول المؤرخين الرحالة العرب عنها أود هنا أن أقدم لمحة صغيرة عن سور مدينة طرابلس القديمة والقلعة حيث يعتبران من أهم معالم مدينة طرابلس الاسلامية.

سور مدينة طرابلس :

لم يبق من سور مدينة طرابلس في العهد الروماني أي أثر، أما عن العهد البيزنطي فيمكن أن يرجع القسم المنخفض منه والذي يمتد حاليا في الشمال أمام باب زناتة، وهو مبني من أحجار مستطيلة ذات ارتفاع لا يعلو أكثر من 45 سنتمترا يقدر بحوالي قدم ونصف روماني، والحجارة موضوعة بطريقة غير منتظمة وبأحجام مختلفة وغير متقنة، الشئ الذي يجعل تلك الحصون من النوع الذي تعودنا رؤيته من التحصينات البيزنطية في المدن القديمة مثل صبراتة ولبدة وهذه الأحجار مكونة من مواد مختلفة.

ويعتقد أوريجيما[3] أن أسوار طرابلس بنيت في العهد البيزنطي وقد تهدمت عند دخول المسلمين للمدينة واستند على ما أظهرته الحفريات التي قامت على سور طرابلس واستنادا على رواية التيجاني بخصوص تهديم عمرو بن العاص لأسوار المدينة سنة 643 م لكي لا يحد من صعوبة فتحها مرة أخرى.

والدليل على قول أوريجيما من أن أسوار المدينة قد تهدمت هو ما قام به عبد الرحمن بن حبيب المتولي على افريقيا في أواخر دولة بني أمية سنة 132 هـ باصلاح السور من جهة البر وفي سنة 180 هـ قام هرنمة بن أعين المتولي على افريقيا من قبل هارون الرشيد ببناء السور من جهة البحر، ويذكر التيجاني أنه قام بهذا العمل على يد زكريا بن قادم ثم زاد اتقانه ورفع بناؤه من جهة البر والبحر معا أبو افتح زيان الصقلبي المتولي طرابلس عام 345 هـ.

ويقول النائب في كتابه المهل العذب ص 75 ان شعبان بن أبي المهاجر قد ولي طرابلس للمرة الثانية سنة 196 هـ وان هوارة ثاروا عليه فخرج الجند عليهم والتقوا فاقتتلوا فهزم الجند الى المدينة فتبعتهم هوارة ودخلوا بالمدينة وهدموا أسوارها ولحق الجند بالأمير ابراهيم بن الأغلب فأعاد معهم ابنه عبد الله في ثلاثة عشر ألفا من العساكر ففتك وأثخن فيهم وضبط البلد وجدد سورها.

ويذكر التيجاني أن الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن حفص قد أمر أيام وصوله الى طرابلس في شهر شعبان سنة 614 هـ ببناء فصيلا آخر كان يحيط بالسور وهو أقصر منه

---

(3) أرويجيما، مجلة النشرات الأثرية، السنة الثانية، الجزء الأول والثاني، ص 229.

ويسمونه الستارة، وقد رأى التيجاني ذلك مكتوبا على أحد أبواب الستارة يعرف بباب عبد الله، ولم يصلوا هذه الستارة حين بنوها بالبحر وانما انتهوا بها الى الباب الأخضر منه وبين البحر فسحة فأتم البناء أيام مقامنا بطرابلس.

ولم يعرف عن آثر الستارة التي ذكرها التيجاني شيء قائم غير أن بلدية طرابلس في سنة 1964 م عندما قامت بحفر المجاري في الشارع الذي يقع بين سوق النجارة ومصرف ليبيا المركزي أظهرت معالم سور يبلغ سمكه 7،20 م وبموازاة هذا السور من الناحية الغربية عثر على بقايا سور آخر سمكه ستة أمتار، كما قامت البلدية في 1971 م بميدان الشهداء وعلى محور رئيسي مع باب هوارة القديم الذي يؤدي الآن إلى سوق المشير بحفريات بينت لنا العثور على أساسات هي بلا شك الفصيل الذي ذكره التيجاني.

ويبلغ محيط سور المدينة حسب تقرير لوفد فرسان القديس يوحنة الذي زار طرابلس قبل تسليمها من الاسبان 37228 خطوة ثلثاه يطل على البحر والثلث الآخر يشرف على البحر، ومن أقوال أحد أفراد الحملة العسكرية الاسبانية التي استولت على مدينة طرابلس في 25 يوليو سنة 1510 م وهو (باسينيو ذي كونيس) بأن مدينة طرابلس مربعة الشكل ويزيد محيطها على ميل واحد ولها سوران بينهما خنادق ضيقة عميقة والسور الأول قصير أما الثاني فمرتفع وسميك وعليه الأبراج العالية الحصينة ويحيط البحر بالمدينة من ثلاث جهات تقريبا ولها ميناء عظيم يسع ما لا يصل عن أربعمائة سفينة ويقال انها يسكنها أكثر من عشرة آلاف عربي وبعض اليهود.

وكان هناك حصون صغيرة منتشرة في النقاط الاستراتيجية على حافة قريبة من السور على هيأة طلائع مراقبة تقوم بتغطية وعرقلة القوى المعادية بصفة مؤقتة.

وقد وردت في الأوساط والرسوم القديمة بما يشير إلى أثر برج قديم يسمى برج الماء ويقع على الشاطئ شرقي طرابلس وهو موقع يمتاز بوفرة مصادر المياه حوله، وهناك حصن منيع يقوم على الجزر الغربية لحماية دار الصناعة والميناء أشير إليه في رسم بندقي في سنة 1656 م باسم حصن القديس وعرف فيما بعد باسم الحصن الاسباني وهناك حصن آخر أشير إليه قرب المجزرة وهو يقوم رقيبا أماميا للمدينة من الجانب الشمالي ولكنه من عصر متأخر ما يزال يشاهد حتى الآن في الحصن المسمى (برج أبو ليلى) القريب من ميناء طرابلس[4].

ومن أهم أبواب السور القديمة المشهورة هي باب زناتة ويعرف حاليا اسم الباب الجديد الذي يؤدي الى الميدان الموجود به معمل التبغ الحكومي وسمي بهذا الاسم لانه يقع على الجانب الغربي من المدينة نحو المواقع التي كانت تسكنها القبيلة المذكورة، والى الشمال الشرقي

---

(4) انظر كتاب بيرنيا، ص 24، ترجمة الأستاذ خليفة التلسي.

من طرابلس قرب قوس (ماركوس أو ريلسوس) كان هناك باب آخر يعرف باسم (باب البحر) لأنه يؤدي الى الميناء وهناك مدخل آخر يقع الى جنوب شرقي طرابلس وهو مكون من بابين نتيجة وجود سورين يحميان المدينة من جهة المنشية الباب الخارجي وهو الذي يسميه الأهالي من قبل باسم (فم الباب) في ركن مقبرة سيدي حمودة ويؤدي الى الميدان المعروف سابقا بميدان الخبز أي ميدان الشهداء حاليا، وعلى بعد ستين مترا وفي نفس الاتجاه وفي الطريق المعروفة بسوق المشير هناك الباب البدائي القديم ويسمى (باب هوارة) نظير باب زناتة اذ يؤدي هذا الباب الى ريف طرابلس والخمس حيث تسكن هذه القبيلة وسمي أيضا (بباب عبد الله ولعل ذلك يرجع الى المقاومة الشديدة التي أبداها في هذا الموقع عبد الله مؤسس دولة الأغالبة سنة 185 هـ ضد عدوه عبد الوهاب ويدعى لدى العامة (بباب المنشية) واذ سرنا من باب المنسية بمحاداة السور الى جهة الجنوب فان هناك باب آخر للمدينة سماه الاسبان (الباب الغربي) أو الباب العربي الذي أعيد فتحه من قبل الأتراك سنة 1909 م وقد كان أحد المداخل الذي استولى عليه الاسبان سنة 1510 م وسموه باب النصر، ويعرف الآن باسم باب الحرية. ويصف التيجاني بابا آخر للسور وهذا الباب الأخضر ويعتقد الأخ محمد سالم الورقلي في بحثه (عن مدينة طرابلس الاسلامية) أن هذا الباب الذي يعنيه التيجاني من المحتمل أن يكون الباب الصغير الضيق الذي بجوار السور الجنوبي الشرقي خلف سوق الصنائع المحلية غير أن هذا الباب يقع بالتحديد في مبنى دار البارود الذي بني في عهد درغوت باشا وهي نفس المكان الذي أشار إليه الورقلي.

قلعة طرابلس يمكن أن نرجع تأسيس القلعة الى العهد الروماني حيث أن التحصينات القديمة وسور المدينة يرجع تأسيسها الى القلعة الى تلك الفترة هذا ومما يؤكد ذلك العثور على آثار قديمة منها بعض الأعمدة الرخامية الضخمة من النوع الكورنتي والتي يعود زمنها الى العهد الروماني.

ومما يثبت أن قلعة طرابلس كانت في كامل قوتها بعد الفتح الاسلامي كما يشير إلى ذلك الأستاذ أرويجيما هو احتماء عبد الله ابراهيم بن الأغلب بداخلها واللجوء اليها قصد الحماية من القوة المعارضة لحكمه وقد بقي عبد الله ابراهيم بن الأغلب محاصرا بالقلعة حتى تم الاتفاق بينه وبين المحاصرين على أن يفك الحصار حتى يترك عبد الله المدينة نهائيا ويذكر التيجاني في رحلته أن والي البلد اذ ذاك قد تخلى عن موضع سكناه وهو قصبة البلد فنزلنا بها ويحدثنا التيجاني عن القصبة فيقول ان اثار الفخامة بادية على هذه القصبة غير أن الخراب قد تمكن منها، وقد باع الولاة أكثرها فما حولها من الدور تكشفها الآن وانما استخرجت منها ولها رحبتان متسعتان.

هذا ونجد وصفا آخر للقلعة في كتاب عن البحرية التركي بيري والذي صدر في 1524 م وذلك قبل دخول الأتراك إليها، فيقول من الجدير بالذكر اننا لم نر في ديار المغرب قلعة أجمل من قلعة طرابلس ان كل برج فيها يرى وكأنه مصنوع من الشمع وخاصة ان قلعة طرابلس

هذه تبيض بالجير كل ستة أشهر فتظهر للناظر كالفضة الناصعة، ومما يذكر عن هذه القلعة أنه كثيرا ما يلجأ إليها الأهالي وقت الحروب والغزوات للاحتماء بها، إذا ما أن يبدأ الغزاة بضرب أسوار المدينة بالمدافع التي يحملونها فوق سفنهم الغازية حتى يتسارع أهالي طرابلس الى أبواب وقلاع هذه السراي حيث يكونون في مأمن تام بداخلها طيلة فترة الغزو، وكانت القلعة مستعدة لمثل هذه الحالات فكانت تضم كثيرا من المخازن والطواحين والحمامات وغيره من أسباب الراحة والمعيشة.

هذا وقد استطاع فرسان القديس يوحنا كتابة تقرير عن القلعة عندما أرسلوا للاستخبار والتجسس عنها في شهر يوليو 1524 م وذلك قبل استلام مدينة طرابلس لاسبان وكلفوا بتقديم تقرير حول الوضع الدفاعي لهذه القلعة يبلغ طول القلعة من الجنوب الى الشمال 160 خطوة ومن الشرق الى الغرب 200 خطوة، وإن الواجهتين المقابلتين لها نفس المقاييس ولها خنادق يبلغ عرضها 24 خطوة ويبلغ ارتفاع جدران القلعة خمس قصبات.

فقد كانت القلعة تواجه الميناء الواسع ببنائها المربع الضخم وهي تحمى المدينة من البحر والبر، أما الجزر التي تقع في الغرب والتي يقوم عليها حاليا ذراع الميناء الذي يمتد على الجانب الشمالي فكانت تمنعها من الغارات البحرية المفاجئة.

وأهم وأدق وصف لقلعة طرابلس من الداخل هو الذي كتبه الأسير الفرنسي الذي وقع في أسر البحارة الطرابلسيين من 1668 م الى 1676 م.

يقول هذا الأسير الفرنسي في مذكراته «يرجع تأسيس القلعة الى مواطنين افريقيين عند تأسيس مدينة طرابلس ثم رممها وكبرها الاسبان وفرسان مالطا، وتقع القلعة في الزاوية الشرقية للمدينة ويبلغ محيطها 500 خطوة، الجهة الشرقية منها تطل على البحر والجهات الباقية محاطة بخندق عريض وعميق، مربعة الشكل تكتنفها أبراج أربعة عالية أطلق الاسبان على بعضها حصن سانتا بربارا، حصن سان جاكمو، وحصن سان جورجو المدخل خال من الحواجز والجسور، ويقع المدخل في الجانب قليلا وتغلق الأبواب الأربعة ليلا.

توجد مباني كثيرة بداخل السراي، وشقق الباشاوات رائعة ومساكن الضباط والعساكر مريحة جدا، ويظهر في الداخل نافورة يأتي ماؤها من بئر، وتبعد النافورة قليلا عن باب المنشية، وعلى المدخل لوحة من الرخام تحمل شعار اسبانيا وفرسان مالطا وقد حفر عليها الأتراك كتابة مكونة من سطرين.

يقابل أول ما تمر بالباب الأول حائط معلق عليه سيوف وبنادق كثيرة، وعلى اليسار يمتد ممر طويل نوعا ما هناك حيث يوجد كرسي محمد وعثمان باشا، هو كرسي مطعم بالذهب أشبه بعرش السلاطين، ويستقبل الباشا في هذا المكان رسل السلاطين، من اسطنبول أو أي دولة أخرى.

ويذكر هذا الأسير الفرنسي المجهول أن هذا الكرسي قد أعد في سنة 1674 م من قبل بايلي باشا بطلب من خليل باشا وتوجد بعد الباب الرابع قاعة يطلق عليها اسم ميدان يجلس الأمير (الباشا) أغلب ساعات النهار للفصل في الأمور المتنوعة على كرسي مثبت في الحائط بسيط الشكل «وهذا هو عرش طرابلس» وخلف هذه القاعة حجرة يجلس فيها الكتبة حيث يلقي الباشا أوامره من نافذة لتحريرها تنفيذها.

ويتسع الميدان من ناحية الجهة اليسرى حيث يوجد مسجد السراي الذي كان في السابق كنيسة فرسان مالطا وتسمى كنيسة سان ليوناردو، أما باقي القلعة فهو ملئ بالمباني الخاصة بالضباط والجنود، وتوجد بها مخازن للأسلحة والذخيرة كما توجد كذلك أفران وطواحين وعلى السور المقابل للبحر توجد المدافع التي تسيطر على البحر ومدخل الميناء، ولقوة الأمواج التي تنكسر على أساسات هذه الجدران وخوفا من انهيارها يوما ما فكر عثمان باشا في تقوية هذا السور لعمل سطح على شكل رصيف ليستغل فيما بعد لحماية مدخل الميناء بوضع بعض المدافع عليه وكان هذا المشروع لم ينفذ بعد، كما يوجد ممر للطواري من ناحية البحر.

وقد كانت القلعة في وضع يمكنها من السيطرة بكل سهولة على كل ما يحيط بها حيث أن مدفعيتها تستطيع أن تضرب المدينة والميناء وعرض البحر وكل القرى المجاورة.

وتصف لنا المسز توللي في مذكراتها عن (بلاط طرابلس أيام حكم الأسرة القرة مانلية) القلعة حيث تمكنت من زيارتها وكانت لها معرفة بنساء القصر وقد عاشت في طرابلس مدة عشرة سنوات من 1783 الى 1793 م.

تقول المسز توللي (أن كلمة سراي تعني السور المحيط بكل القصر العثماني الذي لا يقل عن مدينة متوسطة الحجم، يبلغ ارتفاع السور الذي يحيط بها ثلاثين قدما وللسراي تسعة أبواب اثنين منها رائعان وعظيمان، أحد هذه الأبواب التسعة من الباب العثماني يعرف باسم الباب العالي، ولكن المكان الذي تسكنه سيدات السلطان التركي يدعى الحرم، كما هو الحال هنا، ولا يستطيع أي شخص الا من كان موظفا رسميا تابعا له أن يدخل الباب الأول فقط.

وتصف لنا مسز توللي مباني القلعة وتشير الى أنه أضيفت أعداد هائلة من المباني الى القلعة من شوارع متعددة وراءها السجن الرجال به أروقة محيطة بوسط الحوش التي أمام الحجرات، وتوجد شبابيك مشبكة بالخشب المثقوب ثقوبا صغيرة.

من هذا الوصف السابق يمكننا أن نتصور وضع القلعة في ذلك الوقت حيث أن معالمها الآن تغيرت كما هدمت بعض الأجزاء التي بنيت في عهد حكم الأسرة القرة مانلية سنة 1711 م بسبب بناء الطريق الحديث الممتدة من شارع الفتح المجاور لشاطئ البحر حتى ميناء طرابلس.

فمنذ أكثر من قرن كان الزائر لقصر السراي يجد دار سكة لنقود وديوان العساكر وصيدلية الحكومة، ورئاسة الخزانة، ولا تزال بعض هذه المنازل التي بنيت في ذلك الفترة باقية وهي تشبه المنازل الموجودة الآن بالمدينة القديمة وتمتاز بوجود فناء واسع غطيت جدرانها بالقيشاني الملون والمزخرف بأوراق نباتية وهي مكونة في الغالب من طابقين وحجرات مستطيلة، وأخيرا عندما استولت الحكومة الايطالية على ليبيا سنة 1911 م أخذ جزء من القلعة واحدثت بداخلها بعض التغير الجديدة منها بناء النفق والطريق الحديثة واضافة بعض الأقواس فوق حصون القلعة، وجزء منها خصص كمقر لدوائرها الحكومية كما اتخذت بعض من مبانيها مقرا للحاكم الايطالي كما خصص جزء منها وعمل كمتحف للآثار عرضت به ما تم اكتشافه بطرابلس من لقيات أثرية، هذا وعندما أصبحت القلعة تابعة لادارة الآثار سنة 1951 وضعت داخلها بعض النافورات المرمرية في أماكن متعددة، وقد جلبت هذه النافورات من بعض المنازل المبنية بطرابلس في القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادي، وأضيفت بها بعض المباني الجديدة، كما خصصت بعض من مبانيها كمتاحف تابعة لمصلحة الآثار.

بـــحـــث
عن الندوة الدولية للآثار الفلسطينية

الدكتور معاوية ابراهيم

جرت العادة عند استعراض تاريخ البحث في الآثار الفلسطينية ان تسرد النشاطات الميدانية كأعمال المسح والحفريات الاثرية بشئ من الاعجاب، دون التطرق الى الظروف والأسس والدوافع التي قامت من أجلها، والتي كانت تبنى عليها نتائج البحث وأعمال التنقيب الاثري.

اننا نعتقد ان النتائج المترتبة على النشاطات الميدانية مرتبطة بالاهداف والدوافع، لذا نحاول هنا استعراض عدد من جوانب البحث وتفسير الآثار الفلسطينية مع الاشارة الى الظروف السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في المنطقة العربية بشكل عام والمنطقة الفلسطينية بشكل خاص.

بدأ الاهتمام بالمخلفات الاثرية في فلسطين منذ العصور الوسطى ومع نهاية الحروب الصليبية التي دفعت عددا من المهتمين وذوي الاختصاص للتحرك الى البلاد المقدسة ليعودوا بتقارير تصف المعالم والمواقع الدينية، بأسلوب جاف يطغى عليه التعصب الديني، وأفضل هذه التقارير هي التي قدمها السويسري فيلكس شمت (Felix Schmidt) الذي زار فلسطين بين سنة 1480 ـ 1483، وكذلك الفيزيائي الألماني ليونهارد رواخ قولف (Leonhard Rauchwolf) الذي زارها سنة 1575 والذي أعطى وصفا لطبيعة وتضاريس المنطقة، وتضمن أيضا تصنيفا مفيدا للنباتات والاشجار التي كانت تنمو على الأرض الفلسطينية. وهناك تقارير ورسومات للمخلفات المعمارية قام بها كل من يوحان زولارت (Johan Zuallart) والهولندي يوحان فان كوتفيك (Johan van Kootwyck) من نهاية القرن السادس عشر.

ويلاحظ ازدياد الاهتمام في المنطقة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، حيث كتبت معظم التقارير الموجودة لدينا من قبل دارسي اللاهوت المتعصبين الذين انتقدهم الهولندي ادريان ريلاند (Adrian Reland) في مؤلفه الهام (Palaestina ex. Monumentis veterbus illustrats) (فلسطين مصورة من خلال معالمها القديمة) والذي صدر سنة 1709.

ومع بداية وحتى أواسط القرن التاسع عشر نجد تقارير تصف المباني الكلاسيكية وما بعدها بدقة أكثر ونخص بالذكر الالماني أورليخ يسبر زيتزن (Ulrich Jasper Seetzen) الذي تركزت تقاريره المفصلة حول شرقي الاردن والتي كانت هدف الرحالة السويسري يوحان لودفيج بوركهارت (Johan Ludwig Burckhardt) أول من قدم البتراء للعالم الغربي. وفي هذه الفترة تظهر لأول مرة اسماء انجليزية تبدي اهتماما بالمنطقة أمثال اربي (Herbi) وجيمس مانجلز (James Mangles) (1818 ـ 1817)، وبعد هؤلاء ببضعة سنوات بدأ النشاط الاميركي يلعب دوره في مجال الدراسات الأثرية الفلسطينية وذلك من خلال بعض علماء اللاهوت من بينهم ادوارد روبنسون (Edward Robinson) وزميله الي سميث (Eli Smith)، اللذين كانت لهما مهمة تبشيرية في منطقة فقاما بدراسات ميدانية سطحية لفلسطين كمحاولة لتثبيت وتسجيل المواقع التوراتية، وعلى ضوء هذه التقارير قام (ف.د.و. ساولسي) بدراسات مشابهة اتبعها بحفريات مبكرة في عدد من المواقع سببت له خيبة أمل اذ لم يكن باستطاعته ربط حفرياته بالنصوص التوراتية، الا انه عثر على عدد من المكتشفات الجدابة تم نقلها الى متحف اللوفر. وقد اعتبر ساولسي بأول منقب عصري في الساحة الفلسطينية.

وشهد النصف الثاني للقرن التاسع عشر تطورات هامة بما يتعلق واهتمام العالم الغربي لفلسطين، وقد تبلور هذا الاهتمام بتأسيس عدد من الجمعيات والمراكز غايتها استكشاف المواقع الاثرية الفلسطينية والارضية المتواجدة عليها، وأول هذه المراكز هو صندوق استكشاف فلسطين (Palestine Exploration Fund) الذي تم انشاؤه في سنة 1865 بلندن، ووضع مؤسسو الصندوق أهدافا واضحة، في مقدمتها ما نصه «الاستقصاء عن الاثار الجغرافيا : الجيولوجيا، والتاريخ الطبيعي في فلسطين» ومن مبادئها التي وضعها أول رئيس لها :

1 ـ يجب ان تقوم جميع نشاطاتها على أسس علمية.

2 ـ يجب ان تكون الجمعية كجسم واحد تتخطى التناقضات.

3 ـ يجب أن لا تبدأ الجمعية أو تقوم على أسس دينية. رغم ان النشرة التي أذاعت نبأ انشاء الجمعية بدأت بهذه الكلمات «يجب أن لا تحظى أي بلد باهتمامنا مثل تلك التي كتبت فيها وثائق ايماننا والحوادث التي تصفها» وحملت مجلة الجمعية (Quarterly Stetement) التي بدأت تصدر سنة 1869 عبارة «جمعية لأعمال لاستقصاء المنظمة والدقيقة المتعلقة بآثار وطوبوغرافية وجيولوجية والتاريخ الطبيعي وعادات وتقاليد الأرض المقدسة من أجل توضيح التوراة».

كما وكان الجو مهيئا لانشاء جمعية اميريكية (Palestine Exploration Society) على غرار الجمعية البريطانية، فتم تأسيسها سنة 1870 في نيويورك ولم تكتف هذه الجمعية بالاهداف التي رسمتها الجمعية البريطانية بل تعدتها باضافة عبارة لا جدال فيها وهي «الدفاع عن الكتاب المقدس» ووجه مؤسسها نداء الى الجمهور يقول «ان العمل المنوط بجمعية

الابحاث الفلسطينية ينادي الوجدان الديني سواء أكان مسيحيا أم يهوديا ... وأهميتها القصوى هو توضيح الكتاب المقدس والدفاع عنه. ان التشكيك الذي ظهر مؤخرا يهاجم الكتاب المقدس في موقع الحقيقة. لذا فان كل ما يجري للدفاع عن تاريخ الكتاب المقدس من حيث الحقيقة والزمان والمكان والظروف هو رفض لعدم الايمان. ويشعر المشرفون على الجمعية ان في الثقة (أو الايمان) خدمة جليلة للعلم والدين».

ومع أن هذه الجمعية لم تعمر طويلا، الا ان أهدافها ومنطلقاتها بقيت في اذهان الكثيرين من الامركيين الذين قاموا بنشاطات أثرية في فلسطين، هذا استنتاج لا شك فيه تستنبطه من المطبوعات الكثيرة المتواجدة بين أيدينا.

وفي نفس السنة ا لتي انشأت فيها الجمعية الامريكية قامت جمعية انجليزية أخرى هي جمعية الآثار الثوراتية (Society of Biblical Archacology) والتي كان لها اهدافا تشبه جمعية استكشاف فلسطين (PEF) مع فارق واحد وهو «ان هدفها الاثار وليس اللاهوت ولكنها ستتحقق غاية مهمة لعلم اللاهوت.

وفي سنة 1898 أنشأ الالمان الجمعية الالمانية الشرقية Deutsche Orient Gesellschaft برعاية القيصر الألماني والتي وجهت اهتمامها الى مناطق مختلفة في الشرق مصر والعراق وفلسطين، خاصة بعد ان تحسنت العلاقات الالمانية ـ التركية، ومن الملاحظ ان الذين باشروا عملهم في فلسطين في أوائل القرن العشرين أمثال ارنست سيلين (Ernst Sellin) وفاتسنجر (Watzinger) هم من المهتمين بالثوراة.

ولم تكن المدرسة الفرنسية في القدس (Ecole Biblique) تختلف في أهدافها ونشاطاتها عن الاميريكية والانجليزية، وأسست جميع هذه الجمعيات مراكز لها في القدس.

وقد تبع تأسيس هذه الجمعيات نشاط ملحوظ في حقل الاثار الفلسطينية وأعمال التنقيب والدراسات السطحية والتي هدفت بمجملها الى البرهنة على صحة الثوراة والحوادث التاريخية التي وردت فيها، وذلك من خلال ما يتم اكتشافه في المواقع الأثرية التي اعتقد انها مطابقة لاسماء المواقع التي ورد ذكرها في الثوراة. وكان يكمن وراء هذا الاعتقاد الايمان المطلق للثوارة لدى الباحثين الذين اعتبروا الثوراة المصدر التاريخي للمنطقة.

وعلى هذا الأساس تم اختيار المواقع للحفر فيها مثل الحفريات الأولى في موقع تل السلطان الذي أعتقد أنه أريحا (Jericho) التي ود ذكرها في الثوراة والتي هدم جدرانها يوشع بهون الهي، وقد لعب البحث عن هذه الجدران دورا هاما في تفسير الآثار التي كشف عنها في الموقع. وهذا الأسلوب في التنقيب والتفسير ينطبق على العديد من المواقع الأثرية الفلسطينية مثل : القدس، تل المتسلم (مجدو)، تل بلاطة (شكيم)، تل سيلون (Shilloh)، تل الجزر (Jozor)، التل (Ayy) وغيرها.

وقد ترتب على ذلك استعمال اصطلاحات وتقسيمات لحلقة التسلسل التاريخي تتفق مع المعطيات التوراتية، وليس مع المكتشفات وطبيعة موقعها حتى اننا نجد في هذه المرحلة المبكرة من أعمال البحث والاستقصاء الأثري اصطلاحات : اسرائيلي 1، 2، 3 (Israelite I, II, III) كأساس لحلقة التسلسل التاريخي. ولم تحظ المكتشفات من المراحل الحضارية المتأخرة أو التي تسبق اسم «اسرائيلي» باهتمام الباحثين والمنقبين، وكثيرا ما اختلط عليهم الأمر فصنفت هذه المكتشفات جميعها لتظهر تحت اسم «اسرائيلي» وقد انسبت جميع مكتشفات الألفين الأول والثاني ق.م. الى التوراة وفسرت على أساس ما ورد فيها.

ويظهر أن بعض هذه الجمعيات وضعت في خدمة الحكومات الغربية آنذاك والتي كان لها أطماع سياسية وعسكرية، فبعد تأسيس صندوق الاكتشافات الفلسطيني بلندن تم ارسال مجموعة من الضباط العسكريين بالقيام بأعمال التنقيب والمسح الأثري أمثال الكولونيل تشارلز وورن (Charles Warren) الذي حفر في القدس سنة)1867) و س. كوندر (C.R. Coder) وكتشنر (Kitchener) اللذين قاما سنة 1872 وحتى 1878 بعمليات مسح أثرية مفصلة تخدم مصالح الأثريين والعسكريين في آن واحد، وكانت التقارير عنها تجمع وتحفظ بحرص شديد من قبل القادة العسكريين لأهمية المعلومات فيها. واذا ما طالعنا مجلدات المسح الأثري الذي قامت به البعثات البريطانية والخرائط التابعة لها نجد فيها معلومات تفصيلية كثيرة ومركزة عن طوبوغرافية فلسطين مع قراها ومدنها ومواقعها الأثرية، كما أن الخرائط التابعة لها لتشكل أساسا لاحدث الخرائط التي أنجزت فيما بعد، وقد طبق هذا الأسلوب من الاستكشاف في البلدان العربية المجاورة التي لجأ إليها هي أيضا ا لعديد من باحثي التوراة كان لهم أثر على البحث التاريخي والأثري.

استمرت أساليب البحث والتنقيب بعيدة عن الأسس العلمية، رغم ازدياد الاهتمام بحفر المواقع، اذ قام الضابط الانجليزي فلندر بيتري (Flinders Pemtrie) بالتنقيب في موقع تل الحسي (1890) وحاول التمييز بين المراحل السكنية من خلال فصل البقايا المعمارية المتعاقبة كما لجأ إلى تصنيف المكتشفات من فخارية وغيرها تبعا لأشكالها وقد اعتبر هذا تطورا أكثر موضوعية من حلقة التسلسل التاريخي التي سار عليها أتباع المدرسة التوراتية. ومع أن بلس (Bliss) ومكالستر (R.A. Macalister) اتبعا أسلوبا مشابها أثناء حفرياتهم سنة 1898 ـ 1900 في مواقع جنوب فلسطين (تل الصافي، تل زكريا، تل جديدة)، إلا أنهما صنفا المكتشفات تبعا للعصور التوراتية التقليدية والتي كانت حتى سنة 1902 كالتالي :

عصر ما قبل الاسرائيليين المبكر حتى سنة 1500 ق.م.	
عصر ما قبل الاسرائليين المتأخر	1500 ـ 800 ق.م.
العصر اليهودي	800 ـ 300 ق.م.
العصر السلوقي	اعتبارا من 300 ق.م.

وبعد أن نقب ماكلستر (Macalister) في موقع تل الجزر (Gezer) في الفترة ما بين 1992 ـ 1909 أدخل على مكتشفاته اصطلاحات جديدة وهي سامي أول، سامي ثاني، سامي ثالث، وسامي رابع، الا أن هذا التصنيف الجديد كان مليئا بالمغالطات وكان خاليا من الدقة في تاريخ المكتشفات، بالاضافة الى عدم موضوعية تسميات العصور.

ورغم دقة الالمان أمثال سيلين وفاتستنجر في توثيق المكتشفات التي خرجت من أريحا، بلاطه، تعنك وتل المتسلم والتي نقبوا فيها في أوائل القرن العشرين. الا أنهم وقعوا بنفس الخطأ في تفسير الآثار المكتشفة وتسميات العصور عدا اضافة اسم كنعاني لأقدم المكتشات، وأجرت جامعة هارفرد الأمريكية حفريات مماثلة في موقع سبسطية باشراف جورج رايزنر (G. Reisner) والتي استمرت حتى سنة 1910.

ومع انتهاء الحرب العالمية الأولى والتي قضت على الحكم العثماني في المنطقة واستبداله بالحكم البريطاني الذي أصبح يقرر الاتجاهات الثقافية ومؤسساتها التي تسلم زمامها مختصون أنجليز، وكان من مهام هؤلاء طمس روح الثقافة الوطنية والمخلفات الحضارية المرتبطة بهذه الثقافة، ورافق ذلك وفاء الأنجليز بوعد بلفور سنة 1917، الذي قطعوه على الصهيونية بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

في سنة 1920 أسست حكومة الانتداب دائرة الآثار الفلسطينية رئيسها جون جارستانج (John Garstang) من جامعة ليفربول الذي أخذ يستقطب العاملين في الآثار من العالم الغربي قاموا بنشاطات واسعة النطاق في مجال التنقيب عن الآثار مع الابقاء على الأسلوب التقليدي في الحفر وتفسير الآثار وظلت المؤسسات الكنيسية والدينية والجمعيات السالفة الذكر هي التي تمول الغالبية العظمى من الحفريات والمطبوعات المترتبة عليها وكان لدائرة الآثار الفلسطينية مجلس استشاري أعضاؤه من البلدان الغربية ومن بينهم الصهيوني جوزيف كلاوسنر (Joseph Klausner) الذي كان يمثل مصالح اليهود في المجلس والذي لم يمثل فيه مصالح عرب فلسطين.

وتتميز هذه الفترة بنشاط ملحوظ للحركة الصهيونية من أجل توجيه المفهوم والفلسفة التاريخية في فلسطين لما يتفق وايديولوجيتها القائمة على انشاء دولة يهودية صرفة، فأخذت تبعث ببعض أعضائها وعملائها المهتمين الى فلسطين ولم يكن هؤلاء مختصون في الآثار حتى ان بعضهم كان بعيدا عن هذا الاختصاص فقطعوا دراستهم الأولى للالتحاق بمهامهم الجديدة التي تركزت حول تبعية اليهود في فلسطين وحقهم التاريخي فيها، ومن أشهر هؤلاء جوزيف كلاوزنر (Joseph Klausner) العيزر بن يهودا (Eliezer Ben Yehuda) العيز ليبا سوكنيك (Eliezer Lipa Sukenik) ومن ثم ابنه ييغائيل الذي أصبح فيما بعد أول رئيس هيأة أركان الجيش الاسرائيلي والذي غير اسمه فأصبح ييغائيل يادين (Yigael Yadin) وكذلك بن يامين مازار (Benjamin Mazar) والصهيوني الأمريكي المعروف نيلسون غلوك (Nelson

(Glueck مورد خاي نركيس (Merdacla Narkis) وليون ماير (Leon A. Meyer) وغيرهم. وقد لعب هؤلاء دورا كبيرا في تأسيس الجامعة العبرية بالقدس سنة 1925 والتي تفرع عنها معهد الدراسات اليهودية ومن ثم متحف الآثار اليهودية سنة 1941، كما وجد القادمون الأوائل من الصهاينة ضرورة تأسيس مؤسسة أطلق عليها اسم جمعية أبحاث فلسطين اليهودية كان من مهامها استقطاب الصهاينة ومن يتعاطف معهم وجمع الأموال لتوسيع نشاطهم الأثري وابراز ما أطلق عليه بالتراث اليهودي في فلسطين، وقد قامت هذه الجمعية في الفترة ما بين 1932 ـ 1940 بتنقيبات واسعة النطاق في موقع الشيخ ابريق غربي مدينة الناصرة باشراف ب. مايسلر (B. Maisler) وفي سنة 1944 أشرفت المنظمة نفسها على حفريات خرة الكرك جنوبي بحيرة طبرية. وفي الفترة ما بين 1931 ـ 1935 اشتركت الجامعة العبرية ممثلة من خلال مايسلر بحفريات سبسطية الى الشمال الغربي في مدينة نابلس وبالاشتراك مع المدرسة البريطانية للآثار والمدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية في القدس.

ولقد لقي قدوم الصهاينة ترحيبا كبيرا لدى العاملين في الآثار الفلسطينية وخاصة لدى الأمريكيين منهم وعلى رأسهم وليام أولبرايت الذي كان يتعاطف مع الحركة الصهيونية وأثناء عمله كمدير للمدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية في القدس في الفترة ما بين 1920 ـ 1935. استقبل العديد من الصهاينة المهتمين بالقضايا التاريخية والأثرية وأخذ يرشدهم للوصول لاهدافهم وينسق الأعمال والواجبات المنوطة بهم فكان تركيزهم على تاريخ اليهود في فلسطين، وخير مقال حول النشاط الصهيوني هو بقلم أولبرايت نفسه بعنوان «مثل الآثار عند الاسرائيليين» (The Phenomenon of Israeli Archacology كتبه تخليدا لنلسون غلوك الذي كان له نشاط كبير في خدمة الصهيونية وحيث يبدي اعجابه الكبير بمبادرة الصهاينة. ومن ثم بجهود الاسرائيليين في حقل الآثار، وقد قوبل موقف أولبرايت بتقدير كبير لدى الصهاينة والاسرائيليين فأصدروا مجلدا كبيرا (Eretz Israel, Vol. 9) في ذكرى وليم أولبرايت بعد وفاته، ولا عجب اذا حمل هذا المجلد في مقدمته عبارة : «وجد الشعب اليهودي واسرائيل في أولبرايت صديقا وفيا حقا قلما وجدوا مثله في السنين الماضية وحتى الآن». الآن».

لم يكن هذا النشاط الهادف للصهاينة يتناقض مع باحثي الثوراة والعاملين في حقل الآثار منهم بل على العكس فقد استغل الصهاينة أسلوب الآثاريين التوراتيين في البحث عن شواهد أثرية تدعم العهد القديم ووضعوه في قالب يخدم أهدافهم تماما وساعدهم أسلوب البحث المتحيز هذا في تقديم ونشر ما أسماه الصهاينة بالحق التاريخي وأصول اليهود البعيدة في فلسطين ولقي هذا الحق المزعوم تفهما كبيرا لدى الرأي العام العالمي الذي لم يكن على علم بالحضارة العربية في فلسطين والتراث الحضاري الطويل الذي شهدته المنطقة.

وقد انتقد بعض الباحثين التوراتيين من الألمان أمثال البريشت ألت (Albercht Alt) ومارتن نوث (Martin Noth) هذه الطريقة المتطرفة في تفسير الآثار المكتشفة وربطها

بالحوادث التوراتية بأي ثمن وأشاروا بضرورة الالتفاف الى المصادر التاريخية القديمة الأخرى التراتية، ويعود موقف هؤلا الألمان الى عدم الجمع بين البحث التوراتي والحفريات الأثرية لما في ذلك من تحيز في تفسير المكتشفات.

كما تجدر الاشارة هنا الى الحفريات التي قام بها معهد الدراسات الشرقية التابع لجامعة شيكاغو الأمريكية في موقع تل المتسلم (1925 ـ 1939) لقيت معارضة من وليم أولبرايت وأتباعه من المدرسة التوراتية بسبب الاختلاف في المنطلقات والأهداف، اذا لم تقم بعثة شيكاغو بدافع ديني ولم يكن هدفها الرئيسي استجواب الموقع من خلال التوراة، بل حاول القائمون عليها البحث والتنقيب بأسلوب أكثر جدية بتفسير ما كشف عنه من خلال موقع كل أثر من الطبقات السكنية وتدل نتائج التنقيب والمطبوعات الصادرة عنها على طريقة أكثر موضوعية في توثيق المكتشفات ومعالجة جميع المراحل الزمنية التي نشرت عن الموقع وحسبما أخرجتها الحفريات سواء بسواء. الا أن هذه الطريقة الأمريكية اقتصرت على بعثة شيكاغو ولم تتعداها الى البعثات الأمريكية الأخرى.

وهنالك ظاهرة جديدة لدى الآثاريين الأنجليز برزت منذ أن تم تأسيس معهد الآثار التابع لجامعة لندن والذي كان يرأسه جوردن تشايلد (Gordon Childe) الذي رفض مثل هذا الأسلوب التقليدي في البحث وأكد على أهمية البحث عن الآثار على أساس المادية التاريخية كمنطلق للتطور الحضاري وضرورة تكريس جميع الوسائل العلمية للكشف عن الآثار ومعالجتها من خلال وظيفتها واطارها العام المرتبط بطبيعة المجتمع الذي وجدت فيه. وقد أثر جوردن تشايلد على عدد من تلاميذه مثل كاتلين كنيون (Kathleen Kenyon) لاتباع مثل هذه الطريقة المتقدمة بالبحث الأثري، وكان للأخيرة نشاط بارز في حقل الآثار الفلسطينية يتميز على من عاصرها في دقة الحفر، ورغم أن تطلعاتها في الآثار بقيت في ا طار التكفير المثالي، الا أن تحذيرها من الوقوع في خطأ الربط بين الحفريات الأثرية والحوادث التوراتية، له أهميته وتأثيره على عدد من تلامذة كنيون الذين مازالوا يعملون في هذا المجال.

في فترة ما قبل الحربين تم الحفر في عشرات المواقع الفلسطينية قام بالاشراف عليها مؤسسات متعددة الجنسيات، خاصة الانجليزية والأمريكية، ولا مجال لسردها والدخول في تفصيلاتها هنا الا أنه يتوجب القول أن الأسلوب التقليدي في البحث والتنقيب بقي غالبا رغم دخول عناصر جديدة كان لها تأثيرها على تغيير بعض مفاهيم التطور الاجتماعي والتاريخي مضافا اليها وسائل التنقيب الحديثة وتراكم المكتشفات الأثرية التي أرغمت العديد من العاملين في الآثار الفلسطينية والشرقية القديمة الى القاء ضوء جديد على حلقة التسلسل التاريخي، اذ أصبح بغير الامكان التمسك بالتقسيمات الحضارية التي أرادها أصحاب المدرسة التوراتية، وأصبح هناك اهتمام نسبي بالعصور التي سبقت النصف الأول من الألف الثاني ق.م. ابتداء من العصور الحجرية، الا أن المؤسسات والجمعيات التقليدية ظلت تحتكر البحث والتنقيب الى حد بعيد وظلت تربي أجيالا تسير على الطريقة القديمة وأصبحت المواقع التي عاصرت فترات

ما قبل التاريخ وحتى العصور البرونزية تعاني من قبل هؤلاء، وكثيرا ما قاست هذه المخلفات الحضارية من تفسيرات خاطئة، اذ كثيرا ما أجريت محاولات للربط بينها وبين ما سمي بالفترة التراتية خاصة بعد أن غدا حقل الآثار الفلسطيني مفتوحا على مصراعيه أمام المنظمات الصهيونية وأخذت تخطط بشكل منظم لخلق صورة تاريخية تتفق وأهدافها العدوانية والعنصرية، والتي أصبحت تعمل مع المؤسسات والبعثات الغربية لتحقيق ما تريده. ولم تحظ المخلفات الحضارية العربية باهتمام يذكر أمام زحف هذه المنظمات والتي مما لا شك فيه كانت تهدف الى خداع الرأي العام العالمي بضعف أو حتى عدم تواجد أسس للحضارة العربية في فلسطين فكثيرا ما أخفيت مخلفاتها في تقارير المنقبين أو أنها ذكرت على هامش هذه التقارير. ولسوء حظ هذه الحضارة أنه لم توجد طوال هذه الحقبة الطويلة مؤسسة عربية واحدة ترعى شؤون الآثار العربية في فلسطين، حتى ان السجلات والتقارير تكاد تخلو من أسماء عربية تهتم بهذا الأمر. رغم أنني لست من أنصار ممارسة تاريخ الأمجاد، الا أنه للموضوعية يجب القول ان جو البحث الأثري كان قاسيا جدا على الحضارة العربية ومهيأ بل ومركزا لخدمة غايات دينية وعسكرية أولا ومن ثم أهداف سياسية صهيونية استعمارية تم التخطيط لها بحنكة وعلى نطاق واسع.

وما أن جاءت سنة 1948 بانسحاب قوات الانتداب البريطاني عن المنطقة التي خلقت فيها اسرائيل ضمن الحدود التي سبقت عدوان 1967 حتى انشئت دائرة الآثار الاسرائيلية ومعها العديد من المعاهد الجامعية والجمعيات التاريخية والأثرية التي أخذت على عاتقها القيام بالنشاط الأثري والتاريخي بشكل أوسع ضمن الاطار الثقافي للنظام الاستيطاني العنصري الجديد، الذي أصبح بمقدوره انتقاء المعاهد والمؤسسات الغربية ا لتي تسير موازية لهذا التيار، وأخذت تفرض على البعثات الأثرية، التي تستغني الآن عن تعدادها، أسلوب التنقيب والنتائج المترتبة عليه.

ومما يلفت النظر أن جميع المواقع الأثرية في فلسطين أخذت تحمل أسماء عبرية لابعاد الصبغة العربية عنها لتربط التاريخ الاسرائيلي، وأصبح كل موقع تقريبا يمثل بطولات وأمجاد أو محنة لليهود من أجل تقوية الروح العنصرية وجلب المزيد من المهاجرين من ناحية ومحاولة كسب عواطف الرأي العام الغربي من ناحية أخرى، فلا عجب اذا قيل بأن الآثار كما تفهمها الصهيونية مدرجة في اسرائيل ضمن مادة ما يسمى بالتربية الوطنية.

ان نظرة سريعة على تقارير الحفريات والمكتشفات الاسرائيلية وكذلك المطبوعات الأثرية العامة فأول ما يسترعي الانتباه أن نتائج الحفريات التي أجريت في المواقع القديمة تظهر تحت مقالات وملاحظات قصيرة، خاصة اذا ما قورنت بالمواقع المصنفة تحت اسم «توراتي» والتي يجري نشرها بشكل مبالغ فيه وبلغات متعددة، وبصورة أوضح فان الغالبية العظمى من هذه المطبوعات التي تضاهي بجودة طباعتها وصورها وأسلوب نشرها المطبوعات الغربية، وتظهر وكأنها تربط تاريخ امجاد اليهود بأهداف الحركة الصهيونية والكيان الاسرائيلي وغذا أسلوب

البحث الأثري يتضمن بوضوح النوايا العدوانية لاسرائيل وتبرير سياسة التوسع الصهيوني بحجة انقاذ الآثار اليهودية التي لا يستطيع أحد تحديد المنطقة التي تتواجد عليها.

بهذا النهج المتطرف في هذا الآثار وخلطها بالسياسة الصهيونية والحياة اليومية في اسرائيل يستغرب الانسان اصدار تقرير أثري دون أن يكون منسوجا بالدعاية والفلسفة الصهيونية التي تقف سدا أمام الناشئين من الآثاريين العاملين لدى اسرائيل ويرفضون المفهوم الصهيوني في كتابة التاريخ.

وبعد العدوان الاسرائيلي لعام 1967 وقعت ا لأرض الفلسطينية بأكملها ومعها أجزاء أخرى من الوطن العربي (الجولان وسيناء) تحت الاحتلال الصهيوني الذي أخذ ينشط من خلال مؤسساته الأثرية والدينية بتقديم المناطق المحتلة وكأن لتاريخها صبغة يهودية من أجل تبرير العدوان والاحتلال، وأخذت هذه السلطات تمارس سياسة أثرية مخالفة للأعراف والقواعد الدولية فأخذت تقوم بأعمال ميدانية في جميع المناطق المحتلة وفي مقدمتها القدس حيث أجرت العديد من الحفريات وأعمال المسح الأثري التي أخذت تفسر نتائجها وكأنه حق قديم أسردته الصهيونية لليهود، وأخذت تهيئ المتطرفين من اليهود لاقامة مستوطنات فوق المواقع الأثرية والتاريخية وحاولت طمس الصبغة العربية على العديد من هذه المواقع وغيرت أسماءها بشكل يسهل ربطها بالتوراة، وقامت بطرد الآثاريين العرب في المناطق المحتلة.

ولما كانت السلطات الاسرائيلية تحاول فرض سيطرتها لاتباع اسلوبها في البحث والتنقيب عن الآثار حتى على المؤسسات الأثرية الاجنبية مما ولد ردود فعل لدى المشرفين والعاملين في هذه المؤسسات، فأخذ بعضهم أمثال بول لاب ديقو وكاتلين كنيون موقفا ناقدا للسياسة الاسرائيلية في السنوات التي تلت عدوان 1967، فأوقفت السلطات الاسرائيلية أعمالهم الميدانية.

هناك ظاهرة ايجابية جديدة طرأت في الستينيات على أسلوب البحث من خلال التنقيبات الأثرية في موقع تل دير علا في تحو الأردن والتي أشرف عليها هانك فرانك استاذ الآثار الفلسطينية بجامعة لايدن الهولندية، فأظهر فرانكن موقفا جريئا معاكسا لاسلوب البحث التوراتي والصهيوني معا، وبنى تفسيره على الشواهد والوثائق الأثرية وقام بتصنيف المكتشفات بناء على كيفية صنعها ووظيفتها ورفض نظريات باحثي التوراة المتعلقة بالموقع وكذلك أسلوبهم في التفسير بشكل عام. ويمكن الاطلاع على نظرية فرانكن من خلال عدد من الابحاث تم نشرها في السنوات الأخيرة.

ومن الناحية الأخرى فلم يكن بين العرب الا قلة قليلة تهتم بالآثار الفلسطينية وظلت دائرة الآثار في الجزء المتبقي من فلسطين الذي انضم الى شرقي الاردن بعد تأسيس الكيان الصهيوني في أيدي الانجليز الذين استمروا في مقاومة الثقافة الوطنية، ولم يكن حتى نهاية الخمسينات من الفلسطينيين والأردنيين الا بضعة أشخاص يستطيعون ممارسة البحث والتنقيب

الأثري، وفي ظل إدارة الآثار الانجليزية ظل الآثاريون الغربيون التقليديون، وخاصة التوراتيون منهم، هم الذين يقومون بأعمال التنقيب والبحث حتى في الجزء غير المحتل من فلسطين، وكثيرا ما كانت تقاريرهم ونتائج حفرياتهم مغرضة ومعادية للعرب.

ومما يحز في النفس أنه لا توجد أي جامعة عربية تخص الآثار الفلسطينية في أحد أقسامها كما أنني لا أعرف أي مكتبة عربية متخصصة كانت أم غير متخصصة تضم أكثر من خمسين بالمائة من مراجع الآثار الفلسطينية كما لم يسبق للدول العربية أو أية هيئة عربية عقدت مؤتمرا أو ندوة عن الآثار الفلسطينية، ويظهر أنه لم يكن بمقدور منظمة التحرير الفلسطينية القيام بأي عمل من هذه المهام.

نحن مطالبون بانشاء مركز للدراسات الأثرية والتاريخية والفنون الشعبية والثقافية الفلسطينية يضم مختصين أكفاء وأقساما مختصة ومكتبة تحوي أكبر عدد ممكن من المراجع، كذلك نحن مطالبون بانشاء جمعية تاريخ وآثار فلسطين.

المراجع :

G.E. WRIGHT Archacological Methode, in Palestine, au American Interpretation, EI 9 (1969), 120-133.

Ibid The Phenomenon of American Archacology in the Near East, N E A T C, Essays In Honor Of Nelson geneck edited by James A Sanders (1970), 3-40.

W.F. Albright The Archacology of Palestine, Penguin Book.

Ibid The Phenomenon of Israeli Archacology, NEATC, 57-63.

Kathlen Kenyou Excavation Methods in Palestine, pEQ (1939) 29-37.

Ibid Archacology in the Holy Sand.

Roland de Vaux On Right and Wrong Uses Of Archacology, NEATC, 4-80.

Albrecht Alt Die Landnalime der Israeliten in Palestina (1925) Kleine Schriften I (1953), 89-125; Erwägungen über die Landnahme der Israeliten in Palästina, PJB 35 (1939), 8-63.

Martin Noth Grundsätzliches zur Geschichtlichen Deutung archäologischer Befunde auf dem Boden Palästinas, Anfsätre zur biblischen Landes — und Altertumskunde I, 3-16; Hat die Bibel doch Recht, cit!; 17-33; Der Beitrag der Archäologie zur Geschichte Israels, cit, 34-51.

Lient. C.R. Conder[3] The Surreg of Western Palestine

Lient. H. H. Kitchener

Palestine Exploration Fund

Bulletin Of the American Schools of Oriental Research

Revue Biblique

Zeitschrift des Deutschen Palästina Vereins

Israel Exploration Journal

Bulletin of the Israel Exploration Society.

الندوة الدولية عن الآثار الفلسطينية

الدكتور معاوية ابراهيم

أهداف الندوة :

تهدف الندوة الى تقييم الابحاث والأعمال الميدانية الأثرية التي أقيمت في فلسطين مع اعادة النظر في تفسير الآثار الفلسطينية والكشف عن حقيقة المفهوم الصهيوني لطبيعة المخلفات والمكتشفات الأثرية من وجهة نظر علمية، يمكن من خلالها استقطاب المهتمين والباحثين خاصة.

المعارضين منهم للمفهوم والايديولوجية الصهيونية

يجب أن تتضمن الندوة الموضات المنوه عنها للتعريف على المخلفات الحضارية الفلسطينية عبر مختلف العصور سواء بسواء، ابتداء من عصور ما قبل التاريخ وحتى العهد العثماني، واعطاء الحضارة العربية الاسلامية في فلسطين حقها في البحث والاستقصاء بعد أن قاست هذه الحضارة بسبب اسلوب البحث المتحيز ومحاولات الاستعمال والصهيونية لطمس الثقافة العربية.

دفع الباحثين، خاصة العرب منهم، لتوجيه اهتمام وعناية أكثر الى البحث الأثري في فلسطين والمساهمة في نشر الوعي الحضاري بين الجمهور العربي على أسس علمية بعيدة عن المغالطات والتحريف نتيجة لنشاط الصهاينة واصدقائهم.

من الممكن ان تفتح هذه الندوة آفاقا جديدة في تصورنا عن الآثار الفلسطينية وأسس معالجتها والبحث فيها، كما وقد تدفع العديد من الأجانب المهتمين بهذا الحقل، وبشكل خاص اللذين مازال لهم نشاط في البلدان العربية، لاتخاذ موقف مبدئي أكثر صلابة في تبني الأسس العلمية ودحض المفاهيم الصهيونية والحق التاريخي المزعوم، فتكون الندوة بذلك قد حققت هدفا سياسيا.

مضمون الندوة :

بناء على المقدمة التي وضعتها عن تاريخ البحث وتفسير الآثار الفلسطينية ونظرا لوجود جميع الأرض الفلسطينية تحت الاحتلال الاسرائيلي فانني أرى ضرورة انعقاد ندوة دولية عن الآثار الفلسطينية تكون بعيدة عن العاطفة والارتجال.

كما واقترح أن يتم التركيز على الجوانب النظرية المتعلقة بالآثار الفلسطينية لتضم العناوين التالية :

1 ـ تاريخ البحث وتفسير الآثار الفلسطينية ويتفرغ عنها :

أ) دور الدراسات التوراتية على الآثار الفلسطينية.
ب) الصهيونية والآثار الفلسطينية.
ج) اسرائيل والآثار الفلسطينية.
د) الآثار الفلسطينية من خلال التنقيبات الأثرية.
هـ) الأسس التي تقوم عليها الأبحاث الأثرية الفلسطينية.
و) المعاهد والمراكز والجمعيات ودور النشر المختصة والمهتمة بالآثار الفلسطينية في العالم العربي والدولي.

2 ـ حلقة التسلسل التاريخي على ضوء المكتشفات الأثرية في فلسطين :

أ) عصور ما قبل التاريخ.
ب) العصور القديمة ابتداء من العصر الحجري الحديث وحتى النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد.
ج) المراحل الكلاسيكية : يونانية، رومانية، بزنطية.
د) العصور العربية والاسلامية.

3 ـ التبادل الحضاري بين فلسطين والبلدان الأخرى، خاصة المحاورة، عبر مختلف العصور.

4 ـ المصادر التاريخية المتعلقة بالآثار الفلسطينية وتصنيفها، ويضم هذا الموضوع المصادر الأشورية والمصرية والعربية القديمة، وكذلك النقوش والكتابات تبعا لتواجدها في الحقب الزمنية المختلفة.

مكان انعقاد الندوة

اقترح ان يكون الكويت مكانا لانعقاد الندوة، وأن تكون جامعة الكويت ودائرة الآثار الكويتية المؤسسات المضيفة.

فترة انعقاد الندوة : اسبوع واحد (ثمانية أيام).

تاريخ انعقادها

في النصف الأول من شهر شباط لعام 1978 لعامل الطقس وكون غالبية المعاهد والجامعات في عطلة فصلية ليتمكن الباحثون من المشاركة فيها.

ولدى الموافقة على مثل هذا الاقتراح تتولى المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم اجراء الاتصالات اللازمة مع جامعة الكويت ودائرة الآثار الكويتية، وأرى ان يتم الاشراف على الاعداد التنفيذي لها من خلال جهاز مؤلف من سبعة أشخاص من بينهم مندوب المنظمة العربية للثقافة ... وآخر من منظمة التحرير الفلسطينية ومدير الآثار الكويتي وأحد أساتذة التاريخ في الجامعة الكويتية، وثلاثة اخصائيين من العرب في الآثار الفلسطينية، مهمتهم اجراء الاتصالات مع الباحثين العرب والأجانب وباصدار التعاميم اللازمة وتوجيه الدعوات لمن يقع عليهم الاختيار.

وترتبط بهذا الجهاز هيئة سكريترية لتسهيل المراسلات مع عضو دائم من الاخصائيين الثلاثة يتم اختياره من قبل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ويفضل ان يكون ممن لهم نشاط ملحوظ في الآثار الفلسطينية وله اتصالات مع المؤسسات والعاملين في هذا الحقل.

ويفضل توجيه الدعوات مباشرة إلى أصحاب الاختصاص قبل موعد انعقاد الندوة بثمانية أشهر حتى يتمكن كل واحد من اعداد البحث اللازم. ويفضل اشعار الباحثين بموضوعات الندوة في أول تعميم يصدر عنها حتى يتسنى تغطية غالبية الجوانب المتعلقة بالآثار الفلسطينية.

يتم نشر الابحاث المقدمة من قبل المؤتمرين في مجلد واحد يطلق عليه اسم الندوة الدولية الأولى للآثار الفلسيطينية، تتولى اللجنة المختصة باصداره.

تضع اللجنة المشرفة توصيات وتقييما عن مدى نجاح الندوة وامكانية انعقاد ندوة أخرى بعد فترة زمنية معينة، أو حتى عقدها بشكل دوري ويكون لها لجنة دائمة من المؤسسات العلمية العربية والباحثين المختصين فيها.

والقائمة المدرجة أدناه تبين الباحثين من مختلف الجنسيات الذين اقترح دعوتهم لحضور الندوة، على أن يعد كل واحد منهم بحثا عن الموضوعات المدرجة في جدول أعمال الندوة، ورغم ان هؤلاء غير متجانسين في مواقفهم وفي الأسلوب العلمي الذي يتبعونه، إلا أنني راعيت في ذلك تعاونهم المتفاوت والنسبي مع المؤسسات العربية والنشاطات الأثرية التي يقومون بها في العالم العربي، وان حكمي عليهم نابع من ابحاثهم واتصالاتي الشخصية بالعديد منهم كما وأخذت بعين الاعتبار مدى اهتمامهم واختصاصاتهم المتنوعة، ولا بدّ أن في أذهان السادة اللذين يحضرون المؤتمر الثامن للآثار العرب أسماء أخرى يودون اضافتها الى هذه القائمة.

كما واقترح أن يوصي المؤتمر بحث أكبر عدد ممكن من الباحثين العرب للمشاركة في أعمال هذه الندوة.

الدكتور عبد الكريم غرايبة (عمان)
الدكتور محمد العزيز الدوري (عمان)
الدكتور عدنان الحديدي (عمان)
الدكتور فوزي زيادين (عمان)
الدكتور خير ياسين (عمان)
الدكتور عاصم برغوتي (عمان)
الدكتور نبيل خيري (عمان)
الدكتور ديمتري برامكي (عمان)
السيد محمود العابدي (عمان)
السيد مصطفى الدباغ (الرياض)
الدكتور محمود الغول
الدكتور صفوان التل (عمان)

الدكتور أحمد شبول (عمان)
السيد زيدان كفافي (عمان)
الدكتور معاوية ابراهيم (عمان)
الدكتور عفيف بهنسي (دمشق)
السيد عدنان البني (دمشق)
السيد شوقي شعث (حلب)
الدكتور نبيه عاقل (دمشق)
السيد عبد الله المصري (الرياض)
الدكتور عبد الرحمن الانصاري (الرياض)
الدكتور عيسى سلمان (بغداد)
الاستاذ فؤاد صفر (بغداد)
الدكتورة سعاد ماهر (القاهرة)

André Dupont-Sommer
Secrétaire Perpétuel de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.

Institut de France
Quai Conti
75006 Paris

Jean Starcky
2, Place du Louvre
75001 Paris

Jeanine et Dominique Sourdel
7, rue Abel
75012 Paris

J. T. Milik
43, Avenue du Maine
75014 Paris

Henri de Contenson

Maxime Rodinson
27, rue Vaneau
75007 Paris

J. L. Huot
16, rue du Val de Grâce
75005 Paris

J. M. Dentzer
52, Bd Arago
75013 Paris

N. Eliséef
Université de Lyon-Lyon

P. Bordreuil
Collège Protestant — Beyrouth Lebanon

J. Tournay East Jerusalem

Miss Anastasia Metralaxis	(Chicago)
Hele Kantor	(Chicago)
Gelb	(Chicago)
Robert Scranton	(Chicago)
James Pritchard	(Pennsylvania)
Tom Mclenanan	Pennsylvania)
Rudolf Dornemann	
Graber	(Michigan)
Nancy Lapp	(Pittsburg)
Rogers Boraas	(Upsala)
James Saner	(Acor-Amman)
Thomas Schanb	(Indiana)
Walter Rast	(Indiana)
Philip Hammond	(Utah)
Robert Smith	(Wooster College)
Marshal Martin	
G. Lankester Harding	(BSA — Amman)
Crystall Bennett	(BSA — Amman)
Kathleen Kenyon	(Oxford)
Peter Parr	(London)
Kay Wright/Prag	(Manchester)
J. Hamilton	(Oxford)

Diana Kirkbride	(London)
Olga Taffuell	(London)
Svend Helms	(BSA)
Basel Honnesy	(Australia)
Herbert Donner	(Tübingen)
Wolfgang Rollig	(Tübingen)
Hartmut Kühne	Tübingen)
Arnold Kuschke	(Tübingen)
Siegfried Mittmann	(Tübingen)
Manfred Weippert	(Utrecht)
August Strobel	(Nürnberg)
Helck	
Ute Lux	(Amman)
Hans Jürgen Nissen	(Berlin)
Eva Strommenger	(Berlin)
D. Sürenhagen	(Berlin)
Kaiser	(Cairo)
Horst Klengel	(Berlin)
Evylin Klengel	(Berlin)
Fran Rost	(Berlin)
Hank Franken	(Leiden)
Cerit Van der Kooj	(Leiden)
Vera	(Leiden)
Hoftheyter	(Leiden)
P. Mathaie	(Rome)
S. Moseati	(Rome)
G. Pattinate	(Rome)

الاعـــــداد
لعقد ندوة دولية عن الآثار الفلسطينية

الدكتور عز الدين اسماعيل غربية
رئيس وحدة المواد الاجتماعية
مركز بحوث المناهج ـ دولة الكويت

مقدمـــــة :

ان الاثريات التي خلفتها حضارة الشرق الأدنى القديم-تثبت ان فلسطين تحتل مكانة هامة بين بلدانه الكبرى، فقد وجد فيها «انسان الكرمل» أو «انسان فلسطين» الذين يعده العلماء وكبار الباحثين حلقة الاتصال بين الانسان البدائي والانسان العاقل الأمر الذي يعطي الدليل البرهاني القاطع على ان فلسطين العريقة من أقدم مواطن الانسان.

كما تشير الأدلة الأثرية المختلفة التي عثر عليها في مناطق مختلفة من فلسطين إلى وجود حضارة فلسطينية تمتد عبر العصور المختلفة، الا ان الدراسات والبحوث التي أجريت في هذا الميدان لا تكافىء الثقل العلمي الذي يستوعب الدراسات التحليلية لجوانب هذا الموضوع على المستوى المحلي والعالمي.

ومن هنا تبرز أهمية هذه الندوة التي بادرت المنظمة العربية بالدعوة إليها ولذلك فان القاء الأضواء حول نشأة هذا الشعب وتاريخه تعتبر ركيزة أساسية في هذا البحث.

ولكي تأخذ دراسة الآثار الفلسطينية وجهها العلمي لابد ان تستوعب جوانب شتى من البحث والتحليل يمكن بسطها على النحو التالي :

أولا : توضيح مفهوم الشعب الفلسطيني :

ان اسم فلسطين وان كان اسما حديثا نسبيا يرجع إلى منتصف الألف الأولى ق.م، إلا أن تاريخ هذا الشعب يسبق ذلك بما يزيد عن الفين وخمسمائة عام.

ولتوضيح مفهوم الشعب الفلسطيني توضيحا يكشف عن موطنه وأصله وبداية تاريخه وكيف تداولت عليه الأحداث منذ نشأته حتى وقتنا الحاضر ينبغي أن تلم الدراسة بالمجالات التالية :

أ) دراسة المجال الزمني منذ نشأة الأصول الحضارية الفلسطينية واسهامها في الحضارة الانسانية عبر العصور المتتابعة.

ب) دراسة الآثار التي خلفها الانسان الفلسطيني في عصور ما قبل التاريخ.

ج) دراسة مسيرة هذا الشعب وحضارته في مرحلة العصر التاريخي (3000 ق.م) الذي برزت فيه الحضارة السامية الكنعانية العربية.

د) دراسة المد السامي العربي الذي التحم بهذه الحضارة على مدى الألفين الثانية والأولى ق.م (ارامين ـ انباط ـ وغيرهم).

هـ) دراسة العناصر الوافدة على هذه الحضارة من خلال الغزو الأجنبي الذي يتضمن ما يلي :

- الغزو الهندو اوربي (الآتي من بحر ايجة)
- الغزو اليهودي (النبي موسى وقومه)
- الغزو الفارسي
- الغزو اليوناني
- الغزو الروماني

و) الفتح العربي الاسلامي في القرن السابع الميلادي.

ثانيا : تحديد مفهوم الآثار بصفة عامة وآثار الشعب الفلسطيني بصفة خاصة :

المفهوم التقليدي لمصالح الآثار قد يوحي باقتصارها على الآثار المادية مغفلا الآثار الحضارية والاجتماعية والثقافية بمفهومها الواسع. فالآثار بمفهومها الواسع لا تقتصر على المخلفات المادية من بقايا بشرية وأدوات حجرية ومعدنية وأوان فخارية وخشبية وغيرها من المخلفات التي تركها الانسان الفلسطيني في ارض فلسطين، بل تشمل الآثار الفكرية والاجتماعية التي قامت بين المجتمع الفلسطيني والمجتمعات المجاورة (وادي النيل) وادي الرادفين ـ جزائر بحر ايجة ـ الفرس ـ اليونان ـ الرومان..) لا من حيث انها أثرت في فلسطين فقط بل من حيث تأثيرها وتأثرها معا.. اذ ان الحياة تأثر وتأثير.

وفي ضوء اتساع مفهوم الآثار بشموله الآثار المادية والآثار الاجتماعية والفكرية جميعا : من لغة ودين وثقافة وغيرها من سائر العلاقات، يمكن تحديد مجالات الدراسة في هذه الآثار بصورة أكثر شمولا وعلمية على النحو التالي :

أ) الآثار المادية

ب) الآثار الثقافية وذلك من حيث مدى انتشار كل منها ودلالاتها على التفاعل مع الحضارات الأخرى سواء عن طريق الجوار أو التفاعل أو الغزو أو غيرها.

ثالثا : تقويم الآثار الفلسطينية :

ان قيمة دراسة الآثار الفلسطينية ترجع إلى انها تعكس قصة حياة الشعب الفلسطيني ودوره الحضاري بين قطبي الحضارة المجاورين في العراق ومصر وعلاقاته المتبادلة.

هـ) تهيئة المناخ العلمي السليم لدراسة جديدة عن الحضارة الفلسطينية على أساس دراسة علمية تعد مرجعا اصيلا للدارسين والباحثين يقوم على أسس وحقائق صحيحة وثابتة.

رابعا : تحديد مواقع الآثار الفلسطينية وأماكنها الحالية :

تنتشر الآثار الفلسطينية منذ أقدم عصور التاريخ في أماكن متعددة في فلسطين وخارجها، ويقع جانب كبير منها حاليا تحت سيطرة العدو. ولابد من تحديد لمواطنها ومواقعها في كل مكان، ولابد كذلك من تقسيمها علميا وفق المفهوم الذي أشرنا إليه، بحيث لا تقتصر دراسة هذه الآثار المادية وما تكشف عنه من حضارة الشعب الفلسطيني منذ تاريخه القديم، وانما تمتد لتشمل اثاره الحضارية والفكرية والثقافية والاجتماعية التي واكبت علاقاته عبر هذه الأزمان الطويلة بالشعوب المجاورة تأثيرا وتأثرا وأخذا وعطاء.

وهذا ما ذكرنا أمر يحتاج إلى دراسات علمية مستفيضة وخبرة عميقة بالمجالات التالية :

أ) المجال المحلي داخل أرض فلسطين ومتاحفها.

ب) المجال المجاور وبخاصة مصر وسوريا ولبنان والعراق

ج) المجال العالمي (مما نقل إلى المتاحف العالمية أو هرب للخارج)

د) اعادة النظر في المصادر الكلاسيكية المتوفرة : من يونانية ورومانية وبعض النقوش الكنعانية القليلة وذلك بالاضافة لما جاء في العهد القديم ورسائل تل العمارنة وكتابات أوغاريت.

خامسا : دراسة المشكلات التي تواجه الباحثين في مجال الآثار الفلسطيني :

لابد عند دراسة المشكلات التي تواجه الباحثين في الآثار الفلسطينية ان يتم أولا تحديد أماكنها المختلفة داخل فلسطين المحتلة وخارجها، والاحاطة بما قام به العدو من جهود منظمة

ومقصودة للاستيلاء عليها وحبسها وتزويدها مما يعرض الباحثين في مجالها لمشكلات وصعوبات متعددة تستحق أن تكون موضع دراسة علمية أساسية في هذا المجال سعيا إلى بيان متكامل عنها يتضمن الحلول المناسبة.

ذلك بالاضافة إلى ان عمليات التنقيب عن الآثار في فلسطين لم تحظ بمجهودات أو امكانات كبيرة في القرن الماضي بسبب الظروف السياسية التي مرت بها بل ان الجهود التي بذلت في هذا المجال كانت ذات أهداف سياسية وكانت تستتر بأعمال التنقيب وقد انطلقت المؤسسات المختلفة التي قامت في التنقيب من منطلق سياسي موجه من الاستعمار والصهيونية حيث اهتم معظمهم بحقبة محدودة جدا من أرض فلسطين. بل ان بعضهم قد أوغل أبعد من ذلك فقام بتزوير الحقائق التاريخية والمخلفات الأثرية بنسبها إلى أحقاب غير أحقابها الحقيقية.

وبالاضافة إلى أن أرض فلسطين كانت موطن صراع دائم بين القوى الرئيسية المحيطة بها مما جعل فرص بقاء أي مخلفات هامة على هيئة نصوص أو مبان أو قطع فنية ضئيلة نسبيا، وربما لم ينج موقع في فلسطين من الدمار والتخريب نتيجة استمرار الصراع في طول البلاد وعرضها رغم ان الكنعانيين قد أنشأوا حضارة زاهرة من أرقى الحضارات السامية القديمة في منطقة الشرق الأدنى القديم.

ونطرح فيما يلي أهم المجالات التي تطلبها شمول الدراسة :

أ) تعرف أماكن الآثار الفلسطينية وتحديدها وتصنيفها في قوائم علمية وتحديد الموجود منها في مختلف المجالات السابقة.

ب) اقتراح ما يمكن على صيانتها وحفظها وترتيبها على أسس علمية وتوفير الأماكن الصالحة للافادة منها واستمرارها بعيدا عن العبث.

ج) دراسة أساليب تهيئة الخدمة الاعلامية لها بتوثيقها في قوائم وكتب مفهرسة بحيث تأتي على بيان كل أثر وتاريخه وما تعرض له من أحداث.

د) اعداد سجل تعريفي عام يعطي صورة صادقة عن ماهية هذه الآثار وتاريخها وأماكنها لتعميمه عالميا على دور الآثار والمتاحف الكبرى في سائر الدول.

أهداف هذه الندوة :

نستطيع في ضوء جميع ما سبق أن نلخص أهداف هذه الندوة فيما يلي :

أولا : كشف الحقائق عن تاريخ الشعب الفلسطيني وما قام به من دور حضاري بالغ الأهمية في منطقة الشرق الأدنى القديم.

ثانيا : القاء الضوء على ما يقوم به الصهاينة ومن يؤيدونهم من تزوير لهذه الحقائق لتبرير عدوانهم على الشعب الفلسطيني وأرضه ومحاولاتهم المستمرة لتضليل الرأي العام العالمي وكسبه.

ثالثا : توعية الشعوب العربية والرأي العام العالمي بعامة والشعوب الفلسطينية بخاصة بالسند العلمي والتاريخي مدعما بالوثائق واالآثار لاحقيته في أرضه وما ينبغي أن يتخذ في سبيل استرداد حقوقه وكرامته.

تنظيم الندوة :

أ) التخطيط العلمي للندوة : تخطيطا شاملا لموضوعها بحيث ينتهي بتحديد موضوعات البحث.

فينبغي تناول الجوانب الأساسية حول هذا النوع لكي تتحقق الأهداف المنشودة.

ب) اختيار فريق من الباحثين على المستويين العالمي والعربي ممن يستطيعون ان يصلوا إلى أغوار الحقائق العلمية ليكشفوا النقاب عن الآثار الفلسطينية ودلالاتها في صدق وأمانة واخلاص.

ج) اعطاء الفرص والامكانات لكل باحث لكي يجري بحثه ودراسته في ظل أقصى الامكانات التي يمكن اتاحتها. مع تقدير جهود الباحثين.

د) متابعة البحوث وتنسيقها بين فريق الباحثين بحيث تتم الندوة في تسلسل علمي محكم وبحيث لا تتضارب الآراء والاتجاهات مما قد يؤدي إلى تبلبل الأفكار ولا يساعد على تحقيق الأهداف ويتطلب ذلك تشكيل لجنة تخطيط وتنسيق تقوم بتخطيط موضوعات الندوة وتحديد أساسيات كل موضوع، ومراجعة مسودات البحوث ومناقشتها مع مجموعة الباحثين ضمانا لحسن التنفيذ وفق الأهداف المحددة.

برامج الندوة وأنشطتها :

أولا : محاضرات حول موضوع البحث.

ثانيا : ندوات علمية يشترك في كل منها مجموعة صغيرة من الباحثين.

ثالثا : عرض نماذج وأفلام وصور وجميع ما يمكن الاستعانة به لتوضيح الآثار الفلسطينية وما قامت به من دور حضاري.

رابعا : نشر مجموعة من الوثائق والبحوث والدراسات بعد اعدادها اعدادا فنيا خاصا لكي تصل إلى الجماهير خارج الوطن العربي وداخله.

خامسا : اقتراح وسائل تنمية وعي الشعوب وفي مقدمتها الشعب العربي بحضارة الشعب الفلسطيني، وما تعرض له من ظلم وطغيان.

(أفلام ـ برامج تلفزيونية ـ دعاية ـ برامج تعليمية ـ ومراجعة الكتب والمناهج العلمية التي تتعرض لتاريخ فلسطين بصورة تشوبها بعض الأخطاء).

الشخصيـــــات :

ليس من اليسير لباحث واحد أن يلم بجميع الشخصيات التي تستطيع أن تفي دراسة هذا الموضوع حقها بعمق وأمانة واخلاص. ولكن من الممكن أن يقترح المختصون والمهتمون بعضا ممن يعرفونه من العلماء الذين تتوافر فيهم الشروط المطلوبة. ثم يتم ترتيب هذه الشخصيات العربية والعالمية في مجموعات وفق أولوياتها في كل مجال من مجالات البحث أو في كل موضوع من الموضوعات التي سوف تتناولها الندوة ثم يختار باحث أو أكثر لكل مجال.

يتم الاتصال بكل باحث لمعرفة مدى استعداده للاسهام في الندوة وفق ما تعرض عليه الهيئة المشرفة من الظروف.

وفي ضوء كل ذلك يتم تحديد الشخصيات العربية والعالمية المطلوب تكوين هيئة الباحثين منها.

المكـــــان :

لتحديد المكان ينبغي ان نحدد الشروط المناسبة لنجاح هذه الندوة وفي مقدمة هذه الشروط ما يأتي :

1 ـ توافر أكبر مجموعة من العلماء والباحثين والدارسين.

2 ـ توافر المتاحف الغنية بالآثار الفلسطينية التي يمكن مشاهدتها وعرضها والاعتماد عليها في كل ما تحتاج إليه الندوة.

3 ـ مدى استعداد الدولة لتبني وتقديم أكثر ما يمكن لنجاحها.

4 ـ توفير وسائل الدعاية والاعلام التي لها دور كبير في تحقيق نجاح هذه الندوة.

وفي ضوء كل ذلك تقسيم البلاد العربية إلى المجموعات التالية :

(أ) **المجموعة الأولى** وتضم : بغداد، دمشق، عمان، القاهرة. وهي مرتبة ترتيبا أبجديا.

وتمتاز جميع هذه العواصم بتحمسها للموضوع ووفرة الآثار بها ولكنها قد تختلف في مدى ما يمكن أن تقدمه من عطاء وتيسيرات لنجاح الندوة وهذا يتطلب اجراء اتصالات بكل منها ثم تحديد المقر المناسب في ضوء هذه الاتصالات.

(ب) **المجموعة الثانية** : وهي لا تقل في تحمسها للموضوع عن المجموعة الأولى ولكن قد لا يوجد بها من الآثار الفلسطينية والمختصين في هذا المجال مثل ما بالمجموعة الأولى، ومع ذلك فقد يكون في استعدادها لتتبنى هذه الندوة وتقديم الدعاية والاعلام اللازمين لنجاحها ما يجعل الاختيار يقع على احدى عواصمها وهي مرتبة ترتيبا ابجديا : تونس ـ الجزائر ـ طرابلس ـ مراكش.

(ج) **المجموعة الثالثة** : بقية البلدان العربية المشتركة في الندوة ومن الممكن ان يقع الاختيار على أي منها بسبب تحمسه الشديد للموضوع واستعداده لتقديم أقصى ما يمكن لنجاحها. وعندئذ قد لا يهم المكان ولا الامكانات فمن الممكن التغلب على جميع الصعوبات.

(د) وغني عن الذكر انه اذا تحررت القدس قبل تاريخ انعقاد الندوة فانها تكون أنسب مكان لانعقادها.

الزمـــــــان :

ان الفكرة المطروحة لعقد الندوة بعد سنتين تعتبر كافية للتخطيط والاتصالات واجراء الدراسات والاستعدادات لكل ما تتطلبه الندوة.

أما عن تحديد موعد الندوة فمن الممكن أن يكون في تاريخ احدى المناسبات الهامة التي تتصل بفلسطين :

- يوم تقسيم فلسطين.
- يوم انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين.
- يوم وعد بلفور.
- يوم مذبحة دير ياسين.
- ذكرى انطلاق الثورة الفلسطينية الكبرى ضد الاستعمار الصهيوني والصهيونية سنة 1936.
- ذكرى انطلاق الثورة الفلسطينية المعاصرة 1965/1/1.

واذا لم يكن تحديد التاريخ على هذا الأساس فمن الممكن ان تنعقد الندوة في شهر يوليو أو في شهر فبراير. حيث الجامعات في عطلة أو في شهر مارس حيث يكون الطقس ربيعا ومناسبا.

مذكـــرة
حول كتاب الآثار الفلسطينية

الدكتور شوقي شعث

عندما اقترح تأليف كتاب عن الآثار الفلسطينية بأقلام عربية أو بأقلام أجنبية حيادية كان القصد أن يوجد كتاب مفصل مزود بالصور الملونة والعادية موضح بالمخططات والجداول التاريخية بحجم معقول يكون في متناول الدارسين العرب والأجانب. مثل هذا الأمر لا يتحقق في معلومات موسوعية، حيث لا يخفى على أحد أن ما تعالجه الموسوعة من معلومات هدفها الشمول دون التفصيل، أما المعلومات المعمقة والشاملة فمكانها الكتاب المتخصص، لذلك فانني أرى أن مكان الكتاب المقترح ليس الموسوعة الفلسطينية كما ورد في محضر اجتماعات اللجنة الدائمة للآثار ـ الدورة الثانية ـ (التوصية رقم 2/13/2). اذن لابد من متابعة العمل على اصدار مثل هذا الكتاب نظرا ما نعلقه من أهمية عليه سيما وأن عرض حكومة المملكة العربية السعودية المتضمن استعدادها لتغطية نفقات اعداد وطبع هذا الكتاب لازال قائما كما فهمنا من ممثل حكومة المملكة العربية السعودية في المجلس التنفيذي لمنظة الثقافة والعلوم ومن السيد الدكتور عبد الله حسن مصري مدير الآثار والمتاحف بالمملكة العربية السعودية.

وبناء على ما تقدم فاننا نرى، دفعا لمشروع الكتاب أن تؤلف لجنة تحضيرية من السادة :

الدكتور صالح خرفي
الدكتور عبد الله حسن مصري
الأستاذ شوقي شعث

ويقع على عاتقها وضع مشروع متكامل للكتاب يتضمن موضوعاته وتكاليفه التفصيلية وعدد اجزائه وحجمه على ان تنجز اللجنة مهمتها خلال شهرين.

وأما موضوع الباحثين فيترك لاتفاق السيد المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أو لمساعده لشؤون الثقافة مع السيد المدير العام لدائرة الشؤون التربوية والثقافية في منظمة التحرير الفلسطينية.

وتوفيرا للوقت والجهد بين تصوراتي واقتراحاتي حول المشروع آنف الذكر. أرى ان يكون الكتاب بالحجم الكبير في مقدمة وجزئين وضمن مجلدين.

المجلد الأول : يشمل المقدمة والتي تعالج أهمية فلسطين جغرافيا وحضاريا مع التركيز على دور الكنعانيين الحضاري في فلسطين الحفريات الأثرية التي تمت في فلسطين تاريخيا وتقويما وكذلك الجزء الأول تحت عنوان (فلسطين قبل الاسلام).

المجلد الثاني : يشمل الجزء الثاني تحت عنوان (فلسطين العربية الاسلامية) بالاضافة إلى الفهارس والمخططات.

على أن يقع كل مجلد في (250) صحيفة ومائة لوحة صور ومخططات.

أما المضمون فأرى أن يكون كما يلي :

الجزء الأول : ويضم عدة فصول، الفصل الأول فلسطين في عصر ما قبل التاريخ يعالج في هذا الفصل المواضيع التالية :

- مرحلة كبران (مرحلة جمع الطعام) حتى الألف التاسع قبل الميلاد.
- الدور النطوفي من الألف التاسع إلى مطلع الألف السابع قبل الميلاد.
- دور ما قبل فخاريات العصر الحجري الحديث من مطلع الألف السابع حتى نهاية الألف السادس قبل الميلاد.
- الدور الحجري النحاسي من نهاية الأول الخامسة حتى نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد.
- اريحا (الطبقة 8) ما بين 4000 ـ 3600 ق.م.
- الدور الغسولي «« «« 3700 ـ 3300 ق.م.
- الدور الحجري النحاسي المتأخر ما بين 3400 ـ 3000 ق.م.

الفصل الثاني : فلسطين في العصور التاريخية :

(1) ـ البرونز المبكر (الدور الأول) ما بين 3100 ـ 2850 ق.م

ـ » » » (الدور الثاني) 2900 ـ 2600 ق.م.

ـ » » » (الدور الثالث) أ 2650 ـ 2500 ق.م

- « « « (الدور الثالث) ب 2550 ـ 2350 ق.م.

- « « « (الدور الثالث) ج 2400 ـ 2250 ق.م.

- « « « (الدور الرابع) حوالي القرن الثالث والعشرين حتى القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد

(2) البرونز الوسيط الدور الأول، الدور الثاني أ، الدور الثاني ب، الدور الثاني ج، في الفترة الواقعة ما بين 2000 ـ 1500 ق.م تقريباً.

(3) البرونز الحديث ما بين 1500 ق.م. ـ 1000 ق.م.

(4) العصر الحديدي (الأول والثاني والثالث).
من حوالي 1000 ق.م. حتى الغزو اليوناني مع التركيز على الشعوب التي غزت فلسطين في هذه المرحلة والمجتمعات السياسية التي قامت

الفصل الثالث : فلسطين في العصور الكلاسيكية.

الهلنيستيون ـ الرومان ـ البيزنطيون.

الجزء الثاني : تحت عنوان (فلسطين العربية الاسلامية)

- التحرير العربي الاسلامي
- الراشدون ـ الأمويون ـ العباسيون ـ الاسرات الاسلامية الأخرى التي تفرعت عن العباسيين.
- المماليك ـ الأيوبيون
- الغزوة الصليبية
- التتار
- الأتراك العثمانيون

طريقة البحث :

أرى أن يكون منهج البحث في الجزئين على النمط الآتي كلما أمكن ذلك عند بحث كل دور أو عصر :

- مقدمة عامة
- العمارة (بيوت السكن ـ القصور ـ دور العبادة ـ المدارس ـ المزارات ـ المساجد والجوامع الخ...)
- الفنون الأخرى : الفخار ـ النحت ـ التصوير ـ الانصاب ـ الاختام ـ النقود والميداليات

مع تزويد الكتاب بمصورات ومخططات تبين :

1 ـ أهم المواقع الأثرية التي تعود لعصور ما قبل التاريخ.

2 ـ أهم المواقع الأثرية التي تعود للعصور التاريخية المختلفة.

3 ـ التوزيع السكاني للشعوب التي مرت بفلسطين

4 ـ أهم المواقع الأثرية العربية الاسلامية

5 ـ أهم المواقع التي نكبت بفلسطين

6 ـ مخططات في نطاق دراسة مقارنة للعمارة منذ أقدم العصور لفلسطين

7 ـ مخطط لأمكنة ضرب النقود وغيرها.

مواصفات فنية للكتاب :

القياس 20 × 27

الورق لميع 100 غ

الغلاف كرتون مقمش

عدد النسخ 5000 نسخة

صور أسود وأبيض + ملون على أن تغطي كل صورة لوحة كاملة من لوحات الكتاب (يترك تحديد الصور العادية والملونة للباحثين)

التكاليف الاجمالية : 75000 ـ 100000 دولار.

ولمزيد من الايضاح أرى أن تبين بعض مناهج الكتب التي قام بها بعض الباحثين لمثل هذه المواضيع أو ما يشابهها.

منهج هنري فرانكفورت في كتابه الفن والعمارة في الشرق القديم المطبوع بالاسكندرية عام 1954 :

يقع كتاب الفن والعمارة في الشرق القديم في قسمين ضمن مجلد واحد، قسم كل قسم إلى فصول فشمل القسم الأول ثمانية فصول رتبها على النحو الآتي :

الفصل الأول : ظهور الفن السومري (فترة ما قبل الكتابة من 3500 ـ 3000 ق.م.) عالج فيه المواضع التالية : مقدمة عامة ـ العمارة ـ النحت التطبيقي والانصاب ـ النحت في المناطق المجاورة ـ الانصاب التذكارية ـ الاختام الاسطوانية.

الفصل الثاني : فترة السلالات المبكرة (من 3000 ـ 2340 ق.م.) وعالج فيها المواضع التالية : مقدمة ـ العمارة ـ النحت في المناطق المجاورة ـ النقش والانصاب ـ فن الحفر على الاختام.

الفصل الثالث : الفترة الاكادية (2340 ـ 2180 ق.م.) وسار على نفس النهج في باقي الفصول في القسم الأول والقسم الثاني كلما أمكنه ذلك مفردا فصولا خاصة لاسرات هامة جدا في تاريخ الفن والعمارة كلما دعت الضرورة لذلك. هذا وقد تخلل النص رسم للمباني والطرق الفنية والأختام وتأتي في نهاية الكتاب لوحات الصور.

منهج انطون مورتغارت في كتابه الفن القديم في بلاد الرافدين المطبوع باللغة الانجليزية عام 1969 :

قسم المؤلف الكتاب إلى خمسة أبواب حسب التسلسل الزمني ثم قسم كل باب إلى عدة مواضيع فقد عالج مثلا في الباب الأول الفن السومري الاكادي.

أ ـ فترة فجر التاريخ (أورك 6 ـ 4، جمدت نصرة)

ب ـ فترة الانتقال الأولى وفترة ميزيليم

ج ـ فترة الانتقال الثانية

د ـ التفرة الاكادية

هـ ـ فترة الاحياء السومري الاكادي

ومن اور بابا ـ لاغاش حتى سومو ـ أبوم ـ بابل.

الباب الثاني ـ الفن البابلي القديم

فن بلاد الرافدين القديم أثناء فترة حكم السلالة الكنعانية (سلالة بابل الأولى).

أ ـ العمارة في العهد البابلي القديم

ب ـ النحت والتصوير

الباب الثالث : الفن البابلي في العصر الكاشي (الكشي)

الباب الرابع : الفن في العصر الأشوري

الباب الخامس : فمن البابليين الجدد مع خاتمة.

وتأتي اللوحات والرسوم في نهاية الكتاب، علما بأن هناك بعض الرسوم التوضيحية في ثنايا النص.

منهج اندره بارو في كتابه مارى العاصمة لمفقودة المطبوع باللغة الفرنسية عام 1974 :

نرى ان المؤلف قسم الكتاب إلى ستة فصول.

الفصل الأول : ماري في التاريخ

الفصل الثاني : ماري في الألف الثالثة قبل الميلاد

الفصل الثالث : ماري تحت الحكم الاكادي وفي فترة الاحياء السومري والعصر البابلي القديم.

الفصل الرابع : ماري كمستعمرة آشورية وكلدانية

الفصل الخامس: ماري قرية اقليمية

الفصل السادس: محفوظات القصر الملكي في ماري ثم خاتمة.

منهج اولبرايت في كتابه الآثار الفلسطينية المطبوع باللغة الانكليزية عام 1960 :

قسم المؤلف كتابه الذي اتى بالقطع الوسط إلى اثني عشر فصلا عالج فيها المواضيع التالية :

الفصل الأول : فمن تنقيب تل اثري فلسطيني

الفصل الثاني : اكتساب فلسطين القديمة

الفصل الثالث : فلسطين في عصور ما قبل التاريخ

الفصل الرابع : فلسطين في العصر الحجري النحاسي والعصر البرونزي المبكر

الفصل الخامس : فلسطين في العصرين البرونزي الوسيط والبرونزي المتأخر

الفصل السادس : فلسطين في العصر الحديدي

- الحديدي الأول (القرن الثاني عشر إلى القرن العاشر ق.م)
- الحديدي الثاني (القرن العاشر حتى السادس ق.م)
- الحديدي الثالث من حوالي (عام 550 إلى 350 ق.م).

الفصل السابع : فلسطين في الأزمنة اليونانية والرومانية

الفصل الثامن : الشعوب واللغات، الكتابة والأدب في فلسطين القديمة

الفصل التاسع : الحياة اليومية في فلسطين القديمة

الفصل العاشر : التوراة والآثار

الفصل الحادي عشر : العهد الجديد والآثار

الفصل الثاني عشر : فلسطين القديمة في عالم التاريخ

واضاف في نهاية الكتاب قوائم بالمراجع واللوحات والرسوم ثم الفهرسة.

منهج ديمتري برامكه في كتابه في كتابه الفن والعمارة في فلسطين القديمة مطبوعات مركز الأبحاث باللغة الانكليزية :

قسم المؤلف كتابه إلى أربعة عشر فصلا :

الفصل الأول : مقدمة عامة

الفصل الثاني : فلسطين في العصر الحجري القديم

الفصل الثالث : ظهور القرى في فلسطين

الفصل الرابع : التخطيط العمراني في فلسطين

الفصل الخامس : العصر البرونزي الوسيط

الفصل السادس : العصر الذهبي

الفصل السابع : فلسطين في ظل السيادة المصرية

الفصل الثامن : فلسطين في العصر الحديدي المبكر

الفصل التاسع : فلسطين في ظل السيادة الأشورية

الفصل العاشر : فلسطين في ظل السيادة الفارسية

الفصل الحادي عشر : فلسطن عصر الهلينيستي

الفصل الثاني عشر : فلسطين في العصر الروماني
الفصل الرابع عشر : الآثار في فلسطين العربية

ان عرضنا لمناهج الكتب المبنية اعلاه هو عرض استثنائي لنا بعض الملاحظات السلبية والملاحظات الايجابية عليها سنطرحها عند المناقشة، وأعود لأؤكد انه من الضروري ان يوجد كتاب للآثار الفلسطينية يحل محل الكتب المليئة بالدس على العرب عامة والفلسطينيين خاصة متصديا للتخريب الثقافي التي تقوم به دولة الصهاينة بالأرض المحتلة.

القسم الثاني

التقرير النهائي والتوصيات

حفل الافتتاح

احتفل بافتتاح المؤتمر في القاعة الكبرى بمبنى بلدية مراكش في الساعة 17 من مساء يوم الثلاثاء 1977/2/1.

وحضر هذا الحفل معالي الأستاذ الحاج مَحمد أبا حنيني وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية في المملكة المغربية. كما حضره بعض الوزراء والسفراء والسيد عامل مراكش ورئيس المجلس البلدي بها والسفراء وجمهور كبير من العلماء والأدباء وأساتذة الجامعات ورجال المملكة ووجوه مدينة مراكش.

وبدأ الحفل بآيات بينات من الذكر الحكيم.

ثم ألقى معالي الأستاذ الحاج مَحمد أبا حنيني وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية في المملكة المغربية كلمة بليغة البيان زاخرة المعاني استهلها باسم الله وضمنها تحية صادقة لأعضاء الوفود وترحيبا بهم فوق أرض بلدهم الشقيق المملكة المغربية. كما تضمنت اشادة خاصة برئيس وفد المنظمة الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد المدير العام المساعد للمنظمة، ثم تحدث باستفاضة عن مدينة مراكش العريقة وتاريخها والجهود المبذولة للحفاظ على معالمها باقية، ثم تحدث عن تراث أمتنا العربية وواجب هذه الأمة نحوه.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد كلمة بليغة بدأها بحديث قلب الى معالي الوزير امتنانا بما أضفاه عليه في كلمته من عاطر الذكر، شاكرا له تفضله بافتتاح المؤتمر وتكريمه لأعضائه وتأييده للمنظمة.

ثم توجه سيادته الى أعضاء المؤتمر والضيوف من الوزراء والسفراء والعلماء بالتحية. كما توجه بالشكر الى الشعب العربي في المغرب وإلى جلالة ملكه المجاهد والى حكومته الرشيدة ووزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية.

ثم تحدث سيادته عن تاريخ مؤتمر الآثار وربط بين دورته الثالثة التي عقدت في مدينة فاس عام 1959 وبين الدورة الحالية وما حدث بينهما من تطوير وما تم من انجازات كثيرة في

ميادين التربية والثقافة والعلوم بعد انشاء المنظمة تحقيقا لاهداف ميثاق جامعة الدول العربية، وميثاق الوحدة الثقافية العربية ودستور المنظمة نفسها.

وشرح سيادته كيف توسع العمل في مجال الآثار بالمنظمة وتعمق، وكيف تطورت أهداف مؤتمرات الآثار ومنهاج عملها اتجاها الى التخصص في الدرس والبحث.

ثم ألقى الأستاذ شوقي شعث ممثل فلسطين كلمة باسم الوفود استهلها باسم الله وشكر للمغرب الشقيق ملكا وحكومة وشعبا استضافة المؤتمر، كما شكر للمنظمة الاعداد للمؤتمر وتنظيمه. ثم أشاد بما يكنه كل عربي ومسلم من الود للمغرب باعتباره جناح هذه الأمة العربية وسندها.

وأشار إلى حسن اختيار مراكش مقرا للمؤتمر وهي المدينة الاسلامية العريقة التي تزخر بآثار تراثنا وفنونه وصناعاته صامدة في وجه الموجات الحضارية الغازية. وتمنى لأعضاء المؤتمر أن يوفقوا في بحث موضوعات جدول الأعمال.

وعند ذلك انتهى حفل الافتتاح وانصرف الجميع لحضور حفل الاستقبال بدعوة من المجلس البلدي لمدينة مراكش.

وخلال هذا الحفل افتتح معرض «مسيرة العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمملكة المغربية» الذي نظم ببهو مبنى البلدية بمناسبة المؤتمر.

الجلسة العامة الأولى

عقد المؤتمر جلسته العامة الأولى في مبنى بلدية مدينة مراكش في الساعة 19 من مساء يوم الثلاثاء 1977/2/1.

وافتتح هذه الجلسة باسم الله الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد رئيس وفد المنظمة ومديرها العام المساعد.

ثم طلب سيادته من الأعضاء اختيار رئيس للمؤتمر ونائب للرئيس ومقرر عام، وقد أجمع الأعضاء على :

- اختيار الدكتور عبد الهادي التازي رئيس وفد المملكة المغربية رئيسا.
- اختيار الأستاذ سيف علي الضبغ الدرمكي رئيس وفد دولة الامارات نائبا للرئيس.
- اختيار الأستاذ الدكتور عفيف البهنسي رئيس وفد الجمهورية العربية السورية مقررا عاما. وبعد أن شكر الدكتور عبد الهادي التازي رئيس المؤتمر للسادة أعضاء الوفود ثقتهم عرض عليهم ابداء الرأي في مشروعات.
- جدول الأعمال.
- نظام العمل.
- برنامج العمل.

فوافقوا عليها بالصورة المقترحة من المنظمة وجهات الاختصاص المغربية المشاركة في تنظيم المؤتمر فيما عدا ادخال تعديل على ميعاد بدء الجلسات المسائية للمؤتمر.

الجلسة العامة الثانية

عقد المؤتمر جلسته الثانية في (مبنى بلدية مدينة مراكش) في الساعة 9,30 من صباح يوم الاربعاء 1977/2/2.

وبعد أن افتتح الدكتور عبد الهادي التازي رئيس المؤتمر الجلسة أشار إلى أنها مخصصة لبحث الفقرتين (1) و (2) من (أولا) في جدول الأعمال وهما :

ـ تقارير الدول الأعضاء عن جهودها في ميدان الآثار، خصوصا ما قامت به من حفائر وصيانة للآثار وما أصدرته من بحوث علمية ومؤلفات في مجال الآثار منذ يناير 1975 حتى يونيو 1976.

ـ ما نفذته كل دولة من توصيات المؤتمر السابع للآثار. وقد أعطى سيادته الكلمة لرؤساء الوفود واحدا واحدا ليعطي كل منهم الأعضاء خلال عشر دقائق موجزا لتقرير دولته في الفقرتين المشار إليهما معا.

وقد قدم العرض الموجز لتقارير الدول السادة :

* موجز تقرير سلطنة عمان ـ قدمه الأستاذ سليمان خلف الخروصي.
* موجز تقرير المملكة الأردنية ـ قدمه الأستاذ يعقوب عويس مشيرا إلى آخر الكشوف التي أسفرت عنها التنقيبات الأثرية منذ شهرين.
* موجز تقرير دولة البحرين ـ قدمته السيدة هيا علي آل خليفة.
* موجز تقرير جمهورية السودان الديمقراطية ـ قدمه الأستاذ نجم الدين محمد شريف.
* موجز تقرير دولة قطر ـ قدمه الأستاذ جاسم الزيني.
* موجز تقرير الجمهورية العربية الليبية ـ قدمه الدكتور صلاح الدين حسن السوري. وقد أشار بأن توصيات المؤتمر السابع (السابق) فيما يتعلق بنشر الوعي الآثاري قد وضعت موضع التنفيذ في ليبيا.
* موجز تقرير المملكة المغربية ـ عرضه الأستاذ الدكتور عباس الجراري.
* موجز تقرير جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ـ عرضه الأستاذ عبد الله

محيرز وقد نوه سيادته بالخدمات التي قدمها الخبير الموفد من المنظمة الى اليمن الديمقراطية لمسح الآثار والخبير الموفد في العمارة الأثرية.

* موجز تقرير جمهورية مصر العربية ـ عرضه الدكتور محمد جمال الدين مختار.
* موجز تقرير دولة الكويت ـ عرضه الأستاذ ابراهيم البغلي وقد نوه بالخدمات التي قدمها الخبير الموفد الى الكويت من قبل المنظمة لصيانة المواقع الأثرية.
* موجز تقرير فلسطين ـ عرضه الأستاذ شوقي شعث وقد نوه سيادته بالتعاون القائم بين المنظمة العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية فيما يتعلق بتنظيم ندوة دولية عن الآثار الفلسطينية وشكر لحكومة المملكة العربية السعودية تطوعها بالانفاق على اصدار كتاب «الآثار الفلسطينية».
* موجز تقرير الجمهورية العراقية ـ قدمه الدكتور عبد الهادي الفؤادي وقد نوه سيادته بالخدمات التي قدمها الخبير الموفد من قبل المنظمة الى الجمهورية العراقية لاعداد تقرير عن المياه الجوفية في مدينة بابل الأثرية والخبير الموفد في صيانة المباني المبنية بالطوب اللبن.
* موجز تقرير الجمهورية العربية السورية ـ قدمه الأستاذ عدنان البني.
* موجز تقرير المملكة العربية السعودية ـ قدمه الدكتور عبد الله حسن مصري.
* موجز تقرير الجمهورية التونسية ـ قدمه الأستاذ ابراهيم شبوح.
* موجز تقرير دولة الامارات العربية المتحدة ـ قدمه الأستاذ سيف علي الدرمكي.

ونوه سيادته بالخدمات التي يقدمها الخبير الموفد من قبل المنظمة الى دولة الامارات في العرض المتحفي.

وبعد ذلك تحدث السيد الرئيس فاقترح بأن تحرص الوفود في الدورات المقبلة لمؤتمر الآثار على أن تصطحب معها نسخا كافية من تقارير نشاط دولها في مجال الآثار. ثم أعطى الكلمة للسادة ممثلي الجامعات والهيئات العلمية في البلاد العربية المشتركين في المؤتمر، فمنهم من عرض موجزا للنشاط العلمي الذي تنهض به الجهة التي يمثلها في مجال الآثار. ومنهم من أثار قضية علمية أراد أن ينبه إليها هذا الجمع من المتخصصين والعلماء العرب في مجال الآثار والمتاحف وهؤلاء هم :

الدكتور عادل ناجي ـ ممثل المركز العربي لصيانة الممتلكات الثقافية.
الدكتور ناجي معروف ـ ممثل جمعية المؤرخين والآثاريين العراقيين.
الأستاذ هشام صفدي ـ ممثل جامعة دمشق.
الأستاذ عمار المحجوبي ـ ممثل الجامعة التونسية.

الدكتورة سعاد ماهر ـ ممثلة جامعة القاهرة.
الدكتور أحمد قاسم جمعة ـ ممثل جامعة الموصل.
الدكتور محمود الغول ـ الأستاذ بجامعة اليرموك وخبير المنظمة في المؤتمر.
الدكتور فتحي عفيفي بدوي ـ ممثل جامعة الأزهر.
الدكتور محمد الحاكم ـ ممثل جامعة الخرطوم.
الدكتور عبد العزيز صالح ـ الأستاذ بكلية الآثار وعضو وفد جامعة القاهرة.

كما تحدث الأستاذ تيتوس بروكبارت ـ خبير اليونسكو وعضو وفدها عن جهود اليونسكو في صيانة مدينة فاس.

الجلسة العامة الثالثة

عقد المؤتمر جلسته العامة الثالثة في مبنى بلدية مدينة مراكش في الساعة الخامسة من مساء يوم الاربعاء 1977/2/2.

وقد اعتذر الأستاذ عبد الهادي التازي رئيس المؤتمر عن عدم تمكنه من حضور هذه الجلسة لارتباطه باحدى المهام الأخرى.

وقد رأس هذه الجلسة الأستاذ سيف علي الدرمكي نائب الرئيس، وبعد ان افتتح الجلسة باسم الله قدم الاستاذ حسني عبد الرحيم عضو وفد المنظمة ورئيس قسم الآثار والمتاحف ليوجز تقرير المنظمة عما نفذته المنظمة من توصيات المؤتمر السابع للآثار، فأشار الى أن المنظمة قد قدمت الى المؤتمر تقريرا يتناول الاجراءات التنفيذية للتوصيات التي تقع ضمن مسؤولياتها توصية توصية، ثم خص بشيء من التفصيل التوصية التي أصدرها المؤتمر بشأن سجل الآثاريين العرب فأوضح أن المنظمة بادرت الى ادراج هذا السجل ضمن مشروعاتها لعامي 76 ـ 77 نظرا لدوره في حصر الكفاءات العلمية المتاحة في مجال الآثار في البلاد العربية ثم وضعت بطاقة لجمع المادة اللازمة لهذا السجل وأرسلتها الى مديري الآثار شخصيا للعمل على ملئها واعادتها الى المؤتمر، وأشار الى التوصية الصادرة عن اللجنة الدائمة للآثار والمتاحف في دورتها الثانية حول هذا السجل والعقبات التي تحول الآن دون البدء في اعداد وطبعه والتي تتمثل في قلة عدد الدول التي وافت المنظمة بالبطاقات وعدم شمول البطاقات لكل الأثريين العاملين في بعض الدول التي بعثت اليها بتلك البطاقات وطلب من رؤساء الوفود باسم المنظمة أن يبادروا الى موافاة المنظمة بالبطاقات قبل نهاية مارس 1977 حيث تبدأ عملية تفريغ البطاقات واعداد السجل للطباعة وذلك حتى يأتي هذا السجل شاملا لكل الدول العربية ومشتملا على جميع الخبراء والعلماء العرب في مجال الآثار والمتاحف اتماما للفائدة المرجوة منه.

وبعد ذلك فتح الأستاذ سيف علي الدرمكي رئيس هذه الجلسة باب المناقشة في الكلمات التي ألقيت في الجلسة الصباحية. وقد استغرقت هذه المناقشات نصف ساعة تقدم خلالها الأستاذ الدكتور عفيف بهنسي المقرر العام ببعض التوصيات المستخلصة من نتائج المناقشات

السابقة، كما تحدث الدكتور عادل ناجي وناشد الدول الأعضاء المبادرة الى دفع حصتها في ميزانية المركز الاقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في البلاد العربية اذا لم تكن قد دفعتها حتى الآن.

وتحدث الدكتور ناصر الدين الأسد فاقترح احالة التوصيات التي عرضها المقرر العام، والتي اقترحها معالي الوزير في كلمة الافتتاح الى اللجان الفرعية لدراستها.



ثم طلب الأستاذ سيف علي الدرمكي رئيس الجلسة من الأعضاء الانتقال لبحث العنصر الأول في الموضوع الرئيسي بجدول الأعمال وهو : «التنقيب في البلاد العربية ـ الجهود والمعوقات».

وبعد أن قدم الأستاذ الدكتور فوزي الفخراني ممثل جامعة الاسكندرية موجزا للبحث المقدم منه في موضوع «حركة التنقيب عن الآثار ومشكلاتها» دارت مناقشة علمية مستفيدة اشترك فيها بعض الأعضاء ومنهم : الأستاذ عدنان البني والدكتور عبد الله حسن مصري والأستاذ اسماعيل الأكوع والدكتور فتحي عفيفي بدوي والدكتور عفيف بهنسي والدكتور فوزي الفخراني نفسه ثم تحدث الدكتور ناصر الدين ألأسد فبلور المضمون العلمي لسير المناقشات.

وبعد ذلك انتقل المؤتمر الى نظر الفقرة 4 من (رابعا) في جدول الأعمال وهي : «المؤتمر التاسع للآثار في البلاد العربية».

وقد اتفق رأي أعضاء الوفود في هذا الخصوص على ما يلي :

أ) الموافقة على عقد المؤتمر التاسع للآثار في البلاد العربية بمدينة صنعاء بالجمهورية العربية اليمنية، استجابة للدعوة الكريمة التي قدمها باسم الحكومة اليمنية الأستاذ اسماعيل الأكوع رئيس وفد الجمهورية العربية اليمنية.

ب) أن يكون موعد عقد المؤتمر لمدينة صنعاء في ربيع عام 1979، ويترك للمنظمة تحديد الموعد على وجه الدقة.

ج) الموافقة على الموضوع الرئيسي المقترح للمؤتمر هو «الآثار الاسلامية في البلاد العربية».

د) يترك للمنظمة تحديد عناصر الموضوع استهداء بما اقترحه ـ في هذا الشأن ـ اللجنة الدائمة للآثار والمتاحف في دورتها الثانية التي عقدت بالأردن في أكتوبر 1976.

هـ) يقوم السادة مديرو الآثار في البلاد العربية بموافاة المنظمة بترشيح من يرون من الخبراء والأساتذة لتكليفهم اعداد البحوث العلمية اللازمة للمؤتمر.

و) شكر الحكومة اليمنية على مبادرتها.

وبعد ذلك أعلن الأستاذ سيف علي الدرمكي رئيس الجلسة انتهاء أعمال الجلسات العامة للمؤتمر حيث تبدأ في صباح الغد اجتماعات اللجان الفرعية الثلاث، وطلب من الأعضاء اختيار رئيس ومقرر لكل لجنة، فوافقوا بالاجماع على ما يلي :

اللجنة الأولى :

* اختيار الدكتور صلاح الدين حسن السوري رئيس وفد الجمهورية العربية الليبية رئيسا.
* اختيار الدكتور عبد الهادي الفؤادي رئيس وفد الجمهورية العراقية مقررا.

اللجنة الثانية :

* اختيار الدكتور جمال مختار رئيس وفد جمهورية مصر العربية رئيسا.
* اختيار الأستاذ ابراهيم شبوح عضو وفد الجمهورية السورية مقررا.

اللجنة الثالثة :

* اختيار الأستاذ شوقي شعث رئيس وفد فلسطين رئيسا.
* اختيار الدكتور معاوية ابراهيم خبير المنظمة مقررا.

لجنة الصياغة العامة :

تتكون من :

- رئيس المؤتمر.
- المقرر العام.
- رؤساء اللجان الثلاث.
- مقرري اللجان الثلاث.
- رئيس وفد المنظمة.
- رئيس وفد المملكة المغربية.

وعند ذلك أعلن السيد الرئيس رفع الجلسة.

تقريـر
اللجنة الفرعية الثانية

عقدت اللجنة الفرعية الثانية المنبثقة عن المؤتمر الثامن للآثار ثلاث جلسات يومي الخميس والجمعة (3 و 4 فبراير 1977) بحضور أعضائها السادة :

- الدكتور جمال الدين مختار (رئيس اللجنة).
- الأستاذ ابراهيم شبوح (مقرر اللجنة).
- الأستاذ محمد العبد الرحمن 'براهيم.
- الدكتور محمد حجي.
- الفزازي عبد المالك.
- الأستاذ محمد زنيبر.
- الأستاذ حسن بالعربي
- الأستاذة جودية حصار بن سليمان
- الأستاذ مصطفى التازي
- الدكتور أحمد قاسم الجمعة
- الأستاذ محمود صالح الحديدي
- الأستاذ محمود الصديق أبو حامد
- 'لدكتور نبيل ساروفيم
- الأستاذ عبد الرحمن سعود مسامح
- الأستاذ مرشد شمسان أحمد
- الدكتور يوسف محمد عبد الله
- الدكتور هشام الصفدي
- الأستاذ سالم أمير
- الدكتور أحمد محمد علي الحاكم
- الدكتور فتحي عفيفي بدوي
- الأستاذ محمد التازي سعود
- الاستاذ محمد بوترعة
- الدكتورة سعاد ماهر

وقد ناقشت اللجنة خلال جلساتها الموضوعات المحالة اليها من جدول الأعمال وهي :

أ) الفقرة (2) من الموضوع الرئيسي : (التعاون العربي في مجال التنقيب عن الآثار).

ب) الفقرة (3) من الموضوع الرئيسي : (التعاون مع البعثات الاجنبية).

ج) الفقرة (1) من رابعا في جدول الأعمال «دعم مؤسسة ماكس فان برشم».

واستمعت اللجنة إلى موجز لبحث الدكتور عيسى سلمان عن (التعاون مع البعثات الاجنبية على الصعيد العربي) قدمه الدكتور عبد الهادي الفؤادي.

وانتهت مناقشات اللجنة لهذه الموضوعات ودراستها الى التوصية بما يلي :

1 ـ الاستفادة من أعمال البعثات التنقيبية الأثرية الأجنبية في البلاد العربية بعد التأكد من هويتها وأهدافها وكفايتها العلمية المالية ومراقبتها عن طريق مشاركة أثرية وفنية وطنية.

2 ـ مراعاة الاستفادة من وجود البعثات الاثرية في تدريب وتأهيل أطر وطنية في العمل الأثري.

3 ـ عدم التوسع في أعمال الحفريات والاقتصار على الضروري منها مع العناية بالآفاق المكتشفة وحماية المواقع الأثرية والعمل ضمن خطة محكمة تأخذ بمبدأ الأولويات حسب الامكانيات المتاحة ويتم بمقتضاها اختيار البعثات الاجنبية في حدود الحاجة.

4 ـ الاهتمام بالكفايات العربية والاستفادة بالامكانيات المتوافرة لدى بعضها واتاحة الفرصة له لخدمة البعض الاخر الذي قد يحتاج الى خدماته، ولذا يجب تبادل المعلومات بين مديريات الآثار في البلاد العربية عن طريق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي يناط بها اعداد سجلات تشتمل على جميع العاملين في المجال الأثري على مختلف درجات تعليمهم وحسب الاستبيانات التي تم الاتفاق على تزويد المنظمة بها.

5 ـ ان تقوم المنظمة العربية بوضع فهارس للنشرات والدوريات والحوليات التي تصدرها مصالح الآثار في البلاد العربية وتعميمها على الدول الأعضاء للاستفادة منها وتبادل كافة المعلومات عن مشاكل التنقيب الأثري كلما أمكن ذلك.

6 ـ تقوم المنظمة العربية لمتابعة نشر وثائق ماكس فان بيرشم التي مولتها المملكة العربية السعودية عن طريق الأخ ابراهيم شبوح الذي تم الاتفاق على ايفاده إليها والتقرير عن مراحل سير أعمالها أولا بأول عن طريق الخبير الذي تم الاتفاق عليه.

تقـريـر
اللجنة الفرعية الأولى

عقدت اللجنة الفرعية الأولى المنبثقة عن المؤتمر الثامن للآثار ثلاث جلسات يومي الخميس والجمعة (3 و 4 فبراير 1977) بمبنى بلدية مدينة مراكش، بحضور أعضائها السادة :

- الدكتور صلاح الدين حسن السوري (رئيس اللجنة)
- الدكتور عبد الهادي عايش الفؤادي (مقرر اللجنة)
- الدكتور ممدوح حقي.
- الأستاذ عبد الله البدر.
- الأستاذ عبد الله أحمد محيرز.
- الأستاذ عبد الحميد عبد السيد.
- القاضي اسماعيل الأكوع.
- الأستاذة نعيمة الخطيب.
- الأستاذ محمد التازي.
- الأستاذ مصطفى أوعشي.
- الأستاذ حميد التريكي.
- الأستاذ مصطفى زبيس.
- الدكتور عبد الله حسن مصري.
- الأستاذ جواد كاظم النجار.
- الأستاذ شوقي شعث.
- الأستاذ عدنان البني.
- الأستاذ يعقوب عويس.
- الأستاذ سيف علي الضبع الدرمكي.
- السيدة هيا علي آل خليفة.
- الأستاذ نجم الدين محمد شريف.

- الدكتور فوزي عبد الرحمن الفخراني
- الدكتور عدنان الحديدي
- الأستاذ محمد المنوني
- الأستاذ اسماعيل العادلي

وقد ناقشت اللجنة خلال اجتماعاتها الموضوعات المحالة إليها من جدول الأعمال وهي :

أ) الفقرة الرابعة من الموضوع الرئيسي «اعداد العناصر البشرية الوطنية وتدريبها».

ب) الفقرة الخامسة من الموضوع الرئيسي «الأساليب العلمية الحديثة واستخدامات التكنولوجيا في مسح الآثار والتنقيب عنها».

وأنتهت مناقشات اللجنة لهذين الموضوعين الى التوصية بما يلي :

أولا : فيما يتعلق باعداد العناصر البشرية الوطنية وتدريبها :

توصي اللجنة بما يلي :

- عقد حلقة فنية متخصصة لوضع خطة عربية متكاملة لتنسيق تدريس علم الآثار في الجامعة العربية، يدعى الى المشاركة فيها أساتذة من أقسام الآثار في الجامعات العربية، ومراكز البحوث الآثارية، وهيئات وإدارات الآثار في الوطن العربي، على أن تمهد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لعقد هذه الحلقة باعداد دراسة تفصيلية عن مناهج أقسام الآثار في الجامعات العربية، وعدد الدارسين فيها، والأعمال التي يلحقون بها بعد تخرجهم.

وقد أعرب الدكتور جلال الدين مختار وكيل أول وزارة الثقافة في جمهورية مصر العربية، ورئيس وفدها الى المؤتمر عن ترحيب هيئة الآثار المصرية باستضافة أعضاء هذه الحلقة في القاهرة استضافة كاملة.

- أن تعمل الجامعات العربية على تضمين مناهج أقسام التاريخ بعض المواد المتعلقة بالآثار، وذلك للعلاقة الوثيقة بين التاريخ والآثار.

- أن تعمل الجهات المسؤولة عن الآثار للاقطار العربية على تنظيم دورات تدريبية للعاملين فيها من العناصر الفنية المساعدة.

- أن تراعي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التوسع في تنظيم الدورات التدريبية لأبناء الأقطار العربية المختلفة في مجال الآثار والمتاحف.

توصي اللجنة بما يلي :

ـ أن تراعي جهات الاختصاص في البلاد العربية عند استخدامها للأساليب العلمية الحديثة في مسح الآثار والتنقيب عنها، الاستخدام من هذه الوسائل الا ما ثبت جدواه بحيث لا تستخدم الاثار كحقل للتجارب واكتشاف مدى نجاح هذه الأساليب.

ـ أن تراعي جهات الاختصاص في البلاد العربية عند الاستعانة بالأساليب الاستعانة العلمية الحديثة في مسح الآثار والتنقيب عنها ألا يترتب على هذه الاستعانة أي أضرار بالآثار.

ـ أن تأخذ جهات الاختصاص في البلاد العربية في اعتبارها أن استخدام الوسائل العلمية الحديثة في مسح الآثار والتنقيب عنها يجب ألا يؤدي الى الاستغناء عن الطرق التقليدية في البحث الأثري بل على العكس من ذلك يجب أن تؤدي الوسائل العلمية الحديثة الى تطوير الطرق التقليدية والاستفادة منها بصورة أمثل.

ـ أن تعمل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على اصدار معجم جغرافي عربي موحد تتكون مادته من النصوص الخاصة بالبلدان في المراجع الجغرافية والتاريخية العربية، وكتب الأدب والرحلات وغير ذلك من المصادر بحيث ترتب هذه النصوص ترتيبا تاريخيا يمكن من خلاصته ملاحظة التطور الذي مرت به الأماكن. على أن تدعو المنظمة لجنة من العارفين بالنصوص العربية والاسلامية القديمة لوضع خطة علمية لمراحل وضع هذا المعجم.

ـ تؤكد اللجنة التوصية الصادرة عن المؤتمر السادس للآثار (طرابلس 1971) بشأن الأساليب العلمية الحديثة واستخدامات التكنولوجيا في مسح الآثار والتنقيب عنها مع مراعاة الأخذ بالأساليب الأحدث التي ظهرت بعد ذلك، وهذه التوصية كما يلي :

يوصي المؤتمر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بعقد حلقات دراسية وندوات علمية.

ـ يوصي المؤتمر بأن تتمشى الدراسات الأثرية مع التطورات العلمية الحديثة لتلاحق التقدم العلمي والتكنولوجي في عالم اليوم، والذي أدى الى استخدام الحضارة العلمية الحديثة في الكشف عن المخلفات القديمة. ونذكر على سبيل المثال في هذا الميدان :

أ) استخدام التصوير الجوي في حقل الآثار لامداد الأثريين بصور وخرائط ورسوم دقيقة ومفصلة للمناطق الأثرية تساعد على تفهم تخطيطها وتساعد على كشف معالمها.

ب) استخدام التصوير الفوتوجرامتري (المساح التصويرية) في تسجيل الآثار في صور مجسمة يمكن اظهار مدى البروز والانخفاض في السطوح عليها بواسطة الخطوط الكنتورية،

وتفيد تلك الصور فائدة محققة في الرفع الهندسي والرسم المعماري وفي عمل نماذج مجسمة دقيقة.

ج) استخدام الأبحاث العلمية والتحاليل الكيميائية في ميدان الآثار مما يزودنا بمعلومات وافية عن تركيز الأثر وعمره وحالته ووسائل ترميمه وصيانته.

د) استخدام الاشعاع في ميدان الآثار مثل الأشعة السينية في تصوير الآثار المنقولة والكشف عنها وتوضيح مظاهر النهضة العلمية والتطبيقية لأجدادنا، كما يظهرها الأثر دون المساس بمادته أو التأثير على شكله أو لونه وكذا الأشعة اللونية في تصوير المباني الأثرية الثالثة والكشف عما بداخلها مما يصعب ادراكه بالوسائل العادية.

هـ) استخدام الطرق العلمية المتقدمة للكشف عن الآثار المختفية في باطن الأرض لتحديد منطقة البحث عن تلك الآثار. ومن أمثلة ذلك الطرق الكهربائية التي تعتمد على قياس قوة مقاومة التربة للتيار الكهربائي وتسجيل ذلك في رسوم بيانية تكشف عن وجود آثر في تلك التربة. ثم الطريقة المغناطيسية التي تعتمد على قياس المجال المغناطيسي في الأرض في المنطقة التي يجري فيها البحث وتدل على الاثار المختفية التي تؤثر في اتجاه المجال المغناطيسي وقوته وكذلك الطريقة الموجبة التي تعتمد على ارسال موجات (صوتية) في التربة تدل اختلاف انعكاساتها على وجود آثار مطمورة.

و) استخدام وسائل الغطس الحديثة والاستفادة من تقدم علوم البحار في البحث عن الآثار الكائنة في قاع البحر.

تقريـر
اللجنة الفرعية الثالثة

عقدت اللجنة الفرعية الثالثة المنبثقة عن المؤتمر الثامن للآثار ثلاث جلسات يومي الخميس والجمعة (3 و 4 فبراير 1977) بمبنى بلدية مدينة مراكش، بحضور أعضائها السادة :

- الأستاذ شوقي شعث (رئيس اللجنة)
- الدكتور معاوية ابراهيم (المقرر)
- الأستاذ حسني عبد الرحيم
- الدكتور عادل ناجي
- الدكتور عزالدين اسماعيل غربية
- الدكتور محمد ابن شريفة
- الأستاذ أحمد الصفريوي
- الأستاذ عبد الرحمن الفاسي الفهري
- الأستاذ خالد عبد العزيز الدايل
- الدكتور ناجي معروف
- الأستاذ رجب عبد الحميد الأثرم
- الدكتور أغزادي لحسن
- الدكتور ديمتري برامكي
- الدكتور محمود علي الغول
- الدكتور فوزي زيادين

وقد ناقشت اللجنة باستفاضة خلال جلساتها الموضوعات المحالة اليها من جدول الأعمال وهي :

أ) الفقرة (2) من رابعا في جدول الأعمال : «الاعداد للندوة الدولية عن الآثار الفلسطينية».

ب) الفقرة (3) من رابعا في جدول الأعمال : «كتاب الآثار الفلسطينية».

وبعد أن استمعت اللجنة الى موجز للأبحاث المقدمة من الأستاذ شوقي شعث والدكتور معاوية ابراهيم والدكتور عزالدين غربية تناولت هذه الموضوعين المحالين إليها ببحث مفصل مستفيض :

أولا : الندوة الدولية عن الآثار الفلسطينية

توصي اللجنة بما يلي :

1 ـ أن تتعاون المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمتابعة تنفيذ هذا المشروع مع منظمة التحرير الفلسطينية (دائرة الشؤون الثقافية والتربوية) نظرا لأهمية هذا المشروع العلمية والقومية.

2 ـ الموضوعات التي تعالجها الندوة :

تعالج الندوة الموضوعات التالية :

أ) تاريخ البحث وتفسير الآثار الفلسطينية ويمكن أن يندرج تحت هذا الباب.

الصهيونية والآثار الفلسطينية، اسرائيل والآثار الفلسطينية، الآثار الفلسطينية من خلال التنقيبات الأثرية، الأسس التي تقوم عليها الأبحاث الأثرية الفلسطينية المراكز والمعاهد والجمعيات ودور النشر المختصة والمهتمة بالآثار الفلسطينية في العالم العربي والدولي.

ب) تقييم الدراسات التوراتية على ضوء المكتشفات الأثرية الفلسطينية.

ج) دراسة التسلسل التاريخي الحضاري على ضوء المكتشفات في فلسطين.

- عصور ما قبل التاريخ.
- العصور القديمة مع التركيز على الدور الكنعاني في فلسطين.
- فلسطين في العصور الهلنستية ـ الرومانية ـ البيزنطية.
- العصور العربية والاسلامية في فلسطين.

د) نقد وتقييم الدراسات الأثرية والتاريخية التي نشرت حول الآثار الفلسطينية.

هـ) التأثيرات الحضارية المتبادلة بين فلسطين والبلدان الأخرى.

و) المصادر الآثارية والمراكز الثقافية وتصنيفها وتشمل هذه العناصر الوثائق المصرية والآشورية والعربية والاسلامية وغيرها وكذلك النقوش والكتابات.

ز) دراسة الشخصية الحضارية لفلسطين.

ح) أمانة العرب على التراث الانساني في فلسطين عبر العصور، وما يقابلها من محاولات تشويه التاريخ من قبل العنصريين الصهاينة.

ط) الموجات التي استوطنت فلسطين وآثارها الحضارية وطبيعة العلاقة التي قامت بينها ولغات تلك الشعوب.

ي) التعديات الصهيونية على التراث الحضاري العربي والاسلامي والمسيحي في فلسطين كتغيير معالم المراكز التاريخية ـ القدس، حيفا، عكا ـ يافا ـ عمواس، والقرى الأخرى والتعدي على المقدسات، (المسجد الأقصى، المسجد الابراهيمي، كنيسة القيامة).

ك) العلاقات العربية ـ اليهودية منذ أقدم الأزمة حتى اليوم مع التركيز على السلبيات والايجابيات.

3 ـ مدة الندوة :

تحدد مدة الندوة في عشرة أيام.

4 ـ موعد الندوة ومكانها :

أ) تقوم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتشاور مع منظمة التحرير الفلسطينية في شأن تشكيل وفد من شخصيتين ـ في أقرب وقت ممكن ـ للاتصال بالجهات الاختصاصية في البلاد العربية واستطلاع رأيها ورغبتها فيما يتعلق بموعد ومكان تنظيم الندوة.

وتقترح ـ اللجنة ـ مبدئيا ـ أن تنظم الندوة في صيف عام 1978.

ب) تنظم الندوة في رحاب احدى الجامعات العربية نظرا لأن موضوع الندوة يأخذ صفة البحث العلمي والجامعة هي المكان الأنسب لتحقيق أهداف الندوة.

وتؤلف للندوة لجنة تنفيذية على النحو التالي :

1 ـ رئيس الجامعة المضيفة.

2 ـ مندوب منظمة التحرير الفلسطينية.

3 ـ خبير ترشحه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

4 ـ المدير العام للآثار بالبلد المضيف.

5 ـ عضو أو عضوان من ذوي التخصص.

6 ـ أحد الخبراء الأجانب ممن له سمعة دولية وباع في الدراسات الأثرية الفلسطينية.

7 ـ أحد أساتذة قسم التاريخ أو أحد أساتذة قسم الآثار في البلد المضيف.

وتشرف اللجنة التنفيذية على اعداد التصميمات الدورية وتهيئة شعار الندوة، واعداد جداول نهائية بأسماء العلماء والباحثين الذين سيشتركون بالندوة اعداد مطبوعات الندوة والبرامج الثقافية بالتعاون مع سلطات البلد المضيف وحجز الفنادق، ويحسن أن يتفرغ أحد أعضاء هذه اللجنة لاعمال الندوة.

4 ـ الشخصيات والمؤسسات والمعاهد العلمية التي تدعى لحضور الندوة

أ) يكون الحد الأقصى لعدد الشخصيات التي تدعى الى الندوة خمسة وسبعين باحثا ممن يمثلون مؤسساتهم أو معاهدهم، ودولهم أو بصفتهم الشخصية.

(مرفق مع هذه التوصية بيان بأسماء المؤسسات والمعاهد التي يمكن أن تدعى لحضور الندوة، وبيان آخر بأسماء الشخصيات).

5 ـ الطابع الدولي للندوة :

تتصل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمنظمة اليونسكو كي تشترك في تنظيم الندوة تأكيدا للطابع العلمي للندوة ولاكسابها بعدا دوليا.

بيان بالمؤسسات والمعاهد التي تدعى لحضور الندوة الدولية عن الآثار الفلسطينية :

1 ـ الجامعات في العالم العربي والعالم الاسلامي.

2 ـ مديريات الآثار والمتاحف في العالم العربي.

3 ـ مؤسسات الدراسات الفلسطينية ـ بيروت ـ لبنان.

4 ـ مركز الابحاث الفلسطينية ـ بيروت ـ لبنان.

5 ـ معاهد الآثار والتاريخ في البلاد العربية والأجنبية.

6 ـ مدارس ومراكز البحث في الآثار الفلسطينية مثل :
المدرسة البريطانية، المدرسة الامريكية، المدرسة الفرنسية، المدرسة الالمانية.

7 ـ جمعيات التاريخ والمؤرخين في العالم العربي والأجنبي.

8 ـ المركز الدولي لصيانة وترميم الممتلكات الثقافية في روما.

9 ـ الهيئة العلمية لمدينة القدس، جامعة الدول العربية، معهد البحوث، القاهرة.

10 ـ معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية القاهرة.

11 ـ المركز الاقليمي العربي لصيانة الممتلكات الثقافية بغداد.

12 ـ مركز الدراسات الفلسطينية ـ جامعة بغداد.

13 ـ مركز الدراسات الفلسطينية ـ جامعة الكويت.

التـوصيـــات

أولا : تقارير الدول العربية عن انجازاتها وجهودها في ميدان الآثار والمتاحف من عام 1974 حتى منتصف عام 1976، وما نفذته من توصيات المؤتمر السابق (السابع) :

اطلع المؤتمر على التقارير التي قدمتها بعض الدول الأعضاء، كما اسمتع الى عرض موجز قدمته الوفود عن انجازاتها وجهودها في ميدان الآثار من عام 1974 حتى منتصف عام 1976، وما نفذته من توصيات المؤتمر السابع للآثار الذي عقد في دولة الامارات العربية المتحدة في ديسمبر كانون الأول 1974، والمؤتمر :

1 ـ يعرب عن ارتياحه للجهود التي بذلتها الدول الاعضاء للكشف عن آثارها وحمايتها وصيانتها والتعريف بها، وتوفير كل أسباب الرعاية الممكنة لها.

2 ـ كما يعرب عن شكره لجهات الاختصاص في الدول العربية لما لاحظه من اهتمامها بتنفيذ توصيات المؤتمر السابع للآثار في حدود الامكانيات المتاحة.

3 ـ ويوصي الدول الاعضاء بالحرص على موافاة المنظمة بتقاريرها عن انجازاتها في ميدان الاثار بين دورتي المؤتمر، وتقاريرها عما تم تنفيذه من توصيات المؤتمر السابق، وان يكون ذلك في زمن مبكر حتى تستطيع المنظمة موافاة جهات الاختصاص في الدول العربية بهذه التقارير، لدراستها قبل عقد المؤتمر.

ثانيا : ما نفذته المنظمة من توصيات المؤتمر السابع للآثار :

اطلع المؤتمر على التقرير الذي قدمته المنظمة الى المؤتمر بشأن تنفيذها ما يقع على عاتقها من توصيات المؤتمر السابع للآثار.

والمؤتمر ـ وقد لاحظ حرص المنظمة على تنفيذ هذه التوصيات ـ ليعرب عن ارتياحه لما تم في هذا الشأن، خصوصا فيما يتعلق بوضع مشروعات هامة ينهض بها المكتب الدائم للآثار والمتاحف بالمنظمة، وبدء نشاط اللجنة الدائمة للآثار والمتاحف، وتنظيم دورات تدريبية، وايفاد خبراء آثاريين الى بعض الدول الأعضاء، الأمر الذي نوه به رؤساء وفود هذه الدول فى المؤتمر عند عرض موجز تقارير النشاط.

ثالثا : حركة التنقيب عن الآثار ومشكلاتها في البلاد العربية :

أ) التعاون بين البلاد العربية :

يوصي المؤتمر بما يلي :

1 ـ الاهتمام بالكفايات والخبرات الآثارية العربية والاستفادة من الامكانيات المتوافرة لدى بعض الدول الاعضاء، واتاحة الفرصة لتبادل هذه الخبرات والكفايات بين الدول العربية. ولتبادل الجهات الآثارية المختصة في البلاد العربية المعلومات عن طريق المنظمة.

2 ـ ان تتابع المنظمة وضع فهارس للنشرات والدوريات الأثرية التي تصدرها الدول العربية وتعميم هذه الفهارس على الهيئات الأثرية في الدول الاعضاء.

ب) التعاون مع البعثات الأجنبية :

1 ـ الاستفادة من البعثات التنقيبية الاجنبية في أعمال التنقيب في البلاد العربية بعد التأكد من هويتها وأهدافها وتخصص أفرادها في موضوع التنقيب، والتأكد كذلك من قدرتها المالية، ومراقبتها عن طريق مشاركة عناصر فنية وطنية، حتى يمكن متابعة عملها عند توقفها لأي سبب كان.

2 ـ مراعاة الاستفادة من وجود البعثات الأثرية في تدريب وتأهيل أطر وطنية في العمل الأثري.

3 ـ العمل على ان يبقى حجم الحفريات في كل دولة عربية متناسبا مع امكانيات الدراسة والصيانة والحفظ والعرض.

4 ـ العمل على أن تضع كل دولة خطة لمدة معينة لاعمال المسح والسبر والتنقيب فيها حسب أولويات محددة.

5 ـ الحرص على قيام جهات الاختصاص في الدول العربية بتنفيذ التوصية الصادرة عن المؤتمر الخامس للآثار (القاهرة 1969) بشأن حظر التعامل مع البعثات التي تعمل في الأراضي العربية المحتلة ونصها :

«حظر التعامل أو التعاون مع أية بعثة أو مؤسسة أو معهد يقوم باجراء تنقيبات أثرية في الأراضي العربية المحتلة».

وتقوم جهات الاختصاص في البلاد العربية بتبليغ المنظمة بما يصل الى علمها من أسماء تلك البعثات والمؤسسات والمعاهد لتقوم المنظمة على الفور بابلاغ ذلك الى الدول الأعضاء.

ج) اعداد العناصر البشرية الوطنية :

يوصي المؤتمر بما يلي :

1 ـ عقد ندوة لتنسيق تدريس علم الآثار، والافادة من المتخرجين

2 ـ تأكيد التوصية التي صدرت في المؤتمر الخامس للآثار بشأن تدريس الآثار في أقسام التاريخ.

3 ـ ان تعمل الجهات المسؤولة عن الآثار في الاقطار العربية على تنظيم دورات تدريبية للعاملين فيها من العناصر الفنية المساعدة.

4 ـ ان تهتم المنظمة بالدورات التدريبية في مجال التنقيب.

5 ـ عقد حلقات دراسية وندوات علمية في موضوعات أثرية يتفق عليها في اجتماعات اللجنة الدائمة للآثار والمتاحف.

6 ـ أ) ان تتابع المنظمة الاتصال بجهات الاختصاص في الدول العربية ودعوتها الى الاشتراك في عضوية المركز الاقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية ببغداد، تنفيذا للتوصية الصادرة عن المؤتمر السابع للآثار في هذا الشأن.

ب) ان تراعي المنظمة اقامة الدورات التدريبية في الآثار والمتاحف التي تدرج في مشروعاتها بالمركز الاقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية.

د) الأساليب العلمية الحديثة واستخدامات التكنولوجيا في مسح الآثار والتنقيب عنها :

يوصي المؤتمر بما يلي :

1 ـ أن تراعي جهات الاختصاص في البلاد العربية استخدام الوسائل العلمية والتقنية الحديثة في مجال مسح الآثار والتنقيب عنها. على ألا تستخدم المواقع الأثرية حقلا للتجارب الا بعد التأكد من جدوى هذه الوسائل. ويقتضي ألا يؤدي استخدام هذه الوسائل الى أية أضرار بالآثار.

2 ـ الاستمرار في استخدام الطرق التقليدية في التنقيب مع تطويرها بواسطة الوسائل العلمية الحديثة.

3 ـ ان تعد كل دولة من الدول العربية معجما للمدن والمواقع الأثرية فيها، تمهيدا لقيام المنظمة بتجميع هذه المعاجم وطبعها ونشرها في معجم موحد.

4 ـ تأكيد التوصية الصادرة عن المؤتمر السادس للآثار بشأن استخدام أحدث الوسائل والابحاث والطرق العلمية في عمليات المسح والسبر والتنقيب والصيانة.

رابعا : دعم مؤسسة ماكس فان برشم :

استنادا لتقرير المملكة العربية السعودية المتضمن أنها خصصت منحة مالية لدعم مشاريع هذه المؤسسة.

وبناء على ما أدلى به ممثل المملكة العربية السعودية في المؤتمر من أن المملكة قامت بدفع ثلث المنحة المشار اليها والتي تبلغ مائة ألف دولار لتنفيذ برنامج أولي مجدد. يوصي المؤتمر بما يلي :

أ) أن تتولى المنظمة متابعة الاشراف على تنفيذ مشروع نشر وثائق مؤسسة ماكس فان برشم.

في ضوء المنحة المقدمة من المملكة العربية السعودية لهذه المؤسسة.

ب) أن تقوم الدول العربية التي تقرر تقديم معونات مالية لهذه المؤسسة بابلاغ المنظمة بقيمة هذه المعونة تنسيقا للجهد العربي في هذا السبيل، وحصرا لحجم المعونات العربية التي تقدم اليها.

خامسا : الندوة الدولية للآثار الفلسطينية :

يوصي المؤتمر بما يلي :

1 ـ ان يتم تنظيم هذه الندوة بالتعاون بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومنظمة التحرير الفلسطينية.

2 ـ اشراك منظمة اليونسكو في هذه الندوة تأكيدا لطابعها العلمي والدولي.

3 ـ ان تدرج المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في ميزانيتها لعام 1978، الاعتمادات المالية اللازمة لهذه الندوة.

4 ـ اعتبار اللجنة الثالثة المنبثقة عن هذا المؤتمر لجنة تحضيرية لهذه الندوة واعتماد التوصيات التي وردت في التقرير الصادر عنها فيما يتعلق بموضوعات الندوة ومدتها وموعدها ومكان انعقادها والشخصيات والمؤسسات التي تدعى لحضورها.

سادسا : اصدار كتاب «الآثار الفلسطينية» :

يوصي المؤتمر بما يلي :

1 ـ اعتماد ما أوصت به اللجنة الثالثة المنبثقة عنه وما اقترحته بشأن هذا الكتاب والتي تتناول : تحريره وموضوعاته واعداد مادته.

2 ـ تتابع المنظمة العربيه للتربية والثقافة والعلوم اتصالاتها بحكومة المملكة العربية السعودية للحصول منها على موافقة رسمية بالصرف على الكتاب، ومعرفة قيمة مساهمتها لادراج ما قد يحتاجه الكتاب من نفقات اضافية في ميزانيتها لعام 1978.

سابعا : المؤتمر التاسع للآثار في البلاد العربية :

يوصي المؤتمر بما يلي :

أ) عقد المؤتمر التاسع للاثار في البلاد العربية بمدينة صنعاء بالجمهورية العربية اليمنية، استجابة للدعوة الكريمة التي قدمها ـ باسم الحكومة ـ الاستاذ اسماعيل الأكوع رئيس وفد الجمهورية العربية اليمنية.

ب) ارسال شكر باسم المؤتمر الى الحكومة اليمنية تقديرا لهذه المبادرة الكريمة.

ج) ان يكون موعد عقد المؤتمر بمدينة صنعاء في ربيع عام 1979، ويترك للمنظمة تحديد الموعد على وجه الدقة.

د) الموافقة على الموضوع الرئيسي المقترح للمؤتمر وهو «الآثار الاسلامية في البلاد العربية».

هـ) يترك للمنظمة تحديد عناصر الموضوع استهداء بما اقترحته في هذا الشأن اللجنة الدائمة للآثار والمتاحف في دورتها الثانية التي عقدت بالاردن في أكتوبر 1976.

و) يقوم السادة مديرو الآثار في البلاد العربية بموافاة المنظمة بأسماء من يرون من الخبراء والاساتذة لتكليفهم اعداد البحوث العلمية اللازمة للمؤتمر.

ز) تدرس المنظمة امكانية اقامة معرض للآثار الاسلامية في البلاد العربية بمناسبة انعقاد المؤتمر في صنعاء يتضمن نماذج ورسوما ووسائل ايضاحية أخرى.

ثامنا : نداء من المؤتمر الثامن للآثار في البلاد العربية :

ان المؤتمر الثامن للآثار في البلاد العربية المنعقد في مدينة مراكش بالمملكة المغربية في شهر صفر الخير 1397 الموافق لشهر فبراير شباط عام 1977، والذي يضم علماء الآثار وخبراءها في الوطن العربي.

- وقد ناقش مشكلات التنقيب في الوطن العربي كموضوع رئيسي واستمع الى الدراسات والتقارير المتعلقة بانتهاك اسرائيل للمواقع الأثرية بقيامها بأعمال تنقيب في اجزاء مختلفة من الأراضي العربية المحتلة في مدينة القدس، مخالفة بذلك الاتفاقات والتوصيات الدولية التي تقضي بحماية الممتلكات الثقافية اثناء النزاع المسلح وخاصة اتفاقية لاهاي لعام 1954 وتوصية نيودلهي لعام 1956 وقرارات الأمم المتحدة والمنظمة الدولية للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، وبعد أن تبين للمؤتمر خرق الاسرائيليين للمبادىء الدولية والاعتداء على الأماكن المقدسة، يشجب المؤتمر هذه الانتهاكات ويدعو الرأي العام الدولي الى إدانتها.

القسم الثالث

الملاحق

قائمة بأسماء أعضاء الوفود المشاركة في المؤتمر

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم :

ـ الدكتور ناصر الدين الأسد	المدير العام المساعد للمنظمة
ـ الأستاذ علي بابكر الطاهر	أمين عام للمجلس التنفيذي للمنظمة
ـ الأستاذ حسني أحمد عبد الرحيم	رئيس قسم الآثار والمتاحف بادارة الثقافة بالمنظمة
ـ الأستاذ اسماعيل العادلي	الملحق الأول بادارة الثقافة بالمنظمة

خبراء المنظمة : (الأسماء مرتبة حسب الحروف الهجائية)

ـ الدكتور ديمتري برامكي	أستاذ الآثار بالجامعة الأمريكية في بيروت
ـ الدكتور عز الدين أبو غربية	رئيس وحدة المواد الاجتماعية بمركز بحوث المناهج بالكويت
ـ الأستاذ محمد عبد القادر بافقيه	سفير اليمن الديمقراطية في باريس
ـ الدكتور محمود الغول	أستاذ بالجامعة الأمريكية في بيروت، مدير دائرة اللغة العربية ـ جامعة اليرموك بالأردن حاليا.
ـ الدكتور معاوية ابراهيم	مساعد فني لمدير الآثار في الأردن
ـ الدكتور ممدوح حقي	كبير الخبراء بمكتب تنسيق التعريب بالرباط (سابقا)

المملكة الأردنية الهاشمية :

- الأستاذ يعقوب عويس — المدير العام للآثار والمتاحف
- الدكتور فوزي زيادين — مساعد فني لمدير الآثار

الجامعة الأردنية :

- الدكتور عدنان الحديدي — رئيس قسم التاريخ والآثار

دولة الامارات العربية المتحدة :

- الأستاذ سيف علي الدرمكي — مدير دائرة الاعلام والثقافة
- الأستاذ سالم بن عمير الشامسي — رئيس قسم الآثار
- الأستاذ عوض عبد الله الجعيدي — فني آثـــــار

دولة البحرين :

- السيدة هيا علي آل خليفة — مراقبة التنقيبات بادارة الآثار والمتاحف
- الأستاذ عبد الرحمن سعود مسامح — أمين المتاحف والمعارض

الجمهورية التونسية :

- الأستاذ مصطفى زبيس — مدير مركز الدراسات الأندلسية
- الأستاذ ابراهيم شبوح — رئيس مركز الدراسات القيروانية

الجامعة التونسية :

- الدكتور عمار المحجوبي — مدير دار المعلمين العليا
- الأستاذ علي مطيمط — محافظ مساعد بالمتحف القومي بباردو
- الأستاذ محمد بوترعة — محافظ مساعد بالمتحف القومي بباردو

المملكة العربية السعودية :

- الدكتور عبد الله حسن مصري — مدير دائرة الآثار والمتاحف

- الأستاذ محمد عبد الله ابراهيم — رئيس الأبحاث بدائرة الآثار والمتاحف
- الأستاذ خالد عبد العزيز الدايل — رئيس قسم التسجيل بدائرة الآثار والمتاحف

جمهورية السودان الديمقراطية :

- الأستاذ نجم الدين محمد شريف — مدير عام مصلحة الآثار

جامعة الخرطوم :

- الدكتور أحمد محمد علي الحاكم — رئيس شعبة الآثار كلية الآداب

الجمهورية العربية السورية :

- الدكتور عفيف البهنسي — المدير العام للآثار والمتاحف
- الأستاذ عدنان البني — مدير التنقيب والدراسات الأثرية

جامعة دمشـــق :

- الدكتور هشام صفدي — أستاذ التاريخ وعلم آثار آسيا الغربية

الجمهورية العراقية :

- الدكتور عبد الهادي عايش الفؤادي — مدير التنقيبات الأثرية

جمعية المؤرخين والآثاريين العراقيين :

- الدكتور ناجي معروف — عضو المجمع العلمي العراقي وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق

جامعة الموصـــــل :

- الدكتور أحمد قاسم الجمعة — مدرس بمركز البحوث الآثارية والحضارية بكلية الآداب

سلطنة عمـــــــان :

- الأستاذ سليمان خلف الخروصي — مدير الآثار بوزارة الاعلام والثقافة
- الأستاذ كـــوستــــا — خبير آثار

فلسطيـــــن :

ـ الأستاذ شوقي شعث	مدير معاهد الدراسات الأثرية ـ حلب ـ سوريا

دولة قطـــــر :

ـ الأستاذ جاسم الزيني	وكيل ادارة السياحة والآثار
ـ الدكتور نبيل ساروفيم	رئيس قسم الآثار
ـ الأستاذ عبد الله عيسى البدر	أثري متدرب

دولة الكويـت :

ـ الأستاذ ابراهيم الطاهر البغلي	مدير ادارة الآثار والمتاحف
ـ الأستاذ جواد كاظم النجار	باحث آثار

الجمهورية العربية الليبية :

ـ الدكتور صلاح الدين حسن السوري	رئيس مصلحة الآثار
ـ الأستاذ عبد الحميد عبد السيد	مدير ادارة المتاحف والشؤون الفنية
ـ الأستاذ محمود الصديق أبو حامد	مدير البحوث الأثرية

جامعة قاريونس (بنغازي) :

ـ الأستاذ رجب عبد الحميد الأثرم	محاضر بكلية الآداب جامعة بنغازي

جمهورية مصر العربية :

ـ الأستاذ محمد جمال الدين مختار	وكيل أول وزارة الثقافة ورئيس هيئة الآثار
ـ الأستاذ محمود الحديدي	مدير الآثار الاسلامية والقبطية بهيئة الآثار

جامعة الأزهر :

ـ الدكتور فتحي عفيفي بدوي	مدرس التاريخ القديم والآثار

جامعة القاهــرة :

- الدكتورة سعاد ماهر عميدة كلية الآثار

- الدكتور عبد العزيز صالح رئيس قسم الآثار المصرية

جامعة الاسكندرية :

- الدكتور فوزي عبد الرحمن الفخراني أستاذ الآثار ورئيس قسم الحضارة اليونانية الرومانية بكلية الآداب جامعة الاسكندرية

المملكة المغربية :

- رئيس وفد : د. عبد الهادي التازي مدير المركز الجامعي للبحث العلمي

- منسق الوفد : د. عباس الجراري أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب ـ الرباط ـ

وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية :

- الأستاذ أحمد الصفريوي رئيس قسم الآثار والمباني التاريخية والمتاحف

- الأستاذة جودية حصار بنسليمان رئيسة مصلحة الآثار

- الأستاذ مصطفى أعشي نائب جهوي لوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية بمراكش

- الأستاذة نعمة الله الخطيب نائبة جهوية للوزارة بالدار البيضاء

- الأستاذ حسن بن العربي باحث في الآثار

- الأستاذ عبد المالك الفزازي باحث في الآثار

اللجنة الوطنية العربية لليونسكو :

- الأستاذ محمد الفاسي رئيس مركز التنسيق بين اللجان الوطنية العربية لليونسكو

جامعة محمد الخامس بالرباط :

- الأستاذ محمد القبلي عميد كلية الآداب

ـ الدكتور محمد بنشريفة	أستاذ بكلية الآداب
ـ الدكتور محمد حجي	أستاذ بكلية الآداب
ـ الأستاذ محمد زنيبر	أستاذ بكلية الآداب

جامعة محمد بن عبد الله بفاس :

ـ الأستاذ عبد الهواب التازي	عميد كلية الآداب
ـ الأستاذ محمد التازي	أستاذ بكلية الآداب
ـ الأستاذ حسن أغزادي	أستاذ بكلية الآداب

جامعة القرويين :

ـ مولاي الطيب المزيني	أستاذ بكلية اللغة العربية بمراكش

الخزانة الملكية :

ـ الأستاذ عبد الرحمن الفاسي	محافظ الخزانة
ـ الأستاذ محمد المنوني	أستاذ وباحث

الخزانة العامة بالرباط :

ـ الأستاذ محمد بن العباس القباج	محافظ الخزانة

نيابة التعليم الابتدائي والثانوي بمراكش :

ـ الأستاذ حميد التذريكي	مفتش التاريخ والجغرافية في اقليم مراكش

ضريح محمد الخامس :

ـ الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور	مؤرخ المملكة ومحافظ الضريح

الجمهورية العربية اليمنية :

ـ الأستاذ اسماعيل الأكرع	رئيس الهيئة العامة للآثار ودور الكتب
ـ الدكتور يوسف محمد عبد الله	رئيس قسم التاريخ والآثار بجامعة صنعاء

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :

- الأستاذ عبد الله محيرز — مدير المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف
- الأستاذ مرشد شمسان — مشرف آثار (مسؤول قسم التنقيبات والمسوحات)

منظمة اليونسكـــو :

- الدكور سعيد ذو الفقار — دائرة التراث الثقافي
- الأستاذ تيتوس بوركارت — خبيـــــر

المركز الاقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية :

- الدكتور عادل ناجي — المدير العام للمركز

جـدول الأعمــال

أولا : التقارير :

1 ـ تقارير الدول الأعضاء عن جهودها في ميدان الآثار، خصوصا ما قامت به من حفائر وصيانة للآثار، وما أصدرته من بحوث علمية ومؤلفات في مجال الآثار منذ يناير 1975 حتى يونيو 1976.

2 ـ عرض ما نفذته كل دولة من توصيات المؤتمر السابع للآثار.

3 ـ عرض ما نفذته المنظمة من توصيات المؤتمر السابع للآثار.

ثانيا : الموضوع الرئيسي :

«حركة التنقيب عن الآثار ومشكلاتها في البلاد العربية.

العناصـــــر :

1 ـ أعمال التنقيب في البلاد العربية (الجهود والمعوقات).

2 ـ التعاون في مجال التنقيب عن الآثار.

3 ـ التعاون مع البعثات الأجنبية.

4 ـ اعداد العناصر البشرية الوطنية وتدريبها.

5 ـ الأساليب العلمية الحديثة واستخدامات التكنولوجيا في مسح الآثار والتنقيب عنها.

ثالثا : ندوة علمية في موضوع «الفن المعماري المغربي في عهد الاشراف السعديين والعلويين :

رابعا : موضوعات اضافية :

1 ـ دعم مؤسسة ماكس فان برشم

2 ـ الاعداد للندوة الدولية عن الآثار الفلسطينية.

3 ـ كتاب الآثار الفلسطينية.

4 ـ المؤتمر التاسع للآثار في البلاد العربية.

نظام العمل

1 ـ تعقد المؤتمر جلساته صباحا ومساء.

2 ـ يعقد المؤتمر جلساته الصباحية من الساعة (9.30) إلى الساعة (13) ويعقد جلساته المسائية من الساحة (17) إلى الساعة (20).

3 ـ يعقد المؤتمر ثلاث جلسات عامة بخلاف الافتتاح والختام لبحث :

- الاجراءات التنظيمية
- الفقرات (1 ـ 2 ـ 3) من (أولا) في جدول الأعمال وهي :

1) تقارير الدول الأعضاء عن جهودها في ميدان الآثار، خصوصا ما قامت به من حفائر وصيانة للآثار، وما أصدرته من بحوث علمية ومؤلفات في مجال الآثار منذ يناير 1975 حتى يونيو 1976.

2) عرض ما نفذته كل دولة من توصيات المؤتمر السابع للآثار.

3) عرض ما نفذته المنظمة من توصيات المؤتمر السابع للآثار.

- الفقرة (1) من الموضوع الرئيسي في جدول الأعمال وهي أعمال التنقيب في البلاد العربية (والجهود والمعوقات).
- الفقرة (4) من رابعا في جدول الأعمال وهي :

«المؤتمر التاسع للآثار في البلاد العربية ـ تحديد موضوعه وعناصره، وبحوثه وأسماء الأساتذة الذين يكلفون اعدادها، وتحديد مكان وموعد عقده.

4 ـ تنبثق عن المؤتمر ـ ثلاث لجان فرعية تعقد ثلاث جلسات ـ وذلك بخلاف لجنة الصياغة.

وتختص كل لجنة بما يلي :

اللجنة الأولى : وتبحث :

أ ـ الفقرة (2) من الموضوع الرئيسي وهي :

«التعاون في التنقيب في مجال الآثار» :

ب ـ الفقرة (3) من الموضوع الرئيسي وهي :

«التعاون مع البعثات الأجنبية»

ج ـ الفقرة (1) من رابعا في جدول الأعمال وهي :

«دعم مؤسسة ماكس فان برشم»

اللجنة الثانية : وتبحث :

أ ـ الفقرة (4) من الموضوع الرئيسي :

«اعداد العناصر البشرية الوطنية وتدريبها»

ب ـ الفقرة (5) من الموضوع الرئيسي وهي :

«الأساليب العلمية الحديثة واستخدامات التكنولوجيا في مسح الآ والتنقيب عنها»

اللجنة الثالثة : وتبحث :

أ ـ الفقرة (2) من رابعا في جدول الأعمال وهي :

«الاعداد للندوة الدولية عن الآثار الفلسطينية»

ب ـ الفقرة (3) من رابعا في جدول الأعمال وهي :

«كتاب الآثار الفلسطينية»

5 ـ تعرض البحوث التي أعدتها المنظمة على النحو التالي :

«التنقيب الأثري وتطبيقاته في الدراسات التاريخية»

يتصل الفقرة (1) من ثانيا في جدول الأعمال ويعرضان في الجلسة العامة

ب ـ بحث الدكتور عيسى سلمان وعنوان :

«التعاون مع البعثات الأجنبية على الصعيد العربي»

يتصل بالفقرة (3) من ثانيا في جدول الأعمال ويعرض في اللجنة الأولى.

ج ـ بحث الدكتور نبيل سالوفيم :

«مناهج البحث العلمي وتطبيقاتها في الكشوف الأثرية»

ـ بحث الدكتور زكي أسكندر والدكتور شوقي نخلة وعنوان :

«الوسائل التنبؤية الحديثة في التنقيب والكشف عن الآثار»

ـ بحث الدكتور سيد توفيق وعنوانه :

«استخدام الحاسب الالكتروني في أعمال التنقيب»

ـ بحث الدكتور بهنام أبو الصوف وعنوانه :

طرق التكنولوجيا الحديثة في التنقيب عن الآثار»

ـ بحث الدكتور عبد الله حسن مصري وعنوان :

«مناهج جديدة للمسح الأثري وعلاقته بحركة التنقيب»

ـ تتصل هذه البحوث بالفقرة (5) من ثانيا في جدول الأعمال وتعرض في اللجنة الثانية.

د ـ البحوث الأخرى التي تقدم من أعضاء الوفود في الكتاب الذي تصدره المنظمة ـ فيما بعد ـ عن المؤتمر.

برنـامـج المؤتـمـر

الثلاثاء : 1977/2/1

الساعة 17 : افتتاح المؤتمر.

- القرآن الكريم.
- كلمة معالي الأستاذ الحاج محمد أبا حنيني وزير الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية.
- كلمة الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد المدير العام المساعد للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- كلمة باسم الوفود.

(حفل استقبال يقيمه المجلس البلدي لمدينة مراكش تكريما للسادة أعضاء الوفود المشاركة في المؤتمر وافتتاح معرض مسيرة العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمملكة المغربية.

الساعة 19 :

- اختيار رئيس المؤتمر ونائب الرئيس والمقرر العام.
- اقرار جدول الأعمال.
- اقرار نظام العمل.
- اقرار برنامج المؤتمر

الأربعاء : 1977/2/2

الساعة 9.30 :

- عرض موجز لتقارير الدول العربية عن نشاطها في مجال الآثار وما نفذته من توصيات المؤتمر السابع للآثار.

الساعة 17 :

- عرض لتقرير المنظمة عما نفذته من توصيات المؤتمر السابق للآثار.

- بحث العنصر الأول من الموضوع الرئيسي في جدول الأعمال.
(أعمال التنقيب في البلاد العربية ـ الجهود والمعوقات).

الساعة 20.30 :

- حفل عشاء يقيمه السيد وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية، تكريما للسادة أعضاء الوفود المشاركة في المؤتمر.

الخميس : 1977/2/3

الساعة 9.30 :

- بحث الموضوع الرابع من الموضوعات الاضافية في جدول الأعمال :

(المؤتمر التاسع للآثار في البلاد العربية ـ تحديد موضوعه وعناصره وبحوثه وأسماء الأساتذة الذين يكلفون اعدادها، وتحديد موعد عقده ومكانه).

الساعة 17 :

- اجتماع اللجان الفرعية لبحث الموضوعات المحالة إليها من جدول الأعمال وفقا لما هو مبين في نظام العمل.

الجمعة : 1977/2/4

الساعة 9.30 :

- اجتماع اللجان الفرعية لاستكمال بحث الموضوعات المحالة إليها.

السبت : 1977/2/5

صباحا :

- القيام برحلة علمية لتفقد الآثار في ورززات وتارودانت وأكادير.

الأحد : 1977/2/6

- مواصلة الرحلة العلمية، والعودة إلى مراكش مساء.

الاثنين : 1977/2/7

الساعة 9.30 :

- اجتماع لجنة الصياغة.

الساعة 17 :

- حضور ندوة علمية في موضوع : الفن المعماري المغربي في عهد الاشراف السعديين والعلويين.

الساعة 21 :

- سهرة فنية بقاعة الكوليزيه.

الثلاثاء : 1977/2/8

- زيارة المعالم الأثرية في مدينة مراكش.

الأربعاء : 1977/2/9

الساعة 11 :

- اقرار نتائج أعمال المؤتمر وتوصياته.
- كلمة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- كلمة الوفود.
- كلمة رئيس المؤتمر.


مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

الثمن : 7 دولارات او ما يعادلها